مرآة المرأة
في نهج البلاغة

أيوب الجعفري

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

تعريف الكتاب

* الكتاب: مرآة المرأة في نهج البلاغة
* المؤلف: أيوب الجعفري
* الناشر: برنامج هلال فاطمية/ أستراليا
* تصميم الصفحات: www.facebook.com/manaf.albaghdadi
* الطبعة: الأولى، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، واللعن الدائم والمؤبد على أعدائهم أجمعين من الآن وكل آن إلى قيام يوم الدين.. وبعد:

فإنه من نعم الله الكبرى وجود كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضي قدس الله نفسه الزكية قدرا من كلمات مولى المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبالرغم من أنه لم يكن الكتاب الأسبق في جمع الكلمات الشريفة له عليه السلام إلا أنه قاد إلى حراك تدويني لإرث نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل والتأمل في كلماته من خلال حركة الشروح..

ثم تطور الأمر ليقود لدراسات تخصيصية اهتمت بالمشتركات في نهج البلاغة، ومن بينها مفردة «**المرأة**» وموقعها في كلمات مولى المتقين عليه السلام، خصوصا وأنه التبس على البعض بسبب عدم إدراكه إلى مرادته عليه السلام في سياق بعض العبارات أو التعابير التي يفهم من ظاهرها خلاف واقعها، وتحتاج إلى القرائن والضمائم المساعدة

لذلك، بالرغم من أعتقادنا بأن الإمام علي عليه السلام هو أمير البيان والبنان وإن في عطاءه الكلامي ما به التمام إلا أن اختلاط اللغات واستحداث معاني لبعض الكلمات يجعل من القارئ يفهم الكلام فهما مغايرا..

وبالتالي عند القراءة العلمية والدقيقة لكلمات المولى في النهج سيجد إن أي تعبير استخدمه الإمام عليه السلام حول المرأة لا ينقص من قيمتها ولا مكانتها كما لا يقدح في مقاصد الإمام، بل على العكس من ذلك لابد من أخذ تلك الكلمات كمسار منهجي في تصحيح وضع المرأة وبيان قراءة الإسلام العظيمة لهذا الكائن البشري المقدس..

لذا يأتي جهد فضيلة الشيخ أيوب الجعفري حفظه الله الذي شرف «**دارة النهج**» و «**برنامج هلال فاطمية أستراليا**» بنشر كتابه هذا في سياق أمرين:

- **الأول**: تسليط الضوء على موضوع من الموضوعات المهمة في كتاب نهج البلاغة، وهو موضوع المرأة، من خلال قراءة دقيقة لكلمات النهج..
- **الآخر**: المساعدة على فهم مرادات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما تحدث به عن المرأة..

ومن خلال الجانبين سيتضح لكل منصف: عناية الرسالة الإلهية بالمرأة وقضاياها، وسيكون به الجواب على الطعون الكثيرة التي انطلقت من قراءات ناقصةوغير منصفة بل فيها تحامل على الشرع الأقدس وأنه ذكوري، بينما بهذا القدر القليل جدا من كلمات لأحد المعصومين عليهم السلام يتضح العكس من ذلك..

وإذ نشكر المؤلف على جهده وتفضله علينا بالنشر، نسأل الله أن

يكون هذا العمل إسـهامة في تصحيح القراءات حول الدين من خلال مفـردة المـرأة، وأن يكون هـذا العمـل بعاثا علـى الاهتمـام بكلمات المعصومين عليهم السلام..

والله ولي التوفيق والسداد..

الناشر

مقدمة الكتاب

الحمد لله الأول بلا أول والآخر بلا آخر والصلاة على نبيه وآله.

قال الله العظيم في محكم كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1].

وقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

من المعلوم لكل أحد أن المرأة عِدل الرجل في أصل الوجود وفي الإنسانية، وأن تفاوتهما في بعض الأوصاف الجسمانية والروحية لا يوجب اختلافاً في الرتبة ودرجة الوجود والكمال والإنسانية؛ فالكل من آدم وآدم من تراب، وقد صرّح القرآن الكريم والسنة الشريفة بأن

(١) سورة الحجرات: ١٣

(٢) سورة النساء: ١

الرجل والمرأة من نفس واحدة ممّا يدل على أن حقيقتهما واحدة، وليسا نوعين وحقيقتين مختلفتين؛ فقد خاطب الجميع رجالاً ونساءً بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ثم فصّل وقسّمهم إلى الذكر والأنثى ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾، ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾، فكل منهما إنسان وإن كان بينهما بعض الاختلاف في الجسم والروحيات والأوصاف النفسانية إلا أن ذٰلك لا يوجب شرفاً وفضلاً لأحدهما على الآخر لا في أصل الوجود والإنسانية، ولا في القيم المعنوية.

أما في الإنسانية فالعقل والنقل متطابقان على أن الاختلاف الجسماني، وفي بعض الأوصاف الروحية لا يخرج أحدهما عن أصل الإنسانية، كما لا يوجب أن يكون أحدهما في مرتبة ودرجة من الإنسانية أعلى من الآخر، أما نقلاً فواضح بعد وجود أمثال الآيتين السابقتين، وأما عقلاً فمن المعلوم أن حقيقة الإنسان كسائر الموجودات بفصله الأخير المميّز له عن بقية الموجودات؛ أي بروحه الإنسانية الناطقة المدركة للكليات، لا بجسمه وإلا لخرج الإنسان عن حقيقته وإنسانيته أو عن كونه ذاك الإنسان الأول على أقل تقدير بتغير جسمه وتبدل خلاياه إلى خلايا جديدة لم تكن موجودة من قبل، بينما نجد جميعاً بالوجدان أننا لم نخرج عن الإنسانية ولم نصبح إنساناً آخر غير الذي كان يعيش قبل أربعين عاماً مثلاً بتغير أجسامنا وتبدل خلايانا التي قد أثبت العلم بأنها في تغير مستمر، فهذا ما نجده بالوجدان؛ ولهذا نتذكر كثيراً من ذكرياتنا، وأعمالنا التي كنا نقوم بها في سنيّ طفولتنا وشبابنا، ولا ننكر ما صدر منا من عمل قبيح أو حسن و.. وكفى بذلك دليلاً على أن إنسانية الإنسان ليست بجسمه المتغير بل بتلك الحقيقة الثابتة التي لا تتغير

بتغير الجسم والأوصاف فيه، لا تتغير في أصل الذات وإن تغيرت في الأوصاف والكمالات المكتسبة بالعلم والعمل، وبتقوية عقلي النظر والعمل.

هذا من حيث أصل الإنسانية، وأما من حيث القيم المعنوية فالأمر كذلك؛ أي أن الاختلاف الجسماني لا يوجب شرفاً لأحد، كما لا يستلزم خسةً ودناءةً لأحد؛ فإن الدين الإلهي المبتني على الفطرة التوحيدية قد بيّن لنا ملاك الشرف والفضيلة وميزان الخسة والدناءة؛ فجعل المعيار في شرف الإنسان وكرامته إيمانه وتقواه، والميزان في خسته ودناءته كفره وطغيانه وخروجه عن سلك العبودية لله تعالى، فنفس تلك الآيات التي تتحدث عن منشأ الناس وأنهم جميعهم ـ ذكرهم وأنثاهم ـ قد خلقوا من نفس واحدة، تقول أن شرف الإنسان وكرامته بتقواه، وكلما ازدادت ازداد شرفاً وكرامة لدى الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وتقرر آيات أخرى أن الفلاح لا يكون إلا بالإيمان القرين بالعمل الصالح بلا مدخلية للذكورة والأنوثة فيه ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ..﴾[1]، ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢﴾[2].

وفي قبال ذٰلك من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يستخدم ولا يُعمل عقله ـ الذي أعطاه الله تعالى للتعقّل والوصول إلى الحق والتعبّد به، ومن ثم الوصول إلى العبودية لله تعالى ـ وإن كان

(١) سورة المؤمنون: الآية١ وما بعدها.
(٢) سورة الحديد: ١٢.

بظاهره إنساناً إلا أن القرآن الكريم قد أخرجه عن حيّز الإنسانية؛ إذ أن إنسانية الإنسان بحياته المعنوية والقيم الدينية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، نعم هٰذا الإنسان بظاهره ليس إنساناً بحسب الواقع وفي منطق القرآن الكريم الذي هو منطق إله الكون الذي لا يقول إلا الحق والواقع حيث قال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[3]، فالله سبحانه وتعالى قد أعطى الإنسان القلب والعقل والسمع والبصر كي يُعملها ويستخدمها لتحصيل الكمال الذي خلقه لأجله، وشرّع الشرائع، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب تمهيداً لطريقه إلى ذٰلك الكمال؛ فإذا لم يستخدمها الإنسان لأجل ذٰلك كان في درجة فاقد هٰذه الوسائل الادراكية وهو الحيوان ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بل الحيوان أهدى منه سبيلاً ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾؛ حيث أن الحيوان فاقد للعقل والقلب بمعناهما الموجود في الإنسان؛ فعدم استخدامهما من قبله يكون من باب السالبة بانتفاء الموضوع؛ أي أنه لا عقل ولا قلب له كي يستخدمه، ومن المعلوم أن هٰذا الحيوان أشرف ممّن أكرمه الله تعالى بالعقل والقلب، ولكنه أبى قبول هٰذه الكرامة بعدم استخدامهما لتحصيل كماله باتباع رسل الله وأنبيائه.

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٣) سورة الفرقان: ٤٣ـ٤٤.

فتحصل إلى هنا أن الاختلاف الجسماني لا يوجب شرفاً وكرامةً أو خسة ودناءة لأحد؛ فالشرف والكرامة والقيمة الإنسانية بالروح لا بالجسم بينما الاختلاف بين الرجل والمرأة في الجسم لا الروح، نعم هناك تفاوت في بعض الأوصاف والحالات الروحانية، كما أن هناك اختلافاً وتفاوتاً في بعض الخصال الكمالية؛ فمن الخصال الكمالية للرجال ما لا يعد كمالاً للمرأة وكذا العكس- كما سيأتي ذٰلك في قادم الأبحاث إن شاء الله تعالى -ولكن شيئاً من ذٰلك لا يوجب نقصاً حقيقياً لأحدهما بل إن هٰذا الاختلاف والتفاوت في تلك الأبعاد يجعل من كل منهما مكمّلاً للآخر في رفع الحاجات المعنوية، والتربوية، والمادية المعيشية الفردية، والاجتماعية، ولولا هٰذا الاختلاف لكانت الحياة المعنوية والمادية ذات مشاكل غير قابلة للحل؛ ولأجل ذٰلك يمكن القول بأن هٰذا الاختلاف الجسماني والتفاوت في بعض الحالات الروحية ليس موافقاً للعدل الإلهي في التكوين ومتناسباً معه فحسب بل هو عين العدل؛ فإن العدل هو وضع كل شيء في محله وفقاً للحكمة والمصلحة، وهما -أي الحكمة والمصلحة- يقتضيان أن يكون لكل موجود يخلقه الله تعالى هدف، وأن يُجعل له أسباب ووسائل الوصول إلى ذٰلك الهدف تكويناً وتشريعاً، ولولا هٰذا الاختلاف الجسماني، وفي بعض الحالات الروحية لكانت الحياة الإنسانية -بل كل الموجودات الحية في عالم الطبيعة- ناقصةً وغير قادرةٍ على الوصول إلى كمالها المطلوب ما دامت محكومة بقوانين عالم الطبيعة.. فجعل إنسانٍ رجلاً وآخر امرأةً عين العدل المبتني على الحكمة والمصلحة. والنتيجة أن الاختلاف الجسماني، وفي بعض الحالات الروحية عين العدل، فالاختلاف في

غلبة البعد التعقلي على العاطفي في أحدهما، وغلبة البعد العاطفي على التعقلي في الآخر لأجل مدخليته ـ أي هٰذا الاختلاف ـ في رفع الحاجات وفي الوصول إلى الكمال والسعادة في الدارين لا يوجب نقصاً وعيباً لأحدهما في إنسانيته، كما لا يحطّ من قيمته وشرافته وكرامته المعنوية، فلا إنسانية الإنسان ترتقي أو تنحط باختلاف هٰذه الحالات، ولا قيمته المعنوية تختلف باختلافها؛ فإن إنسانية الإنسان بروحه لا بهذه الحالات والأوصاف، كما أن قيمته المعنوية بالإيمان والتقوى والعمل الصالح.

إذا تبين ذٰلك نقول إن المرأة كالرجل قادرة على ارتقاء أعلى مراتب الكمال فتصبح بذلك قدوة ومثلاً للمؤمنين والمؤمنات، كما تتمكن كالرجل من الخروج عن الإنسانية وعن كرامتها وقيمتها المعنوية بالكفر والطغيان فتصبح مثلاً للذين كفروا؛ قال الله العظيم في كتابه الكريم ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) من أصدق مصاديق الكوثر ـ الخير الكثير ـ قبال ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾، وقد ورد في شأن زينب الكبرى (سلام الله عليها) أنها عالمة غير معلمة، وفي شأن الزهراء،

(١) سورة التحريم: ١٠ـ١٢

وفاطمة المعصومة (سلام الله عليهما) قول المعصوم (النبي ﷺ، والإمام الكاظم عليه السلام): «**فداها أبوها**» ثلاث مرات وسيأتي تفصيل ذٰلك إن شاء الله تعالى.

وعلى ضوء ما ذكرنا يجب التدقيق في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام حول المرأة، والتي يستشم منها في النظرة الأولى ذم المرأة أو نقصها وكونها معيبة بمجرد كونها امرأة، مما أدى إلى اشتباه الأمر على البعض وحدوث شبهات في أذهانهم حول صدور هٰذه الكلمات عنه عليه السلام.

فكيف يمكن التوفيق بين هٰذه الكلمات وبين ما نعلمه من الكتاب والسنة والعقل من كون المرأة إنسانة كالرجل، وأنها مثله في القدرة على أن تصبح قدوة وأسوة ومثلاً للمؤمنين والمؤمنات كما أنها مثله في قابليتها لأن تصبح مثلاً للذين كفروا؟ فعلينا أن ندقّق في هٰذه الكلمات ثم نتأمل فيما يذكره هو عليه السلام وكذا القرآن والسنة النبوية ﷺ عن سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وغيرها من النساء الكاملات اللاتي أصبحن أسوة ومثلاً للذين آمنوا ـ رجالاً ونساءً ـ ليتبين لنا أن كلامه عليه السلام غير ناظر إلى كون الأنوثة في حدّ ذاتها نقصاً بل إن النقص وارد في بعض الصفات قبال كمالها في صفات أخرى في مقابل الرجل الذي هو أيضاً تكون بعض صفاته ناقصة إلى جانب كماله في صفات أخرى، وبذلك يحدث التوازن بينهما فيكون كل منهما مكمّلاً للآخر وغير مستغنٍ عنه، وحتى في الأحكام الشرعية فإنه إذا كان هناك حكم يكون بظاهره في صالح الرجل فإن هناك حكماً قباله في صالح المرأة، وستأتي الإشارة إلى ذٰلك فيما سيأتي من أبحاث.

نماذج من كلماته عليه السلام حول المرأة

وإليكم نماذج من كلماته عليه السلام حول المرأة:

١- نواقص العقول:

من جملة الشبهات التي يوردها البعض على النهج الشريف هو أنه يشتمل على مواصفات للنساء لا يقبلها الكتاب والسنة ولا العقل السليم لا سيما في هٰذا العصر الذي نجد فيه أن كثيراً من النساء قد بلغن درجات عليا من الكمالات العلمية والمناصب الاجتماعية، ولا نجد فيهن قصوراً عن الرجال بل قد سبقنهم في بعض المجالات أحياناً، ولكن يظهر من بعض ما ورد في النهج ما ينافي هٰذا الواقع المشهود بالوجدان بادئ الرأي وقبل التدقيق في مغزاه ومن جملة ذٰلك قوله عليه السلام في الخطبة٨٠:

«**معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص العقول، فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد...**»

وفي الخطبة أمور أخرى سنتطرق إليها في الأبحاث القادمة

إن شاء الله تعالى، وأما الآن فنتطرق إلى النقائص المذكورة في كلامه عليه السلام للنساء، ونبدأ من النهاية فنقول مستعينين بربنا الكريم:

هناك وجوه وأقوال متعددة في تفسير كون النساء نواقص العقول والإجابة على الشبهة المذكورة المتعلقة بالبعد العقلاني في المرأة، ومن جملتها:

١- المقصود عائشة:

إن مقصود أمير المؤمنين عليه السلام من النساء عائشة حيث أن هٰذه الخطبة صادرة منه عليه السلام عقيب حرب الجمل، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: (وهذا الفصل كله رمز إلى عائشة، ولا يختلف أصحابنا في أنها أخطأت ثم تابت وماتت وأنها من أهل الجنة)[1].

ثم يتطرق إلى مواقفها قبال ثالث الخلفاء عثمان بن عفان، وأنها أول من سمته بالنعثل وكانت تقول: (اقتلوا نعثلاً! قتل الله نعثلاً)، ثم يذكر خروجها إلى البصرة بعد مقتل عثمان بسبب عدم قبولها لولاية علي عليه السلام، وأنها لما أخبرت بذلك في مكة قالت: (لوددت أن السماء أطبقت على الأرض إن تمّ هذا..).

فيكون نقصان العقل في الخطبة وصفاً مختصاً بعائشة وليس عاماً لجميع النساء كي يعد ذٰلك النقصان من ميّزات المرأة قبال الرجل. فهل يمكن الالتزام بهذا الرأي لحل الشبهة؟

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد : ج٦ ص٢١٤

تحليل هٰذا الرأي:

الواقع هو أنه لا يمكن الالتزام بهذا الرأي لعدة أمور:

فأولاً: قد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام لفظاً عاماً محلى بالألف واللام المفيد للاستغراق والشمولية لجميع الأفراد؛ وهو قوله عليه السلام (النساء) فكيف يمكن أن يذكر عليه السلام جميع النساء ويقصد امرأة واحدة؟! أفهل كان قد تأثر بحرب سبّبتها امرأة واحدة فنسب النقص إلى جميع النساء جراء ذٰلك التأثر الروحي من تصرفها الخاطئ؟ أم أنه (صلوات الله عليه) لم يكن بليغاً فصيحاً فعبّر بلفظ الجمع الشامل للجميع وقصد فرداً واحداً من دون أن يكون هناك مناسبة وعلاقة للتعبير المجازي؟ مع أن استعمال العام واستثناء الأكثر مستهجن كما قرر في علم الأصول.

الحقيقة أن علياً عليه السلام أجلّ شأناً من أن ينسب النقص في العقل ـ وكذا في الإيمان والحظ ـ إلى جميع النساء لأجل فعل امرأة واحدة ولأجل تأثره الروحي من تصرفها الخاطئ؛ فإنه عليه السلام في أعلى مراتب العصمة، وأما البلاغة والفصاحة فالكل يشهد بأنه في قمتها وأن كلامه عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، فكيف يمكن القول بأنه استعمل لفظاً عاماً وأراد مصداقاً خارجياً واحداً فقط، نعم هناك موارد قد استعمل العام فيها وأريد الخاص في القرآن الكريم بحسب التنزيل إلا أن هناك وجوهاً بلاغية ومعنوية قد سوّغت ذٰلك الاستعمال، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1]؛

(١) سورة المائدة: ٥٥.

حيث أن المعلوم من الروايات والتفاسير أن المقصود من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام مع أن اللفظ عام ولكن المسوِّغ لهذا التعبير أمران الأول: أن الآية وإن كانت بحسب التنزيل مختصة بعلي عليه السلام إلا أنها شاملة لجميع الأئمة عليهم السلام من حيث التأويل؛ فالمجيء بلفظٍ عام له مسوغه الأدبي وهو وجود المصاديق المستقبلية الذين ستنطبق الآية عليهم في المستقبل، وقد ورد في أحاديثنا أن المقصود من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الآية هم الأئمة عليهم السلام وأنهم جميعهم قد آتوا الزكاة في الصلاة وهم راكعون، والثاني: أن علياً عليه السلام في أعلى مراتب الإيمان وجامع لجميع كمالات جميع المؤمنين من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو وحده كأنه جميع الأمة الإسلامية وجميع المؤمنين كما أن إبراهيم كان أمة، وأن سيدة النساء لوحدها هي (النساء) في آية المباهلة و...، ولكن لا نجد شيئاً من هٰذه المسوّغات في هٰذه الخطبة فيكون التعبيرعن عائشة بالنساء في مقام الذم وليس المدح _ كما هو المفروض في هٰذا الرأي _ خلافاً للبلاغة والفصاحة العاديين فكيف بخطبة مَن كلامُه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق العظيم.

هذا مضافاً إلى أنه لو كان المقصود عائشة فقط لكان كلامه عليه السلام في مقام الذم _ كما أشرنا_ لا في مقام بيان حقيقة تكوينية في المرأة، وإذا كان كذلك لم يكن لائقاً بالمؤمن أن يذكر لفظاً عاماً في مقام الذم ويقصد مصداقاً واحداً من ذٰلك العام فيستشم منه أنه يذم الجميع، فكيف بأمير المؤمنين عليه السلام حيث أن كلامه سند إسلامي وصدور أمثال هٰذه العبارات التي يستشم منها الذم لجميع النساء يثير الشبهات والاشكالات على أصل الاسلام والدين الإلهي، فكان من

الممكن أن يذكر لفظ المفرد بل يذكر عائشة بالإسم من دون خوف ولا حدوث محذور يمنع من التصريح لأنه عليه السلام أولاً قد صدرت هٰذه الخطبة منه بعد حرب الجمل فالكل يعرف أنه عليه السلام يشير إلى عائشة بهذه المواصفات ـو إن كانت أوصافاً عامة لجميع النساء كما سيأتي ـ فلا فرق في ذٰلك بين أن يصرح أو يأتي بلفظ عام يكون المقصود منه معلوماً بالقرائن القطعية، وثانياً قد صرح عليه السلام في مواضع أخرى من خطبه بذم ما فعلته عائشة بل قد عاتبها نفسها علناً حتى نُقل لنا عتابه عليه السلام كما ستأتي الإشارة إلى ذلك، فلا مجال للقول بأن التقية اقتضت عدم التصريح بإسمها، وأية تقية بعد هٰذه الحرب وانتصاره فيها.. فهذا كله اولاً في عدم إمكان المساعدة على هٰذا الرأي في تفسير كلامه عليه السلام حول نقص العقل و.. في النساء.

وأما ثانياً فليس هٰذا الكلام حول نقص العقل و.. مختصاً بأمير المؤمنين عليه السلام بل قد ورد ذٰلك في روايات أخرى حتى من طرق العامة ـ أهل السنة ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ففي صحيح مسلم ج١ ص٦١ ومسند أحمد ج٢ص٦٧ وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال مخاطباً النساء:

«..**وما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبّ منكن، قالت (امرأة كانت هناك) وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما (لا) تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين**».

ولم يكن هٰذا الكلام صادراً في حرب أو وقعة أخرى كان سببها النساء، فلو كان سبب هٰذا الذم ـ حسب هٰذا التفسير ـ هو خروج عائشة على إمامها أميرالمؤمنين عليه السلام لما كان لصدور هٰذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجه، ولهذا لا يمكن القول بأن عائشة هي المصداق

الوحيد لهذه الخطبة وأنه عليه السلام لم يكن له هدف وراء هٰذه الخطبة سوى ذمها على ما فعلته قبال إمام زمانها عليه السلام.

وأما ثالثاً فقد علّل علي عليه السلام نقصان عقولهن بأن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد وهذا مضافاً إلى كونه حكماً شرعياً وموجوداً في الشريعة المقدسة ولامدخلية لفعل عائشة وخروجها على الإمام عليه السلام فيه، لا يختص بعائشة فإن صريح القرآن يقضي بأن شهادة النساء في الأمور المالية تعدل نصف شهادة الرجال وذلك في قوله تعالى: ﴿..وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾[1].

ب- نقص عقلها ظاهرة إجتماعية: النظرية الثانية في تفسير كلامه عليه السلام «**بتبيين منا**» هي إن نقص العقل في المرأة ظاهرة إجتماعية وليس أمراً تكوينياً، فالظروف والعلاقات الإجتماعية هي التي فرضت على المرأة أن تبقى ناقصة العقل حيث أنها لم تجد- جراء تلك الظروف وظلم الرجل بحقها- أرضية الازدهار العقلاني والخروج من القوة إلى الفعل في الكمالات العقلية فأمير المؤمنين عليه السلام- وفقاً لهذا الرأي - يشير إلى هٰذه الظاهرة الإجتماعية التي منعت النساء من الرقي العقلاني وليس بصدد بيان أن نقص العقل في النساء أمر تكويني خلقي بل مراده النساء كالرجال بحاجة إلى ظروف ملائمة لإثارة دفائن عقولهن، ومما يؤيد ذٰلك هو أننا نجد أن كثيراً من النساء في العصور المتأخرة قد بلغن المراتب والدرجات العلمية الراقية وذلك لأجل إتاحة الفرصة لهن وفتح مجال

(١) سورة البقرة: ٢٨٢.

التعلم وتمهيد أرضيته لهن.

تحليل الرأي الثاني:

إن هٰـذا الـرأي وإن كان حقـاً وصادقـاً فـي حـد ذاتـه حيـث أن الظروف الإجتماعية وثقافة المجتمعات البشـرية طـوال التاريخ منعت من دخول المرأة في كثيـر من الأعمال وسـاحات ازدهـار القابليات[1] إلا أن كلام أميـر المؤمنيـن عليه السلام في هٰـذه الخطبة غير قابـل الانطباق علـى ذٰلـك فـإن عـدم ملائمـة الظـروف الاجتماعيـة لايعنـي نقصـان العقل أو التعقـل- إن حمل العقل على معناه المصدري كما سـيأتي تأييده-، هٰـذا مضافاً إلى أن الدليـل الذي يذكره أميـر المؤمنين لهذا النقصان لا يتناسـب مـع هٰذا المدعى فأيـة علاقة بين كون شـهادتهن نصـف شـهادة الرجـال وبيـن كـون الظـروف الإجتماعيـة مانعـة مـن وصولها درجـة الكمـال العقلانـي، ولـو كان ذٰلك صحيحاً لـكان من الضـروري تبـدل الحكـم الشـرعي بتبـدل تلـك الظـروف بمعنـى أنه لـوكان نقصان عقولهـن بمعنـى أن الظـروف الإجتماعيـة منعتهن من التكامـل العقلاني فبقيـت عقولهن ناقصـة وهذا هو السـبب في كون شـهادتهن تعادل نصف شـهادة الرجال لكان من الضـروري أن يتبدل هٰذا الحكم - وهو الحاجة إلى شهادة امرأتين بدلاً عن رجل واحد- وينتفي بإنتفاء ذٰلك الملاك، فلو توفـرت لها ظروف التكامل العقلاني وارتقـت وأصبحت خبراتهـا وتجاربهـا وعلمها وتعقلهـا كالرجال أو أعلى وأرقى منهم كانت شـهادتها كشـهادة الرجـل الواحد لا نصفها،

(١) وقد ذكر العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان ج٢ ص٢٦٠ الكثير من أنواع الظلم الواقع على المرأة في المجتمعات البشرية.

وهذا مما لا يلتزم به أحد حتى أصحاب هٰذا الرأي فلو أن امرأة ما بلغت أعلى مراتب العلم والكمال العقلي لم يكن شهادتها معادلة لشهادة الرجل شرعاً إلا إذا أورثت العلم والإطمئنان فتُقبل ولكن لا لأجل كون شهادتها تعدل شهادة الرجل بل لأجل حصول العلم أو الاطمئنان الذي يعتبر حجة شرعية في حد ذاته ـ بناءً على جواز الحكم بالعلم للقاضي او في الأبواب التي يجوز الحكم فيها بالعلم ـ.

فهذه الإشكالات وأمثالها دليل على أن مقصود أمير المؤمنين عليه السلام غير ما يراه أصحاب هٰذا الرأي وأن هٰذا النقص يرجع إلى وجود اختلاف تكويني بين الرجل والمرأة من دون أن يستلزم نقصاً في انسانيتها وكرامتها الانسانية قبال الرجل كما سيأتي بيانه عند طرح الرأي الصائب من وجهة نظرنا في تفسير هٰذا الكلام.

ج ـ سوء الحفظ: يرى البعض أن العقل في هٰذه الخطبة بمعنى قوة الضبط والحفظ والشاهد على ذٰلك قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[1]، فيفسر صاحب هٰذا الرأي الضلال في قوله تعالى ﴿أَن تَضِلَّ﴾ بالنسيان ويستنتج من ذٰلك أن المرأة قليلة الحفظ فتحتاج إلى امرأة أخرى تذكرها، فيرى هٰذا القائل أن مراد الإمام عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ونواقص العقول﴾ نواقص الحفظ وأن حفظها وضبطها وذاكرتها نصف الرجل.

(١) سورة البقرة: ٢٨٢

تحليل الرأي الثالث:

يبتني هٰذا الرأي على كـون العقل بمعنى الحفـظ والضبط وعلى كون المرأة سـيئة الحفـظ وأنها أقل حفظـاً وضبطاً مـن الرجل وعلى كون الضلال في الآيـة الكريمة بمعنى النسـيان، ويمكـن الخدش في الأساسـين الأخيرين فإنه لـم يثبت شـرعاً ولا علمياً كون المـرأة أقل حفظاً وأكثر نسـياناً من الرجل ولـم يأت لفظ الضلال بمعنى النسـيان في اللغة وبهذا الاعتبار نقـول أن حمل كلامه عليه السلام علـى ما لم يثبت شـرعاً ولاعلميـاً غيـر صحيـح بل قـد يدخـل فـي تفسـير كلام اهل بيـت الوحي عليهم السلام بالـرأي، المحظـور شـرعاً والمؤدي إلـى الانحراف وتحريف الديـن ومعارفـه، كما أننـا ـ وبهـذا الاعتبار الـذي ذكرناه ـ نتمكن من قبول اشكال من استشكل على هٰذا القول بأنه لـم يرد لفظ (تضل) بمعنى (تنسـى) في اللغة فـلا يمكن اسـتنتاج المطلوب لأنه يبتني على معنى خاطىء للضلال.

نعم قد أورد على هٰذا الرأي اشكالان قابلان للدفع وهما:

١ـ لم يرد العقل بمعنى الحفظ والضبط.

٢ـ لا يختـص النسـيان بامـرأة واحدة فلو كانـت المـرأة بما أنها امرأة تعانـي من مشـكلة النسـيان فسـتكون المشـكلة باقيـة حتى إذا انضمت إليها امرأة اخرى.

فهذان الاشـكالان غيـر واردين، أمـا الاول فلـورود العقـل بمعنى الضبط والحبس، قـال الطريحي رحمه الله في مجمـع البحرين: قول تعالى ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾٢/١٧١ العاقـل هـو الـذي يحبس نفسـه ويردها عـن هواها ومن هٰذا قولهم: اعتقل لسـان فلان: إذا حبس ومنع مـن الكلام ومنه عقلـت البعيـر، وفـي الحديـث: «**إذا تم العقل نقص الكلام**» قال بعض

الشارحين: وذلك لضبط العقل إياه ووزنه.... وفي الحديث: «**لسان العاقل وراء قلبه**» يريد أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة... والعقل: الدية وأصله أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول أي شدّها في عقلها ليسلمها إليهم... والعقل بضمتين وسكون الثانية جمع العقال وهو الحبل الذي يشد به البعير، والإبل المعقلة: المشددة بالعقل.[1]. فتبين بذلك أن العقل قد ورد بمعنى الضبط والحبس والشدّ وكذا ما يشدّ به الشيء وهو الحبل فالإشكال على هٰذا الرأي بعدم ورود العقل بمعنى الضبط غير وارد.

وأما الاشكال الثاني فلأن مشكلة النسيان إن كانت موجودة في المرأة اكثر من الرجل وقلنا بأن قوله تعالى: (تضل) بمعنى تنسى، تقلّ نسبتها مع التعدد بمعنى أن احتمال النسيان فيما إذا كانت الشهادة من امرأة واحدة أقوى من حالة تعدد الشهداء وإن لم يزُل احتمال النسيان تماماً مع التعدد أيضاً ولكن زواله تماماً غير مطلوب في حجية البينة والشهادة لأن هٰذا الاحتمال موجود في شهادة الرجال أيضاً ولكنه لضعفه لا يضر بالحجية ويُنفى بأصالة عدم النسيان كما أن احتماله واحتمال الخطأ يُنفيان في نقل الخبر بأصالة عدمهما، فهذا الاشكال أيضا غير وارد على هٰذا الرأي ويبقى عليه عدم ورود الضلال بمعنى النسيان وعدم وجود الدليل من العقل والنقل والعلم (العلوم التجريبية) على كون حفظ المرأة بما أنها امرأة أقل من الرجل بما هو رجل، نعم يمكن إرجاع هٰذا الرأي إلى ما نراه صحيحاً في تفسير كلام الأمير عليه السلام على ما سيأتي بيانه إن شاء

(١) مجمع البحرين: ج٣ ص ٢٢٣_٢٢٧.

الله تعالى.

د- الجدلية: هناك رأي أراد حل المشكلة من الاساس في جميع الموارد المذكورة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام من نقص العقل والايمان والحظ في الإرث، فيدعي صاحب هٰذا الرأي أننا لا نحتاج إلى الدخول في تفاصيل الخطبة وحل المشكلة في كل جملة جملة، بل هناك حلّ واحد لجميع الفقرات وهو كونه عليه السلام في مقام المحاجة الجدلية وبيان ذلك: أن من جملة أساليب المحاجة والاستدلال هو الاستدلال الجدلي الذي أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[1] والجدل هو الاستدلال على أساس ما يعتقده الخصم لإبطال معتقده ومدعاه سواء كان موافقاً لعقيدة المستدل أيضاً أم لا، فمن المحتمل أن يكون الامام عليه السلام في هٰذه الخطبة في جميع فقراتها في مقام الاستدلال الجدلي حسب معتقد الخصم والمخاطب.

تحليل الرأي الرابع:

يرد على هٰذا الرأي عدة إشكالات: أما أولاً فلأن الجدل وإن كان هو الاستدلال وفقاً لمعتقد الخصم ولكن من وجهة نظر القرآن يلزم أن يكون بالتي هي أحسن لا السّيء ولا الحسن وكما أن الاسلوب الأحسن من اللين والرفق والخُلق الحسن من جملة الجدال بالتي هي أحسن كذلك مضمون الدليل يلزم أن يكون له حظ من الواقعية والحقيقة وإلا لزم إثبات الحق بالباطل- وإن كان ذٰلك أيضاً مما

(١) سورة النحل: ١٢٥.

لا بأس به في مقام المناقضة على حد تعبير العلامة الطباطبائي قدس سره حيث قال: (.. والدعوة إليه بالمجادلة مثلاً بالمسلمات الكاذبة التي يتسلمها الخصم لإظهار الحق إحياءٌ لحق بإحياء باطل وإن شئت فقل: إحياء حق بإماتة حق إلا أن يكون الجدال على سبيل المناقضة...ويتحرز المجادل مما يزيد في تهييج الخصم على الرد والعناد وسوقه إلى المكابرة واللجاج واستعمال المقدمات الكاذبة وإن تسلّمها الخصم إلا في المناقضة، ويتحرزسوء التعبير والإزراء بالخصم وبما يقدسه من الاعتقاد والسب والشتم وأي جهالة أخرى فإن في ذٰلك إحياءً للحق بإحياء الباطل أي إماتة الحق كما عرفت، والجدال أحوج إلى كمال الحسن من الموعظة ولذلك أجاز سبحانه من الموعظة حسنتها ولم يجز من المجادلة إلا بالتي هي أحسن)[1].

ومن المعلوم أن علياً عليه السلام هو القرآن الناطق فلا يميل عنه قيد أنملة ورأس إبرة فلا يمكن أن يستدل بالأوهام الباطلة على شيء.

وأما ثانياً فإن الاستدلال الجدلي هو إثبات شيء أو إبطال معتقد للخصم عن طريق مقدمات مقبولة لديه، فما الذي يريد أن يثبته أميرالمؤمنين عليه السلام عن طريق نقص العقول والايمان والحظوظ، نعم سيأتي منا أنه عليه السلام بصدد إثبات شيء ولكن ذٰلك الشيء الذي يريد إثباته يستند إلى حقيقة النقص لا النقص الموهوم وذلك لأجل أن النقص لو لم يكن حقيقياً لما أمكن استنتاج ما أراد عليه السلام استنتاجه منه وسيأتي ذٰلك في نهاية مباحث النقص إن شاء الله تعالى فانتظره.

وأما ثالثاً فلم يكن النقص الذي يتحدث عنه أمير المؤمنين عليه السلام من المسلّمات لدى مخاطبيه ومستمعي خطبته بل هو الذي أراد

(١) تفسير الميزان : ج١٢ ص٣٧٢

إثباته لهم ولهذا استند إلى أدلة أخرى مقبولة لدى المخاطبين فلو كان جدال فهو في الجانب المقابل بمعنى أنه يريد إثبات النقص بالأدلة المقبولة لدى المتكلم المستدل والمخاطب جميعاً لا أنه يريد إثبات شيء آخر عن طريق النقص المقبول لدى المخاطب غير المقبول لدى المتكلم وإلا لما احتاج في إثباته إلى الاستناد إلى كون شهادة النساء نصف شهادة الرجال وإلى القعود عن الصلاة والصيام وإلى كون مواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال.

وأما رابعاً فإن الأدلة التي استند إليها أمير المؤمنين عليه السلام لاثبات النقص في هٰذه الجوانب أوصاف بل أحكام شرعية ثابتة بأدلة شرعية قاطعة حيث أنه عليه السلام يستشهد لنقصان العقل بكون شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد وهذا حكم ثابت بالقرآن الكريم وكذلك فيما يتعلق بنقصان الايمان والحظوظ فإن دليلهما من القرآن أو السنة القطعية فلا يمكن أن يكون عليه السلام في مقام الاستدلال الجدلي الذي يرتضي الخصم ويتقبل مقدماته ثم يستند لاثبات نفس تلك المقدمات إلى ما هو حق وصحيح، لايقال أن الجدل لا ينحصر بكون المقدمات مقبولة لدى الخصم فقط بل قد تكون مقبولة لدى المستدل أيضاً، لأننا نجيب بأن ذٰلك صحيح في محله إلا أنه منافٍ لما يريده صاحب هٰذا الرأي حيث أنه يريد أن يقول أن نقص العقل والإيمان والحظ (أو على أقل تقدير نقص العقل والايمان) ليس من الأمور التي يؤمن بها أمير المؤمنين عليه السلام وإنما ذكر صلوات الله عليه هٰذه الأمور وفقاً لما يؤمن به الخصم وإلا فهو لا يؤمن ولا يعتقد بكون المرأة ناقصة العقل والايمان، هٰذا مضافاً إلى أن المشكلة ستبقى على حالها فيما لو قلنا بأن أمير المؤمنين عليه السلام جادلهم بما

يرتضيه ويقبله هو ومخاطبوه جميعاً فإن المشكلة في أنه لماذا يعتبر أمير المؤمنين والاسلام أن النساء نواقص العقول والايمان والحظوظ؟ وكيف يمكن تفسير ذٰلك بما لا يخالف مفاهيم الاسلام ولا يتنافى والواقع ؟

وأما خامساً فلأن من المحتمل قوياً أن يكون عليه السلام في مقام بيان أن السبب في كون شهادتهن على النصف والسبب في تركها للصلاة والصيام و..هو هٰذا النقص فهذا النقص مفروغ عنه لا أنه غير مقبول لديه وإنما أتى به لكونه مقبولاً لدى الخصم. إلى غير ذٰلك من الاشكالات الواردة على هٰذا الرأي.

والجدير بالذكر أن المرحوم العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري تطرق إلى هٰذا الرأي في شرح نهج البلاغة بصورة إجمالية وأجاب عنه جواباً واحداً فقط وذلك بالاشارة العابرة[1].

وهناك آراء أخرى في جواب هٰذه الشبهة التي أوردت على كلامه عليه السلام لا نرى ضرورة في نقلها وبسطها ونقدها وقد يكون بعضها قابلاً للادراج فيما نراه صحيحاً وحقاً في تفسير مراده عليه السلام ولهذا ندخل في بيان ذٰلك حتى يتبين لنا أولاً مقصوده عليه السلام، وجواب الشبهة ثانياً فنقول مستعينين بربنا الكريم.

ذـ غلبة البعد العاطفي على العقلاني:

سبق في مقدمة البحث أن كل واحد من الرجل والمرأة مكمل للآخر في مسيرة الحياة المادية والمعنوية، ففي ميزان العدل المبتني على الحكمة والمصلحة يجب أن يجعل في كل منهما ما يكمّل الآخر وما يرفع حاجته في جميع ما يتعلق بمعاشه ومعاده، وبما

(١) راجع شرح نهج البلاغة ج١١ ص٢٨٩.

أن الرجل هـو القائم بالأعمال المتعلقة بالأسـرة في خـارج البيت من التجـارات والصناعـات وسـائر المعامـلات والتعامـلات مـع الآخرين غالباً فهـو محتاج إلـى قوة عقلانيـة كي يتمكـن من اتخـاذ القرارات الصحيحـة السـليمة المبتنية علـى العقـل والعقلانية وكـي لا ينخدع في معاملاته و.. وبمـا أن المرأة أيضـاً هي القائمة بالأعمـال الداخلية المحتاجـة إلى قـوة العاطفـة كتربيـة الأولاد فهـي أيضـاً محتاجة إلى قوة عاطفية.

فالعـدل المبتني علـى الحكمـة وعلى مصلحـة الأسـرة وكل من الرجـل والمـرأة، يقتضـي أن تكـون القـوة التعقليـة في الرجـل قوية وبقوتها يضعف تأثير القوة العاطفية فيه، كما يسـتلزم أن تكون القوة العاطفية في المرأة قوية وبقوتها يضعف تأثير القوة التعقلية فيها.

وعلـى هٰـذا الأسـاس لا يمكـن القـول بـأن أميـر المؤمنيـن عليه السلام بصدد بيـان أن المـرأة في حـد ذاتها ذات منقصـة بنقـص العقل فيها وأن الرجل بما انه رجل ذو منقبة بكمال العقـل، بل يريد بيان حقيقة تكوينية فيهما وهو أن المرأة قـد أعطاها الله قوةً في العاطفة لحاجتها إليها في حياتها لمعاشـها ومعادها وبطبيعة الحـال يضعف فيها تأثير البعد العقلاني في الوقائع الحسّاسـة والمثيرة للعواطف، ولكن حاجة الرجـل إلى قـوة العقـل والتعقـل أكثر مـن حاجته إلـى قـوة العاطفة ولهذا أعطاه القوة فـي التعقل فضعف بذلك تأثيـر العاطفة فيه، ومما يشـهد لذلك هو أن الإمام عليه السلام يسـتند فـي إثبات نقصان هٰـذا العقل في المرأة إلى كون شـهادة اثنتين كشـهادة رجل واحد، ومن الوضوح بمكان أن ذٰلـك لا يرتبط بضعف أصـل العقل وأنه ناقـص في المرأة لأن مشـاهدة الواقعة التي يراد إثباتها عن طريق الشـهادة عند القاضي

لا مدخلية لقوة العقل وضعفه فيها، وما يمكن أن يكون دخيلاً في جعل شهادة اثنتين كشهادة رجل واحد هو قوة تأثّرها بالعواطف التي قد تمنعها من بيان الواقع الذي شاهدته وأدركته بعقلانية تامة من دون تغيير لا إرادي فيه، وغالباً تحدث في المحاكم هٰذه الحالات المثيرة للعواطف والاحساسات التي تمنع ذوي العواطف القوية من التأمل الدقيق وإدلاء الشهادة وفقاً لذلك فيضلون ويضيع الحق في ركام عواطفهم، والانسان المتصف بهذه الصفة محتاج إلى من يذكره الحق كي لا يضيع بين عواطفه.

وبهذا يمكن تفسير الآية ـ آية الشهادة ـ أيضا حيث أن معنى الضلال في قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ هو الضياع فيكون المعنى ـ والله العالم ـ: أن تضيع إحداهما وتغفل عن الواقع الذي شاهدته لوجود الأحداث والمشاهد المثيرة للعواطف والإحساسات فتضل وتغفل عن الواقع وأصل القضية ويلتبس عليها الأمر فتشهد بما يخالف ما شاهدته، ويرجع ذٰلك إلى نسيان الواقع ـ كما سبق في بعض الأقوال والآراء المتقدمة ـ وقد فسّر بعض المفسرين الضلال في الآية بالنسيان بقرينة المقابلة بالتذكير في قوله تعالى: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾.

ومن جملة الشواهد لما قلناه من أن العاطفة القوية مانعة من كمال تأثير البعد العقلاني في المرأة هو قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1] حيث أنه تعالى نفى عن نفسه أن تكون له بنات

(١) سورة الزخرف: ١٦ـ١٨.

وجعل من جملة أسبابه ـ مضافاً إلى الاستحالة الذاتية المبيَّنة في محلها ـ أنه لا يليق به تعالى أن يجعل لغيره البنين ثم يتخذ لنفسه البنات وعدم كون ذٰلك لائقاً به ليس دليله كون البنات أقل شأناً وأنقص وجوداً من البنين بل لأن البنات خُلقن بنحو تكون العاطفة فيهن قوية، وقوة العاطفة التي هي من مظاهر الجمال، توجب حب الجمال والزينة ولهذا تتربى البنات في الزينة غالباً وهذا ما يمنعهن من استخدام القوة العقلانية بشكل كامل ولهذا يضعفن عن خوض الخصومات العلمية غالباً لا لأجل عدم وجود المعلومات أو عدم القدرة على إدراكها وفهمها بل لأجل عدم تمكنهن من بيان مقاصدهن العلمية بشكل دقيق لأجل ان العاطفة التي ساقتهن إلى النشوء في الزينة تمنعهن من الخوض في المعارك الدقيقة العقلية والعلمية ولهذا نجد أن القرآن يعبّر عمن ينشّؤ في الحلية بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ١٨﴾ ولم يقل: (غير مدرك) أو (لا يعقل) بل لا يبيِّن وعلى حد تعبير المرحوم الشيخ الطوسي هو ناقص عن دفع الخصم الألدّ بحسن البيان عند الخصومة[1] ويقول العلامة الطباطبائي: (أي أو جعلوا لله ﷻ من ينشّؤ في الحلية أي يتربى في الزينة وهو في المخاصمة والمحاجة غير مبين لحجته لا يقدر على تقرير دعواه. وإنما ذكر هذين النعتين لأن المرأة بالطبع أقوى عاطفة وشفقة وأضعف تعقلاً بالقياس إلى الرجل وهو بالعكس ومن أوضح مظاهر قوة عواطفها تعلقها الشديد بالحلية والزينة وضعفها في تقرير الحجة المبني على قوة التعقل)[2].

(١) راجع تفسير التبيان: ج٩ ص١٨٩ـ١٩٠.
(٢) تفسير الميزان: ج١٨ ص٩٠.

النتيجة:

فتحصل من مجموع ما تقدم أن كلاً من الرجل والمرأة مكمل للآخر في مسيرة الحياة المادية والمعنوية فمن المعقول بل من الضروري أن يكون تأثير العاطفة في المرأة أقوى من الرجل وتأثير البعد العقلاني في الرجل أقوى من المرأة فيضعف البعد الآخر في كل منهما، وكما لا يمكن عدّ ضعف القوة العاطفية نقصاً في الرجل لا من حيث أصل الوجود ولا من حيث القيم المعنوية والكرامة لدى الله تعالى ولا نقصاً في أصل عاطفته، كذلك لا يمكن عدَ ضعف تأثير البعد العقلاني في المرأة لقوة عاطفتها، نقصاً فيها لا من حيث أصل الوجود ولا من حيث القيم المعنوية والكرامة عند الله سبحانه ولا نقصاً في أصل عقلها وإن كان هناك نقص ففي تأثير البعد العقلاني لا أصل العقل ولكن يقابل ذٰلك نقص تأثير العاطفة في الرجل، كما أن ضعف التعقل (وليس العقل) في المرأة منجبر بقوة العاطفة فيها لكونها أشد حاجة إلى العاطفة من العقل وكثيراً ما تتمكن من الوصول إلى مقاصدها عن طريق عاطفتها- ولعلنا نشير إلى ذٰلك في قادم الأبحاث إن شاء الله تعالى- وكذلك ضعف تأثير العاطفة في الرجل منجبر بقوة التعقل وتأثير البعد العقلاني فيه لكونه أشد حاجة إليه من العاطفة القوية وكثيراً ما يتمكن من الوصول إلى أهدافه عن طريق عقله وتدبيره بدلاً من عاطفته.

عود على بدء:

يجدر التأكيد على ما أشرنا إليه قبل قليل وبيّناه في مقدمة هٰذا البحث وهو أن هٰذا التفاوت والاختلاف في قوة التعقل والعاطفة

وضعفهما لا يستلزمان اختلافاً في أصل الإنسانية كما سبق في تبيين قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ ولا في القيم المعنوية والكرامة عند الله ف ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[1] يقول العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري قدس سره ذيل هٰذه الخطبة بعد ذكر الآيتين السابقتين: هناك طائفة ثالثة من الآيات تجعل الرجل والمرأة متساويين في جميع الصفات الرفيعة الانسانية ولا يذر فرقاً وتمييزاً بينهما كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[2] ثم يضيف العلامة الجعفري قدس سره: مع وجود هٰذه الآيات الثلاث التي تجعل ـ وبكل صراحة وبلا إبهام ـ الرجل والمرأة متحدين من حيث الشخصية وعناصرها وأوصافها العالية والقيّمة بعد كل هٰذا يعدّ إهانة المرأة وتحقيرها أو إسناد ذٰلك إلى العقيدة والأيديولوجية الاسلامية نتاج الجهل بمفاد الآيات القرآنية الكثيرة..[3].

فهل يمكن إسناد إهانة المرأة وتحقيرها إلى من هو عِدْل القرآن الكريم؟! وهل يُعقل أن يكون مراده سلام الله عليه التنقيص من شأن المرأة من حيث أنها امرأة مع أن القرآن الذي هو عِدْل علي عليه السلام

(١) سورة آل عمران: ١٩٥.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٥.
(٣) شرح نهج البلاغة باللغة الفارسية: ج١١ ص٢٦٧ـ٢٦٨.

(بل علي هـو القرآن الناطق) يصـرح بعدم الفرق بيـن الرجل والمرأة لا في أصل الانسانية ولا في القيم المعنوية والكرامة الربانية؟!

فلابدّ إذن من أن يكون مراده عليه السلام مـا لا ينافي القرآن الكريم وما ذكرناه من التفسـير لهذه الجملة مـن الخطبة الشـريفة ـ وإن لم ندّع أنه المقصود القطعـي أو الوحيد فقد تكون هنـاك احتمالات أخرى ـ يتناسب وإنسانية المرأة وكرامتها وقيمتها المعنوية.

وقد تسـأل عن حكمة صـدور هٰـذه الخطبة لو لـم يكن عليه السلام في مقام بيان وجود نقائص حقيقية فـي المرأة فأقول أن هٰذا السـؤال في محله ولكن اسـتمر في قراءة الكتاب بدقة حتـى تصل معي إلى نهاية هٰذا المبحث من الكتاب فسنذكر لك الجواب إن شاء الله تعالى.

٢- نواقص الإيمان:

قد تكرر منـا أن الآيات القرآنية وسـائر الأدلة الشـرعية تدل على أنه لا مفاضلة بين جنسي الإنسان في أصل الانسانية وفي القدرة على تحصيل القيم المعنوية وأن التفاضل في هٰـذا الأخير إنما يكون على قدر سـيرهما الاختيـاري نحـو الكمال وتحصيـل رضا الرب سـبحانه وليس نتاجـاً للرجولـة أو الأنوثـة، ولا منقصة في أحدهمـا من حيث قابليـة الوصـول إلى مـدارج الكمـال والقـرب العبـودي فـلا الرجولة تجعل الرجـل ذا قابليـة أعلى في سـيره نحـو الكمـال والوصول إلى درجة العبودية التامة لله تعالـى ولا الأنوثة مانعـة أو موجبة لبطء ذٰلك السير للوصول إلى كمال العبودية لرب العالمين.

فإذا كان الأمر كما قلنا فماذا يعني قوله عليه السلام في هٰذه الخطبة عن النساء أنهن: «**نواقص الايمان**»؟

للإجابة على هٰذا السؤال يجب التوقف عند لفظ الإيمان لنعرف معناه وحقيقته ولوازمه وإطلاقاته وفرقه مع العلم والعمل ليتبين لنا مقصوده عليه السلام من كونهن نواقص الإيمان.

الإيمان لغةً مأخوذ من الأمن فهو من باب الإفعال ويعني جعل الانسان نفسه أو غيره في الأمن وأن يحرس نفسه أو غيره من شر أو ضرر أو خطر أو من جميع المذكورات فيلزم أن يكون معناه الشرعي الوارد في الكتاب والسنة ما يوجب الأمان للانسان نفسه أو له ولغيره لدنياه وآخرته كما نستفيد ذٰلك من أمثال قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[1] فيما يتعلق بالدنيا وقوله عزمن قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[2]، فيما يتعلق بالآخرة للإنسان نفسه ولأهله وبشكل عام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذان يعدان من لوازم الايمان أو أجزائه إن قلنا بتركّبه، وقوام هٰذا الأمان في الدنيا من الخوف ومن تطرق الشك والريب في العقيدة الحقة وفي الآخرة من غضب الله تعالى وعذابه، قوامه هو التصديق بالله تعالى وبرسله وسائر العقائد الحقة إلى جانب العمل الصالح، ومحل هٰذا التصديق هو القلب لا العقل الذي هو محل للعلم والمحاسبات العلمية، وقد صرحت الآيات والروايات بذلك- أي بكون محل الإيمان القلب- فقد قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ

(١) سورة الفتح: ٤.
(٢) سورة التحريم: ٦.

﴿ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **لالا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان**»[2]، يقول العلامة الطباطبائي قدس سره في هٰذا المجال: (الايمان تمكن الاعتقاد في القلب مأخوذ من الأمن كأن المؤمن يعطي لما آمن به الأمن من الريب والشك وهو آفة الاعتقاد)[3]. وفي موضع آخر: (الايمان بالشيء ليس مجرد العلم الحاصل به كما يستفاد من أمثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[7]، فالآيات- كما ترى- تثبت الارتداد والكفر والجحود والضلال مع العلم. فمجرد العلم بالشيء والجزم حقاً لا يكفي في حصول الإيمان واتصاف من حصل له به، بل لابد من الالتزام بمقتضاه وعقد القلب على مؤاده بحيث يترتب عليه آثاره العملية ولو في الجملة فالذي حصل له العلم بأن الله تعالى إله لا إله غيره فالتزم بمقتضاه وهو عبوديته وعبادته وحده كان مؤمناً ولو علم به ولم يلتزم فلم يأت بشيء من الأعمال المظهرة للعبودية كان عالماً وليس بمؤمن. ومن هنا يظهر بطلان ما قيل: إن الإيمان هو مجرد العلم والتصديق،

(١) سورة الحجرات: ١٤.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٩.
(٣) تفسير الميزان: ج١ ص٤٥.
(٤) سورة محمد: ٢٥.
(٥) سورة محمد ٣٢.
(٦) سورة النحل: ١٤.
(٧) سورة الجاثية: ٢٣.

وذلك لما مر أن العلم ربما يجامع الكفر. ومن هنا يظهر أيضاً بطلان ما قيل: «**إن الايمان هو العمل، وذلك لان العمل يجامع النفاق فالمنافق له عمل وربما كان ممن ظهر له الحق ظهوراً علمياً ولا إيمان له على أي حال..**»[1] ثم يتطرق ﷺ لبيان أن هٰذا الايمان قابل للازديادوالنقص وللاشتداد والضعف وذلك لأنه يتكون من العلم والعمل وهما قابلان للازدياد والنقص والاشتداد والضعف.

فتبين بذلك أن الإيمان هو العلم والتصديق القلبي الملازم للعمل وليس العلم بمجرده إيماناً كما ان العمل وحده أيضاً ليس إيماناً، وبعبارة أخرى: لا يحصل الأمان عن غضب الله تعالى وعذابه وعن الخوف والخشية من غيره سبحانه ومن البلايا والمصائب والفتن ولا تنزل السكينة الربانية في القلب، ولا يحصل الأمن من تطرق الشك والريب في المعتقدات الحقة، بالعلم المجرد عن العمل ولا بالعمل المجرد عن العلم فالعالم بالحق والتوحيد غير العامل به والعامل بلا عقيدة وإيمان وتصديق قلبي كلاهما خائفان في الدنيا ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾[2] معذبان في الآخرة لا ينقذهم منه شيء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[3] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[4] ولهذا نجد القرآن الكريم والروايات الاسلامية يجمعان بين الايمان بمعنى التصديق القلبي وبين العمل ويصرحان بأن الذي ينقذ

(١) تفسير الميزان : ج١٨ ص٢٥٩.
(٢) سورة آل عمران : ١٧٥.
(٣) سورة المائدة : ٣٦.
(٤) سورة النساء :١٤٥.

الانسان وسائر المكلفين من عذاب الله ويدخلهم الجنة والرضوان هو الايمان والعمل الصالح معاً كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[2] وغيرها من الآيات الكثيرة وكذلك الروايات ومن جملتها الحكمة ٣١ من نهج البلاغة حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**الايمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد**» وفي الحكمة ٢٢٧: وسئل عن الايمان فقال: «**الايمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان**» فكل ذٰلك يدل على ان الايمان هو العلم والمعرفة واليقين مع الالتزام العملي بمقتضاه.

إلى هنا تبين لنا حقيقة الايمان وأنها المعرفة الملازمة للعمل أو أنها مركبة من المعرفة والعمل ولكن قد يطلق الايمان ويراد به أحد الجزئين اوالملازمين أي أنه قد يطلق الايمان ويقصد به نفس التصديق والمعرفة القلبية وذلك فيما يستعمل الايمان مع العمل الصالح في كلام واحد كالآيات السابقة ونظائرها حيث أنه إذا قيل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يتبين أن المقصود من الايمان شيء ومن العمل شيء آخر فيكون المقصود من الإيمان نفس المعرفة والتصديق وذلك لكون العمل مذكوراً بعده، كما أنه قد يطلق الايمان ويقصد به العمل الصالح فحسب وقد ورد ذٰلك في القرآن الكريم وفي روايات كثيرة كقوله تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً

(١) سورة العصر.

(٢) سورة المؤمنون: ١ وما بعدها.

إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[1] وقد فسرت الروايات الواردة من طريق الفريقين الايمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ بالصلاة، ففي تفسير العياشي: قال أبوعمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل ام قول بلا عمل؟ فقال: الايمان عمل كله والقول بعض ذٰلك العمل، مفروض من الله مبين في كتابه واضح نوره ثابتة حجته يشهد له بها الكتاب ويدعو إليه ولما أن أصرف (صرف) نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي: أرأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها؟ وما حال من مضى من أمواتنا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فسمى الصلاة إيماناً فمن أتقى الله حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من جوارحه بما فرض الله عليه لقي الله مستكملاً لايمانه من أهل الجنة ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله فيها لقي الله ناقص الايمان[2]. كما أطلق أمير المؤمنين عليه السلام الايمان على الصبر وجعله الجزء الاساسي منه بحيث لولاه لما تحقق الايمان ولوزال لزال فقال في الحكمة ٨٢ من النهج الشريف: «.. **وعليكم بالصبر فإن الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه**» كما أطلق الايمان على إيثار الصدق على الكذب وعلى.. في الحكمة ٤٥٨ حيث قال: «**الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على**

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) وراجع في تفسير الإيمان في الآية بالصلاة الكافي: ج٢ ص٣٣ الحديث ١، وكذا جامع البيان لإبن جرير الطبري: ج٢ ص١٨ رقم: ١٨٢٠.

الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملك وأن تتقي الله في حديث غيرك» قال محمد عبده:.. وحديث الغير: الرواية عنه، والتقوى فيه: عدم الافتراء عليه، أو حديث الغير: التكلم في صفاته نهي عن الغيبة[1]. إلى غير ذٰلك من الاحاديث المروية عن معادن العلم وأهل بيت الوحي عليهم السلام.

فإذا عرفنا أن الايمان هو التصديق القلبي والعلم الذي يؤدي إلى الالتزام العملي وقد يطلق على التصديق القلبي قبال العمل الصالح وقد يطلق على العمل الصالح من باب استعمال الكل وإرادة الجزء او استعمال الملزوم وإرادة اللازم او غير ذٰلك من الاحتمالات، إذا عرفنا كل ذٰلك فعلينا أن نتأمل وندقق في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لنعرف ما يقصد من قوله صلوات الله عليه: **«نواقص الايمان»**.

وفقاً لإطلاقات الايمان يكون لدينا عدة احتمالات في المقصود من هٰذا الايمان الناقص في النساء:

١ـ أن يكون المقصود الايمان بمعناه الحقيقي أي التصديق القلبي الذي يدفع الانسان نحوالعمل ويسوقه إلى الالتزام العملي بمقتضى إيمانه والعمل بالتكاليف الشرعية.

٢ـ أن يكون المقصود العلم والتصديق القلبي فقط.

٣ـ أن يكون مراده عليه السلام العمل الصالح من حيث القيمة.

٤ـ أن يكون مراده صلوات الله عليه العمل الصالح من حيث الكم والمقدار.

وبناءً على الاحتمال الاول يكون معنى كلامه عليه السلام: أن النساء ناقصات وضعيفات العقيدة والعمل الصالح فهن غير قادرات على

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده جزء ٤ ص١٠٥.

الوصول إلى درجة إيمان وعقيدة الرجال وعملهم الصالح وبعبارة أخرى: الرجل بما هو رجل أقوى إيماناً أي معرفة وعملاً من المرأة بما هي امرأة وليس لذلك سبب إلا كون أحدهما رجلاً والآخر امرأة فقد جعل الله تعالى الرجل قادراً على الوصول إلى كمالات لا تتمكن المرأة من الوصول إليها.

وبناءً على الاحتمال الثاني يكون المعنى: أن المرأة وإن تمكنت من العمل بما يقوم به الرجل كماً وكيفاً إلا أنها لا تتمكن من الوصول إلى درجة الرجل في العقيدة والتصديق القلبي فلو كان هناك رجل وامرأة يعيشان في ظروف واحدة ويعملان على ترسيخ عقائدهما ويقومان بالأعمال الصالحة بدرجة واحدة مقداراً وإخلاصاً و.. بلا تفاضل بينهما، كان الرجل هو الأقوى إيماناً والاكثر رسوخاً في العقيدة والتصديق القلبي فلو أن الرجل بلغ درجة التسليم في ظروف خاصة لم يكن للمرأة هٰذا الامكان في نفس تلك الظروف.

ومعنى كلامه صلوات الله عليه على الاحتمال الثالث هو: أن المرأة تتمكن من البلوغ إلى درجة إيمان الرجل، والعمل كما يعمل كماً ومقداراً إلا أن قيمة عملها أقل من قيمة من عمل الرجل فحضور قلبه وإخلاصه مثلاً أعمق وأكثر من حضور قلبها وإخلاصها.

وأما بناءً على الاحتمال الرابع فمعنى كلامه عليها السلام هو: أن عمل المرأة أقل مقداراً وكميةً من عمل الرجل، فهي وإن تمكنت من الوصول إلى أعلى مراتب الايمان والتصديق القلبي واستطاعت أن تقوم بما يقوم به الرجل من أعمال بل قد تفوقه في ذٰلك أيضاً إلا أنها لا تتمكن أن تعمل بمقدار ما يعمل الرجل، فالنقص في كمية

عملها إما حيث نفس الأعمال أو من حيث الأيـام التي تتمكن المرأة من العمل فيها. فما هو المقصود؟

الـذي يظهر مـن الأدلـة الخارجيـة والداخليـة[1] هو أن المـراد هو الاحتمـال الأخيـر وأن الاحتمـالات الثلاثـة الاولـى والمعانـي المبتنية عليها غير واردة ولا يمكن أن تكون مقصودة له عليه السلام.

أما من حيث الأدلة الخارجية فقد ثبت فيما سبق- ويأتي أيضاً- أن القـرآن والسـنة وكلمـات أميـر المؤمنيـن عليه السلام فـي نهـج البلاغـة وغيره، وكذلك الاعتبـار العقلي تدل على أن المرأة لا ينقصها شـيء عن الرجـل في أصل الايمـان، فالعقـل لا يرى للاختلاف الجسـماني وفي بعض الأوصاف الجسمانية والروحانية التي ليس لها مدخلية لها في أصل الانسـانية والقيم المعنويـة، تأثيراً في كمـال الايمان ونقصه عقيـدةً وعمـلاً من حيـث القيمـة، وقد سـبق أيضـاً أن بعـض الآيات القرآنيـة صريحة في تسـاويهما فـي الفضائـل الباطنيـة والعملية وقد ذكـرت أن الايمـان والعمل الصالـح هما المنقـذان من النـار والعذاب والموجبـان للفـوز بالجنـة والرضـوان بـلا فـرق بيـن الرجـل والمرأة ولا نجد آية تدل او تشـير إلـى أن العقيدة والايمان بمعنـى التصديق مع العمل أوبـلا عمل فـي الرجل بما هو رجـل أقوى مـن المرأة بما هـي امـرأة، فعندمـا يقـول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا

(١) أي الأدلة الخارجة من هذه الخطبة سواء كان من القرآن الكريم أو السنة المباركة ومن جملتها كلمات علي نفسه، والداخلية أي الموجودة في نفس هذه الخطبة.

﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٣٥﴾[1] لم يفرق بين المرأة والرجل بل يصرح بعدم الفرق بجعل بعضهما إلى جانب بعض في ذكرهما وذكر أوصافهما، ويجعل الميزان في المغفرة واستحقاق الأجر العظيم أصل الاسلام والايمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم وحفظ الفروج وذكر الله كثيراً، فهذه الآية ونظيراتها تقسّم المسلم والمؤمن و.. إلى الرجل والمرأة وترتب الحكم بالغفران واستحقاق الجنة والأجر على إسلامهما وإيمانهما في سياق واحد وبعبارة واحدة.. وكل ذٰلك ينفي أن يكون إيمان المرأة بمعنى التصديق القلبي الموجب للالتزام العملي، أو التصديق المجرد عن العمل، أضعف وأنقص من الرجل، كما ينفي أن يكون عملها أضعف وأنقص من عمل الرجل بما هو رجل من حيث القيمة والكيف فإن أمثال هٰذه الآية قد جعلت المرأة المؤمنة العاملة بالصالحات إلى جانب الرجل المؤمن العامل بالصالحات وأوضحت أن عاقبتهما الأجر العظيم والجنة والحسنى على حدّ سواء ولا نجد آية في القرآن تدل أو تشير إلى ان العمل الصالح الصادر من الرجل أعلى قيمةً من نفس ذٰلك العمل إذا كان صادراً من المرأة.

وأمير المؤمنين عليه السلام نفسه عندما يذكر الانسان إيجاباً اوسلباً لا يخص المدح أو الذم بالرجل أو المرأة فعندما يذكر الايمان وأنه قد يكون مستقراً وقد يكون عواري بين القلوب والصدور وعندما يطرح صعوبة الايمان أو أن أمرهم عليهم السلام صعب مستصعب لا يحتمله إلا عبد امتحن الله قلبه للايمان وأن حديثهم لا يعيه إلا صدور أمينة وأحلام (أي عقول) رزينة، وعندما يذكر من يتسمى بالعالم وليس به

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

إلى ان يقول أن هٰذا الانسان إنما له من الانسانية صورتها وإلا فقلبه قلب حيوان (فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان)، اوعندما يتحدث عن ضعف الإنسان وأنه حمل الأمانة مع أنه أضعف من السموات والارض التي أبت أن يحملنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[1] إلى غير ذٰلك مما يذكره عليه السلام بشأن الإنسان، عندما يذكر هٰذه الأمور لم يفرق في كلماته هٰذه بين الرجل والمرأة.

كل ذٰلك يدل على أنه لا مفاضلة بين الرجل والمرأة لأجل الرجولة والأنوثة في الايمان والعمل وان كانت هنالك مفاضلة فهي نتاج سعيهما علماً وعملاً فمن سعى في ترقية إيمانه بترقية معرفته وتكثير عمله كماً وكيفاً كان أفضل ممن لم يسع في سبيل ذٰلك سواء كان رجلاً او إمرأة ولا يختص هٰذا المقياس بمقايسة الرجل بالمرأة بل هو صادق في مقايسة الرجال بالرجال والنساء والنساء أيضاً فالميزان في المفاضلة هو السعي ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[2] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾[3] وقد سبق قوله تعالى بعد تقسيم الناس إلى الذكر والانثى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4].

هذا كله فيما يتعلق بالدليل الخارجي بصورة إجمالية، وأما الدليل الداخلي ـ أي عبارة الخطبة نفسها واستدلالها على نقص الايمان ـ فقد جعل الامام عليه السلام دليل نقص إيمان النساء تركهن للصلاة والصيام أيام حيضهن ومن المعلوم جلياً أن فعل الصلاة

(١) راجع الخطب ٧٨، ١٨٩، ١٩٩، وغيرها .....

(٢) سورة النجم: ٣٩ـ٤١.

(٣) سورة النازعات: ٣٥.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

والصيام وتركهما من الأعمال وليس من العقيدة والتصديق القلبي، وبعبارة أخرى الصلاة والصيام من الأعمال الجوارحية لا الجوانحية، وواضح أن قليل العمل قد يكون أقوى إيماناً من كثيره وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام حينما سمع رجلاً من الحرورية (الخوارج الذي خرجوا على أمير المؤمنين بحروراء) يتهجد ويقرأ: «**نوم على يقين خير من صلاة في شك**»[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل**..»[2] يقول المرحوم المولى صالح المازندراني في شرح قوله صلى الله عليه وآله: «**وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل**» يقول: أي انتقاله من بلد إلى بلد في طاعة الله تعالى كالحج والجهاد ونحوهما مع أن في الشخوص مشقة زائدة على الاقامة، ثم يفسّر السبب في ذلك[3]، فليس المعيار في قوة الإيمان وكماله كثرة العمل الجوارحي.

ويبقى هٰذا السؤال: هل المقصود من الايمان الناقص في هٰذه الخطبة هو العمل الناقص كيفاً ومن حيث القيمة المعنوية ليكون أعمال النساء الصالحة أنقص وأقل قيمةً من أعمال الرجال الصالحة أم أن مراده عليه السلام أن أعمالهن أنقص من أعمالهم من حيث الكمية والمقدار؟

قلنا أن الأدلة الخارجية تدل على الثاني، ونقول هنا أن الأدلة الداخلية في الخطبة أيضاً تدل على الثاني فإن قعود النساء عن الصلاة والصوم في أيام حيضهن يقلل من الأيام التي تتمكّنّ من

---

(١) الحكمة رقم :٩٧ من نهج البلاغة.

(٢) المحاسن : ج ١ ص١٩٣ باب العقل الحديث ١١، والكافي : ج١ ص١٢ كتاب العقل والجهل، الحديث ١١.

(٣) شرح أصول الكافي : ج١ ص٨٨.

العبادة فيها- وليس من نفس الأعمال إذ من الممكن أن يكون مجموع أعمال المرأة في الشهر مع وجود الحيض أكثر بكثير من أعمال الرجل مع أنه غير مبتلى بذلك- فلو افترضنا رجلاً وامراة متساويين في الأعمال الصالحة الواجبة والمستحبة لكان عمل الرجل أكثر لعدم ابتلائه بما يمنعه من الصلاة والصيام، فالمعنى أن إيمانها أي أعمالها الإيمانية أقل وأنقص من إيمانه أي من أعماله الايمانية وذلك لأجل أن الأيام التي تتمكن المرأة من العبادة والتعبد فيها أقل من أيام الرجل ولكن قلة الأيام للنساء لا تقلّل من قيمة عملهن بل قد يكون العمل القليل أنفع من كثيره في ظروف خاصة كما ورد أن صلاة المتزوج أو المتعطر ركعتين أفضل من سبعين ركعة يصليها غير المتعطر أوغير المتزوج أو أن ركعتين يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصليها العابد وغير ذٰلك من الموارد التي تجعل القيمة لعمق وكيف الصلاة والعبادة لا لكمها ومقدارها، فكلما ازدادت المعرفة والبصيرة والاخلاص وحضور القلب ازدادت قيمة الصلاة والعبادة وفضلها وإن قلّت من حيث المقدار فإنها ليست قليلة القيمة عند الله تعالى فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **لالا يقل عمل مع التقوى، وكيف يقلّ ما يتقبل**»[1] فليس المطلوب الأساسي في نظر الشرع والشارع المقدس كثرة العمل كماً ومقداراً- وإن كان في حدّ ذاته حسناً- بل المطلوب الأساسي والمعيار في كون العمل قيّماً عند الله تعالى هو كونه ذا روح وحياة، وروح العمل هو الاخلاص والتقوى وحضور القلب والمعرفة بالصلاة وبمن يصلي ويصوم و.. له، نعم كثرة العمل مع روحه مطلوب- كما كان أمير المؤمنين عليه السلام

(١) الحكمة رقم ٩٥ من نهج البلاغة.

كثير العمل والصلاة..ـ إلا أن الاساس هو الروح الذي يعطي العمل قيمته الحقيقية ولهذا عدّ عليه السلام النوم على يقين أفضل من الصلاة والتهجد في شك.

ومحصّل الكلام أن معنى كلامه عليه السلام بناءً على ما ذكرناه ـ والله العالم ـ أنه إذا قيس بين الرجل والمرأة في ظروف واحدة كانت الأرضية للتقرب إلى الله تعالى والتعبد له سبحانه مهيئة للرجل أكثر من المرأة لابتلائها بما يمنعها من إقامة الصلاة والصيام وعدم ابتلائه بذلك فيتمكن في هٰذه الايام التي هي أيام أذى للنساء ﴿**قُلْ هُوَ أَذًى**﴾[1] أن يتقرب إلى الله تعالى فيتدرج مدارج الكمال والايمان والمرأة قاعدة عن ذٰلك ولكن مع ذٰلك قد جعل الله تعالى لها ما يجبر ذٰلك وهو استحباب التطهر أوقات الصلاة والجلوس في المصلى وذكر الله تعالى للحائض، مضافاً إلى أن تركها للصلاة والصيام أيام حيضها كفعلها لهما في غير تلك الأيام ناشيء عن إيمانها بالله تعالى ورسوخ عقيدتها وتعبدها بأوامر الله تعالى ونواهيه فلا نتمكن من تفسير نقص إيمانها إلا بنقص مقدار عملها وبتعبير أفضل: بنقص الأيام التي تتمكن من التعبد والعبادة فيها لله تعالى، عن الأيام التي يتمكن الرجل من التعبد والعبادة له سبحانه فيها.

والسؤال السابق الذي ذكرناه نهاية مبحث نقص العقل وهو أنه إذا كان هٰذا هو المقصود فما الحكمة في بيان هٰذه الكلمات من قبل أمير الحكمة والبيان؟ آتٍ هنا أيضاً وسياتي جوابه في نهاية المبحث إن شاء الله تعالى فانتظره.

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

٣- نواقص الحظوظ:

الدنيا دار فناء ومحل ابتلاء وامتحان:

الدنيا دار فناء لا تبقى ولا يبقى فيها أحد ولا يدوم منها شيء فالكل- بجميع مراتبهم وكمالاتهم الوجودية - سائرون نحو الفناء عن الدنيا والانتقال إلى دار أخرى هي مستقر البشر وغيرهم من المخلوقات، ومن المعلوم أنه لا قيمة للفاني إذا لم يصلح لأن يكون عنصراً لبقاء الإنسان وسعادته، والسبب في خلق الانسان في هٰذه الدنيا هو كونه أكمل وأفضل وأشرف المخلوقات وسرّ أفضليته هو كونه ذا إختيار وإرادة يتمكن بقوتيه الشوقية (الأعم من الشهوية والغضبية) والعقلية أن يسير نحو سعادته الأبدية أو شقاءه الأبدي وليس كالملائكة الذين ليس لهم إلا درب واحد يسلكونه ولا يسلكون غيره وهو درب الطاعة وطريق العبودية لله تعالى وذلك لأنهم عقول محضة لا شهوة فيهم ولا غضب- بمعناه الطبيعي-، كما أنه- أي الإنسان- ليس كالحيوانات التي لا عقل لها ولا قدرة على الوصول إلى ما يتمكن العقلاء من الوصول إليه من الكمالات الوجودية والقرب العبودي إلى الله ﷻ، فقدرة الإنسان على السير في الجانبين بالإرداة والإختيار هو السر في كونه أشرف المخلوقات بمعنى أنه يتمكن أن يكون الأشرف وذلك بالتغلب على الأهواء وتحكيم العقل والشرع المقدس على الهوى والشهوة والغضب، فإذا كان هٰذا هو السر في أشرفيته كان من الضروري أن يخلق في عالم يمكن أن يكلّف فيه ليكون أمامه طريقان طريق الخير وطريق الشر ويكون في باطنه أيضاً قوتان إحداهما تدعوه إلى الخير والأخرى

إلى الشر فيختار أحد الطريقين بتغليب إحدى القوّتين على الأخرى، ومن هنا لزم أن يكون في هٰذا العالم وهذه الدنيا التي هي دار تكليف وامتحان فيلزم أن تكون هناك امتحانات وابتلاءات.

الأموال من جملة مواد الامتحان:

يحتاج الامتحان إلى مادة أو مواد يمكن أن يمتحن بها الإنسان، ومن جملة ما يمكن أن تكون مادة له هو المال فالمال هو وسيلة ومادة للإمتحان والإختبار وكذلك لامرار المعاش واستبقاء الحياة وليس له قيمة ذاتية قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾[1].

فتدل الآية بوضوح على أن الأموال كالأولاد ـ ليست بحد ذاتها من المقربات إلى الله تعالى وقد أشرنا فيما سبق أن قيمة الانسان وكماله بقربه العبودي إلى ربه الكريم فلا قيمة لما لا يحقق هٰذا القرب والكمال إلا أن يستخدم لأجل ذٰلك فيدخل بذلك في المستثنى في الآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ ولولا ذٰلك لما كان للمال بل للدنيا بأجمعها قيمة فهي بجميع ما فيها متاع قليل قبال القرب إلى الله تعالى وما ينتج عنه من نعيم الآخرة: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[2] ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ٣٨﴾[3] بل قد عدّها الله تعالى متاع الغرور حيث قال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾[4]

---

(١) سورة سبأ: ٣٧.

(٢) سورة النساء: ٧٧.

(٣) سورة التوبة: ٣٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٨٥.

وقد قال عز من قائل أن المال زينة الحياة الدنيا: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[1] وفتنة يمتحن بها الانسان: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾[2] وَٱعْلَمُوٓا۟ ﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[3]

فالآيات تبين بجلاء أن الاموال زينة الحياة الدنيا والحياة الدنيا فانية غير باقية فكذلك زينتها، والفاني لا قيمة له إن لم يستخدم في سبيل تحصيل سعادة الباقي ولهذا جُعل المال مادة للامتحان لتحصيل تلك السعادة الأبدية وليس ذا قيمة ذاتية موجبة لكرامة الانسان عند ربه سبحانه فلا الغنى والثراء المالي سبب للكرامة ولكون الغني الثري أكرم على ربه من غيره ولا الفقر والاحتياج المالي علة للبعد عن الله تعالى والمهانة لديه سبحانه وكذا العكس- أي ليس السبب في إعطاء وإغناء الله تعالى لشخص هو كرامته عليه كما أنه ليس السبب في تضييق المعيشة وعدم إغناء الله سبحانه لشخص هو مهانته لديه تعالى- وقد صرح القرآن بذلك في الآية الآنفة الذكر وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[4] وبيّن ذٰلك بالتفصيل في سورة الفجر وصرح بأن الابتلاء بالأموال والنعم ليس إكراماً كما يتصوره المبتلى المنعم عليه وأن الابتلاء بالتضييق عليه أيضاً ليس إهانة له كما يدعيه المبتلى المضيق عليه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ

(١) سورة الكهف :٤٦.
(٢) سورة آل عمران :١٦٨.
(٣) سورة الأنفال : ٢٨.
(٤) سبأ :٣٧.

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[1] فليست التوسعة المالية تفضيلاً لأحد ولا التضييق المالي إهانة ربانية لإنسان وبعبارة أخرى: ليس المال سبباً للحصول على الكرامة الربانية ولا مسبباً عن الكرامة الالهية وليس التضييق المالي سبباً لإهانة الانسان ولا مسبباً عن الإهانة الالهية له بل كل ذلك امتحان إلهي يمكن أن يخرج الإنسان عنه مرفوع الرأس بانفاق الأموال في سبيل الله بعد تحصيلها عن طريق الحلال وبإيثار الغير و..: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[2] ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[3]، أو منزّل الرأس خَجلاً وخوفاً مما قدم لنفسه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[4].

فاذا لم يكن للمال قيمة ذاتية عند الله ـ بل وعند العقل أيضاً حيث أن العقل يجد أن المال إنما هو وسيلة لإمرار المعاش فليس هدفاً ينظر إليه بالاستقلال لم يكن جعل النصيب الأكثر من المال لأحد ـ لحكمة أو حكم متعددة ستأتي الإشارة إليها ـ دليلاً على كرامته لدى الله تعالى وفضله المعنوي على غيره كما لا يكون جعل النصيب الأقل منه لأحد دليلاً على مهانته لديه سبحانه وتعالى.

وقد سبق وثبت في محله أن الله تعالى عدل لا يجور وقد قسّم

(١) سورة الفجر :١٥ـ٢٠.
(٢) سورة الحشر : ٩.
(٣) سورة الإنسان :٧ـ٩.
(٤) سورة المنافقون : ٩ـ١٠.

نعمه بين عباده حسب العدل المبتني على الحكمة والمصلحة، والحكمة ومصلحة الامتحان وغيره تقتضي التفاوت في تقسيم النعم عليهم تفاوتاً يمكن الامتحان به واختلافاً يكون في مصلحة الممتحن نفسه فان كثرة المال ليست في مصلحة كل انسان ودائماً كما أن قلته أيضاً ليست في مصلحة كل انسان ودائماً فقد يكون انسان لا يصلح له إلا الغنى كما قد يكون آخر لا يصلح له إلا الفقر إما دائماً أو أحياناً، فاذا كان كثرة المال سبباً لخروج إنسان ما عن الدين امتحنه الله تعالى بقلته فيحافظ بذلك على علاقته بربه ويصبر على الفقر ويحصل على الأجر العظيم وبغير حساب وبأحسن ما كان يعمل، واذا كان قلة المال والضيق المالي موجباً لخروجه عن الدين امتحنه الله تعالى بكثرة المال لئلا يخرج عن الدين ولا يعترض على الله تعالى ولينفق في سبيل الله تعالى فيحصل بذلك على الأجر العظيم كما يستفاد من بعض الأخبار.

وهذا الأمر جار في المواريث أيضاً حيث أنها مقسمة على الورثة حسب العدل المبتني على الحكمة والمصلحة ووفقاً لحاجة كل من الرجال والنساء في الأعم الأغلب وإن كان هناك استثناءات خارجاً فقد تكون حاجة امرأة ما أكثر من الرجل أحياناً، كما أن هناك استثناءً في حكم الإرث من حيث النصيب والسهم أيضاً ويكون نصيبها كنصيبه كما ستأتي الإشارة إلى ذلك، ولكن هٰذه الموارد الإستثنائية نادرة التحقق خارجاً فلا تؤثر في اختلال نظام التقسيم حسب الحاجة، مضافاً إلى أن الله قد جعل للمرأة ما يجبر لها هٰذا النقص في حظ الإرث وستأتي الاشارة إلى ذٰلك أيضاً.

وبناءً على ذٰلك يلزم ملاحظة الخصوصيات في كل من الرجل

والمرأة كي يتبين لنا السر في اختلاف حظهما في الإرث فنقول:ـ

ما يوجب الاختلاف في الحصة المالية:

غير خافٍ على أحد أن الرجل يختلف عن المرأة في خصوصياته الجسمانية وبعض الأوصاف الروحية مما يجعله مؤهلاً لقبول مسؤولية إدارة الأسرة خارجياً بمعنى أن يصبح المدير الخارجي ـ خارج البيت ـ لشؤون الأسرة والحافظ لكيانها عن الأخطار كالفقر وتعدي الآخرين عليها و..الخ وهذا معنى كونه قوّاماً[1] وعلى حدّ تعبير العلامة الجعفري في تفسيره للنهج الشريف بتوضيح وإضافة منا: كونه قواماً ليس بمعنى قيّما على المرأة في المصطلح الحقوقي والفقهي (أي أنه ليس كالقيّم على الصغير والسفيه والمجنون) بل بمعنى أنه المدير التنفيذي لشؤون الأسرة في الأمورالمرتبطة باقتصادها وسائرالأمور الخارجية (فالقوام من القيام بمعنى من يقوم بالأعمال فإن كان هو صاحب الاختيار أيضاً كان قيّماً باصطلاح الحقوق والفقه وإلا لم يكن قيّماً بذلك الاصطلاح) والسبب الذي يجعل الرجل هو القائم بالأعمال الخارجية هو:

١ـ قدرة الرجل على مواجهة الأحداث الخشنة والعنيفة.

٢ـ عدم تأثره بالعواطف والإحساسات غير الواقعية والمخالفة للمصلحة ولمقتضى العقل والتدبير.

٣ـ عدم وجود موانع تمنعه من الاكتساب والمعاملة كالحيض والحمل ووضعه والنفاس والإرضاع، بينما تبتلى المرأة بكل هٰذه الأمور فتعجز بذلك عن القيام بواجب الاكتساب وإدارة شؤون الأسرة

(١) اشارة الى قوله تعالى :« الرجال قوامون على النساء »، سورة النساء :٣٤.

الخارجية اقتصادياً.

فهذه الأمور من جملة ما يمكن أن يكون دليلاً لكون الرجل هو المسئول للشؤون الخارجية للأسرة فـ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1] بهذا المعنى لا بمعنى القيّم ولا بمعنى تفضيلهم على النساء في القيم المعنوية بل تفضيل طبيعي في القيام بالشؤون الخارجية والأخذ بزمام المسؤولية والذي لا يؤدي إلى تفضيل حقوقي وفقهي بمعنى أن يكون أقرب إلى الله تعالى وأن يكون أكمل وجوداً من المرأة ولهذا يعقب ذٰلك بقوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[2] فالقيم المعنوية تحصل بسعي الإنسان كما صُرّح به في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[3]، فالآية صريحة في أنه يلزم أن لا يتمنى كل من الجنسين الخصوصيات الطبيعية التي أعطاها الله تعالى للجنس الآخر لأن هٰذه الميّزات الطبيعية ليست أسباباً لقيمة الإنسان بل العامل المسبب لحصول القيمة الإنسانية هو ما يكتسبه الإنسان سواء الرجل أو المرأة، فليست القوامية والمسؤولية الملقاة على عاتق الرجل لتفوقه وامتيازه على المرأة بل لمختصاته الطبيعية التي لا توجب في حدّ ذاتها قيمة معنوية له ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[4] فقوله ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[5] ليس بمعنى الفضل

(١) سورة النساء :٣٤.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) سورة النساء :٣٢.
(٤) سورة النجم :٣٩.
(٥) سورة النساء :٣٤.

والتفوق في القيم بل بمعنى اختصاص الرجل بقوى خاصة تمكّنه من تحمل المسؤولية... وفي المقابل تختص المرأة بميّزات تتمكن بها من أن تسعد الأسرة في دنياها وآخرتها فهي قادرة بعاطفتها أن تؤثر في الرجل وسائر أفراد الأسرة وتسوقهم نحو سعادتهم، فالكلام الذي يقول: (إن المرأة العاقلة تتمكن من أن تحوِّل الرجل الأحمق إلى عاقل بينما لا يتمكن الرجل العاقل من تربية وإصلاح المرأة الحمقاء) مستند إلى حقائق كثيرة[1].

فهذه الخصوصيات تجعل المرأة مؤهلة لإدارة مجتمع الأسرة داخلياً والرجل لإدارة الأمور الاقتصادية ولا سيما فيما يتعلق بخارج البيت ـ تحصيلاً وإنفاقاً للمال وهذا مع ما نذكره في العنوان التالي من الوظائف الملقاة على عاتق الرجل هو السبب في ضرورة جعل يده مبسوطة في الأمور المالية أكثر من المرأة.

وظائف الرجال:

هناك وظائف وتكاليف مالية قد وضعها الشرع على عاتق الرجال ووضعها عن النساء بل جعلهن ـ في الأغلب ـ المستفيدات من التكاليف الموضوعة على الرجال وهذا ما يتطلب أن تكون يد الرجال مبسوطة أكثر من النساء في الأمور المالية، وإليكم نماذج من هٰذه التكاليف المالية الموضوعة على عاتقهم:

١ـ وجوب النفقة: يجب على الرجل نفقة الزوجة والأسرة وهي شاملة للمأكل والملبس والمسكن ومصاريف الزواج وأثاث البيت و...الخ فهذه النفقات موضوعة على عاتقه بصورة حكم شرعي

(١) راجع شرح نهج البلاغة للمرحوم العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري ج١١ ص٢٧١ وما بعدها .

لا يتمكن من التخلف عنه مضافاً إلى أن نفقة الزوجة حق شرعي لها بالإضافة إلى كونها حكماً شرعياً بمعنى أنه كما يجب عليه نفقة زوجته وأولاده وإذا تخلّف عنها كان مأثوماً كذلك تعدّ هٰذه النفقة بالنسبة إلى الزوجة حقاً ودَيناً في ذمته فلو لم يعطها نفقتها ولم ينفق عليها أصبحت تلك النفقة ديناً في ذمة الرجل تتمكن من أن تطالب بحقها هٰذا في أيّ وقت شاءت ما لم يكن امتناعه من الإنفاق عليها لنشوزها الموجب لسقوط نفقتها عنه.

٢ـ المهر: من جملة الواجبات والتكاليف المالية على الرجل هو المهر حيث إنه يجب على الرجل أن يدفع مقداراً من المال أو أي شيء يكون له مالية بالقدر الذي يتم الاتفاق عليه للمرأة وهذا الحكم من جملة ما يجبر نقص حظ المرأة من الإرث كما في بعض الأخبار الآتية بل قد يكون مهرها أضعاف حصتها وأكثر من حصة الرجل من الإرث.

٣ـ الإدارة المالية: سبق أن ذكرنا أن الرجل هو المدير التنفيذي للشؤون المالية والاقتصادية للأسرة فعليه القيام بالمعاملات والتجارات وغيرها لتأمين متطلباتها وهذا أيضاً يقتضي أن يكون مبسوط اليد من حيث المال أكثر من المرأة.

٤ـ تحمل الأضرار: الأضرار المالية المتوجهة إلى الأسرة في الحقيقة متوجهة إلى الرجل المدير لشؤونها المالية فإذا خسر في تجارته ومعاملاته يكون هو المسئول والمتحمل للأضرار ولا تسقط واجباته المالية اتجاه العائلة بذلك.

وفي مقابل ذٰلك نجد أن شيئاً من هٰذه التكاليف لم يوضع على عاتق المرأة بل هي المستفيدة في الأغلب فالمهر الواجب على

الرجل حق للمرأة وهي الآخذة له، والنفقة الواجبة على الرجل تكون المرأة من جملة الآخذين لها والمنفق عليهم كما أنها من جملة المستفيدين من أعمال الرجل الاقتصادية والتجارية من تحمل أعباء التجارات وعناء اكتساب المال و.. ولا تتحمل شيئاً من الأضرار المالية المتوجهة إلى الأسرة في المعاملات و.. كل ذٰلك يجعل من الطبيعي أن يكون سهم الرجل وحظه من الإرث أكثر من المرأة وإن لم تف تلك الزيادة بما عليه من مسؤوليات، بل ترجع تلك الزيادة في الحقيقة إلى المرأة كما ستأتي الإشارة إلى ذلك، مضافاً إلى وجود استثناءات في الإرث يكون حظ المرأة وحصتها منه مساوياً للرجل وأحياناً أكثر منه وإليكم تلك الموارد المستثناة:

استثناءات في الإرث:

القاعدة العامة في الإرث هي كون حصة الرجل أكثر من حصة المرأة إلا أن هناك موارد استثنائية تكون حصتها مساوية لحصته وفي مورد واحد تكون حصتها أكثر من حصته وتلك الموارد حسب ما أحصاها وأشار إليها المرحوم العلامة الجعفري كما يلي:

١ـ إذا كان الوارث منحصرا في والدي الميت وابن واحد له قسّمت التركة أسداساً سدس لأبيه وسدس لأمه والباقي لأبنه ـ أي ابن الميت ـ.

٢ـ إذا لم يكن للميت ورثة إلا الإخوة والأخوات من قبل الأم قسمت التركة بينهم بالسوية.

٣ـ إذا كان الورثة أولاد إخوان الميت وإخوانه لأمه قسمت التركة بينهم بالسوية سواء كانوا ذكورا أو إناثاً أو كليهما.

٤ـ إذا لم يكن للميت وارث سوى جده وجدته لأمه قسمت التركة بينهما بالسوية.

٥ـ إذا كان ورثة الميت أخواله وخالاته لأبيه وأمه أو لأبيه فقط أو لأمه فقط قسمت التركة بينهم بالسوية[1].

وهناك مورد واحد تكون حصة المرأة أكثر من الرجل ستأتي الإشارة إليه في عبارة المرحوم العلامة الطباطبائي قدس سره إن شاء الله تعالى.

بعض أسرار الاختلاف في حصة الإرث على ضوء الروايات:

هناك روايات تشير إلى بعض حِكم وأسرار كون حصة المرأة أقل من الرجل، جمعها المرحوم الميرزا حبيب الله الخوئي قدس سره في شرحه على نهج البلاغة وهي كالتالي[2]:

١ـ عن الأحول قال: قال لي ابن أبي العوجاء: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟ قال: فذكر (ذلك) بعض أصحابنا لأبي عبد الله عليه السلام فقال: إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقُلة وإنما ذٰلك على الرجال ولذلك جعل للمرأة سهماً وللرجل سهمين.

المعقُلة بضم القاف بمعنى الدية التي تجب على الذكور من أقارب القاتل خطئاً حيثُ أنه إذا قتل أحد غيره خطئاً لم يقتص منه بل تؤخذ الدية من أقاربه لأبيه الذكور فهؤلاء الأقارب يسمون

(١) شرح نهج البلاغة: ج١١ ذيل شرح الخطبة ٨٠.

(٢) الروايات الي ننقلها هنا ننقلها حسب ما جاء في المصادر الأصلية ولهذا قد يكون هناك بعض الإختلاف في الألفاظ عمّا ورد في تفسير النهج للمرحوم الخوئي قدس سره، كما نضيف إليها توضيحات ضرورية أحياناً.

بالعاقلة والدية تسمى بالمعقُلة، فالمرأة لا تصير عاقلة في دية الخطأ فلا يجب عليها دفع شيء من دية قتل الخطأ. والرواية موجودة في كثير من المصادر والجوامع الروائية كالكافي ج٧ ص٨٥ باب «**علة كيف صار للذكور سهمان وللأنثى سهم**» الحديث٣.

٢ـ عن محمد بن سنان أن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: علة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث لأن المرأة إذا تزوجت أخذت والرجل يعطي فلذلك وفّر على الرجال، وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى لأن الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت وعليه أن يعولها وعليه نفقتها، وليس على المرأة أن تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقته إن احتاج، فوفّر على الرجال وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾[1].

وهذه الرواية تدل أن التفضيل المذكور في الآية ليس تفضيلاً في الإنسانية أو في الكرامة عند الله تعالى كما سيأتي ذٰلك في عبارة العلامة الطباطبائي قدس سره أيضاً. والرواية قد رواها الصدوق رضوان الله تعالى عليه في علل الشرائع ج٢ باب ٣٧١ الحديث الأول.

٣ـ عن عبد الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأي علة صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال: لما جعل لها من الصداق. المصدر الحديث الثاني.

فهذه بعض الروايات التي تذكر بعض حِكم كون ميراث النساء نصف ميراث الرجال وهناك حكم أخرى مذكورة في روايات أخرى عن أهل البيت عليهم السلام لا داعي إلى ذكرها هنا.

---

(١) سورة النساء :٣٤.

رأي العلامة الطباطبائي قدس سره:

للعلامة الطباطبائي في تفسير كون حصة الرجل في الميراث ضعف حصة المرأة بيان جميل مشتمل على أمور مختلفة ولطائف جميلة فيما يتعلق بالرجل والمرأة والأسرة، نورده هنا بطوله لتعم الفائدة (وليقرأه القارئ الكريم بتأمل وتدقيق):

ومنها أن التأمل في سهام الرجال والنساء في الإرث يفيد أن سهم المرأة ينقص عن سهم الرجل في الجملة إلا في الأبوين فإن سهم الأم قد يربو على سهم الأب بحسب الفريضة[1] ولعل تغليب جانب الأم على جانب الأب أو تسويتهما بكونها في الإسلام أمس رحماً بولدها ومقاساتها كل شديدة في حمله ووضعه وحضانته وتربيته قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2] وخروج سهمهما عن نصف ما للرجل إلى حدّ المساواة أو الزيادة تغليب لجانبها قطعاً. وأما كون سهم الرجل في الجملة ضعف سهم المرأة فقد اعتبر فيه فضل الرجل على المرأة بحسب تدبير الحياة عقلاً وكون الإنفاق اللازم على عهدته قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[3] والقوام من القيام وهو إدارة المعاش والمراد بالفضل هو الزيادة في التعقل فإن حياته حياة

---

(١) وذلك فيما إذا كان الوارث منحصراً في الزوج والأبوين ولم يكن حاجب (إخوة الميت في هذه المسألة) فالزوج يرث النصف ويقسم الباقي أثلاثاً، فثلثاه لأم الميت ويبقى لأبيه الثلث، فلو كان المال ١٢ديناراً كان للزوج ٦دنانير وللأم ٤دنانير وللأب ديناران، وأما إذا كان حاجب انعكس سهم الأبوين. المؤلف.

(٢) سورة الأحقاف :١٥.

(٣) سورة النساء :٣٤.

تعقلية وحياة المرأة إحساسية عاطفية وإعطاء زمام المال يداً عاقلة مدبرة أقرب إلى الصلاح من إعطائه يداً ذات إحساس عاطفي وهذا الإعطاء والتخصيص إذا قيس إلى الثروة الموجودة في الدنيا المتنقلة من الجيل الحاضر إلى الجيل التالي يكون تدبير ثلثي الثروة الموجودة إلى الرجال وتدبير ثلثها إلى النساء فيغلب تدبير التعقل على تدبير الإحساس والعواطف فيصلح أمر المجتمع وتسعد الحياة.

وقد تدورك هٰذا الكسر الوارد على النساء بما أمر الله ﷻ الرجل بالعدل في أمرها الموجب لاشتراكها مع الرجل فيما بيده من الثلثين فتذهب المرأة بنصف هذين الثلثين من حيث المصرف وعندها الثلث الذي تمتلكها وبيدها أمر ملكه ومصرفه. وحاصل هٰذا الوضع والتشريع العجيب أن الرجل والمرأة متعاكسان في الملك والمصرف فللرجل ملك ثلثي ثروة الدنيا وله مصرف ثلثها وللمرأة ملك ثلث الثروة ولها مصرف ثلثيها وقد لوحظ في ذٰلك غلبة روح التعقل على روح الإحساس والعواطف في الرجل، والتدبير المالي بالحفظ والتبديل والإنتاج والإسترباح أنسب وأمسّ بروح التعقل، وغلبة العواطف الرقيقة والإحساسات اللطيفة على روح التعقل في المرأة وذلك بالمصرف أمسّ وألصق فهذا هو السر في الفرق الذي اعتبره الإسلام في باب الإرث والنفقات بين الرجال والنساء.

وينبغي أن يكون زيادة روح التعقل بحسب الطبع ومزيته على المرأة في هٰذا الشأن هو المراد بالفضل الذي ذكره الله سبحانه في قوله عز من قائل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾، دون الزيادة في البأس والشدة والصلابة فإن الغلظة والخشونة في قبيل الرجال وإن كانت مزية

وجودية يمتاز بها الرجل من المرأة وتترتب عليها في المجتمع الإنساني آثار عظيمة في أبواب الدفاع والحفظ والأعمال الشاقة وتحمل الشدائد والمحن والثبات والسكينة في الهزاهز والأهوال وهذه شؤون ضرورية في الحياة لا يقوم لها قبيل النساء بالطبع، لكن النساء أيضاً مجهزات بما يقابلها من الإحساسات اللطيفة والعواطف الرقيقة التي لا غنى للمجتمع عنها في حياته ولها آثار هامة في أبواب الأنس والمحبة والسكن والرحمة والرأفة وتحمل أثقال التناسل والحمل والوضع والحضانة والتربية والتمريض وخدمة البيوت ولا يصلح شأن الإنسان بالخشونة والغلظة لولا اللينة والرقة ولا بالغضب لولا الشهوة ولا أمر الدنيا بالدفع لولا الجذب.

وبالجملة هذان تجهيزان متعادلان في الرجل والمرأة يتعادل بهما كفتا الحياة في المجتمع المختلط المركب من القبيلين وحاشاه سبحانه أن يحيف في كلامه أويظلم في حكمه ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[1] ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[2] وهو القائل: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[3]، وقد أشار إلى هٰذا الإلتيام والبعضية بقوله في الآية: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]، فانظر إلى عجيب بيان الآيتين حيث وصف

---

(١) سورة النور :٥٠.

(٢) سورة الكهف :٤٩.

(٣) سورة آل عمران :١٩٥.

(٤) سورة النساء :٤٣.

(٥) الروم ٢١.

الإنسان وهو الرجل بقرينة المقابلة بالانتشار وهو السعي في طلب المعاش وإليه يعود جميع أعمال اقتناء لوازم الحياة بالتوسل إلى القوة والشدة حتى مافي المغالبات والغزوات والغارات ولو كان للإنسان هٰذا الانتشار فحسب لانقسم أفراده إلى واحد يكر وآخر يفر. لكن الله سبحانه خلق النساء وجهزهن بما يوجب أن يسكن إليهن الرجال وجعل بينهم مودة ورحمة فاجتذبن الرجال بالجمال والدلال والمودة والرحمة فالنساء هن الركن الأول والعامل الجوهري للاجتماع الإنساني.

ومن هنا ما جعل الإسلام الاجتماع المنزلي وهو الازدواج هو الأصل في هٰذا الباب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1] فبدأ بأمر ازدواج الذكر والأنثى وظهور التناسل بذلك ثم بنى عليه الاجتماع الكبير المتكون من الشعوب والقبائل. ومن ذيل الآية يظهر أن التفضيل المذكور في قوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ الآية، إنما هو تفضيل في التجهيز بما ينتظم به أمر الحياة الدنيوية أعني المعاش أحسن تنظيم ويصلح به حال المجتمع إصلاحاً جيداً وليس المراد به الكرامة التي هي الفضيلة الحقيقية في الاسلام وهي القربى والزلفى من الله فإن الإسلام لا يعبأ بشيء من الزيادات الجسمانية التي لا يستفاد منها إلا للحياة المادية وإنما هي وسائل يتوسل بها لما عند الله.

فقد تحصّل من جميع ما قدمنا أن الرجال فُضّلوا على النساء بروح التعقل الذي أوجب تفاوتاً في أمر الإرث وما يشبهه لكنها

(١) سورة الحجرات: ١٣.

فضيلة بمعنى الزيادة وأما الفضيلة بمعنى الكرامة التي يعتني بشأنها الإسلام فهي التقوى أينما كانت[1].

حصيلة البحث:

قد تبين من جميع ما ذكرنا في تفسير وتوضيح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل الثلاث حول النساء أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في أصل الوجود والكمالات الوجودية والإنسانية والقيم المعنوية والكرامة عند الله تعالى، وأن الاختلاف الجسماني وفي بعض الأوصاف الروحانية والقوة التعقلية والعاطفية ليس ملاكاً للكرامة عند الله لا للرجل ولا للمرأة فإن الكرامة عنده سبحانه إنما تتحقق بالسعي الاختياري للإنسان ـ ذكراً كان أم أنثى ـ في سبيل تحصيل القربى إلى الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح والتقوى فالمجال والباب مفتوح أمام الرجل والمرأة على حدّ سواء، وبتعبير آخر: إن الوصول إلى الكرامة الإلهية ليس حكراً على الرجال بل إمكانه متحقق في النساء كالرجال والتحقق الخارجي خير دليل على ذٰلك الإمكان فهناك نساء كاملات معصومات وغيرهن قد بلغن عليا مراتب القرب والزلفى لدى الله تعالى، وقد سبق أن القرآن الكريم قد جعل امرأة فرعون ومريم بنت عمران مثلاً للذين آمنوا رجالاً ونساءً، وها نحن نقدّم نماذج متعددة من نساء كاملات:

نساء كاملات:

١ـ فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين:

(١) تفسير الميزان: جزء ٤ ص٢١٤ـ٢١٧.

فهذه السيدة الملكوتية عظيمة المنزلة عند الله تعالى وعند أوليائه المقدسين وهي من جملة أهل البيت عليهم السلام الذين فاقوا جميع الخلق في جميع عوالم الوجود من الملائكة والجنة والناس أجمعين، بكمالاتهم الروحانية وملكاتهم الأخلاقية وقربهم المعرفي والعبودي إلى رب العالمين سبحانه وتعالى... ولا يسعنا هاهنا إلا الاعتراف بالعجز عن معرفة البيت النبوي والولوي فالعجز عن بيان مقامات ومنازل أصحاب هٰذا البيت العظيم، مضافاً إلى أن ذٰلك يتطلب بحثاً مستقلاً ولكن ـ ومن باب أن الميسور لا يسقط بالمعسور وما لا يدرك كله لا يترك كله ـ نتمكن هنا من الإشارة إلى بعض مقامات تلك السيدة العظيمة المنزلة المستفادة من الآيات والرويات الشريفة بقدر ما يؤدي مطلوبنا ويلبي حاجتنا من هٰذا الفصل ألا وهو إثبات قدرة المرأة من الوصول إلى عليا الكمالات الإنسانية عن طريق ذكر المصاديق الخارجية البالغة إلى تلك المنازل، فنقول في شأن سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء سلام الله عليها أنها تمتاز بفضائل وكمالات كثيرة ومن جملتها:

١- العصمة الكبرى:

فهي سلام الله عليها معصومة بالعصمة الكبرى في العلم والعمل والمعرفة والأخلاق حسبما يستفاد من آية التطهير التي تبين وتثبت لأهل البيت عليهم السلام ومن جملتهم فاطمة الزهراء سلام الله عليها عصمةً حصرية وما ذٰلك الحصر إلا لأجل كون هٰذه الدرجة العليا لا ينالها غيرهم وإلا فأصل العصمة ثابتة لجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولو كان المقصود من التطهير وإذهاب الرجس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1] أصل العصمة لما كان معنى للحصرين المذكورين في الآية الكريمة المستفادين من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا﴾ ومن تقديم قوله تعالى: ﴿عَنكُم﴾ على ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾ حيث إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر فبدلاً من أن يقول: ﴿لِيُذْهِبَ الرِّجْسَ عَنْكُمُ﴾ قال: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ فأفاد بذلك أن هٰذا الإذهاب للرجس وهذا التطهير منحصر بأهل البيت عليهم السلام وبما أن أصل العصمة متحققة في جميع أنبياء الله تعالى والمرسلين عليهم السلام لزم أن يكون المقصود درجة العصمة لا أصلها وبذلك يتبين أن أعلى درجات العصمة العلمية والعملية والمعرفية والأخلاقية منحصرة بأهل البيت عليهم السلام ومن جملتهم سيدتنا الملكوتية فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

وتجدر الإشارة إلى أن العصمة العملية والأخلاقية بمعنى صيانة النفس عن المعاصي والرذائل اختيارية فالعمل بالوظائف والتكاليف الإلهية والتقوى بدرجاتها وتهذيب النفس عن الرذائل وتحصيل الفضائل الأخلاقية والملكات الروحانية الفاضلة و... أمور اختيارية وداخلة في إرادة الإنسان وهذا ما يصحح التكليف بالطاعة وترك المعصية ـ إذ لا يعقل تكليف العاجز عن الطاعة وتلاك العصية بهما فلو اجتمع جميع الأنبياء وأمروا العاجز عن فعل الصلاة به أو اجتمع جميع الشياطين وأمروا العاجز عن الكذب بالكذب لما تمكنوا من التأثير فيه ليقوم بالفعل أو ليترك..ـ كما أن الفضل والثناء واستحقاق المثوبة أو العقاب إنما يتحقق بكون الإنسان مختاراً في أفعاله قادراً على الفعل والترك بكامل إرادته، فما ليس باختياري للإنسان وإن

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

أوجب المدح أحياناً كمدح الذكي بذكائه إلا أنه لا يوجب فضلاً وقيمة معنوية وثناءً لدى الله تعالى كما لا يوجب ذماً ولا سقوطاً لدى الله ﷻ فلا الطاعة غير الاختيارية موجبة لاستحقاق الثواب ولا المعصية غير الإرادية مستلزمه لاستحقاق العقاب.. وبذلك يتبين أن العصمة عن المعاصي والرذائل الأخلاقية اختيارية فكل إنسان قادر على أن يعصم نفسه من الذنوب وترك طاعة رب العالمين وإلا لما صح أن يكلف بشيء ولا صدق استحقاقه لشيء من الثواب والعقاب ـ نعم المعصوم بالعصمة المصطلح عليها في علم الكلام وهي التي عليها المعصومون عليهم السلام، يمتنع صدورالمعصية منه مع إمكانه ذاتا وهذا ما يحتاج إلى بيان لسنا هنا بصدده.

وأما العصمة في العلم والمعرفة فهي وإن كانت فيضاً ربانياً خارجاً عن الاختيار المباشر فالإنسان يتمكن من تقليل أخطائه وسهوه ونسيانه بالتدقيق في تعقلاته وأفكاره وأعماله إلا أنه لا يتمكن من إزالة أصل الخطأ والسهو والنسيان عن نفسه فيصبح مصوناً منها باختياره وإرادته، ومع ذٰلك نقول: إن هٰذه العصمة أيضاً قابلة التحقيق بالإرادة والاختيار عن طريق غير مباشر فتكون هٰذه العصمة أيضاً راجعة إلى الاختيار، فما لم تكن في الشخص قابلية تلقي فيض العصمة العلمية والمعرفية من الرب العليم لم ينزل عليه ذٰلك الفيض الرباني، وتلك القابلية لا تتحقق إلا بالعمل والتقوى واكتساب الفضائل الأخلاقية بتهذيب النفس وتحليتها بالملكات الروحانية فإذا حصل هٰذا الاستعداد والقابلية الاختيارية نزل الفيض الرباني إذ لا بخل في جانب الرب المفيض و.

نعم أهل البيت عليهم السلام ومنهم سيدتنا الزهراء عليها السلام قد عُصموا

من الخطأ والنسيان والسهو في العلم والمعرفة منذ الصغر، فقد يقال إنهم لم يكونوا في صغرهم ومنذ ولادتهم قد عملوا شيئاً حتى يحققوا في أنفسهم تلك القابلية لينزل عليهم فيض العصمة العلمية من رب العالمين، ولكن الجواب هو أن نزول هٰذا الفيض عليهم منذ صغرهم لم يكن جرافياً وبلا علة وحكمة بل الله تعالى لعلمه بأنهم عليهم السلام سوف لا يميلون عن الحق وعن الطهارة العملية والأخلاقية رأس إبرة، حباهم بالعصمة العلمية والمعرفية منذ نعومة أظفارهم فضلاً منه ورحمةً فوجود الاستعداد والقابلية الاختيارية كافٍ في التفضل الإلهي السابق قبل فعليتها بذلك الفيض وقد دلت بعض الروايات على أن الله لعلمه بذلك عصمهم عليهم السلام منذ نعومة أظفارهم.

وأما أن العصمة العملية والأخلاقية المكتسبة تمهّد أرضية نزول فيض العصمة العلمية والمعرفية فهو مستفاد من أمثال قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1] حيث جعل ملاك التعليم الإلهي تقوى الله تعالى ومن المعلوم أن العلم الذي يقذفه الله تعالى في قلب المتقي ليس من سنخ العلوم الاكتسابية التي يكتسبها البشر عن طريق الدراسة والقراءة وغيرهما والتي يتطرق إليها الخطأ بل هو نور حقيقي والنور الحقيقي هو الظاهر في نفسه والمظهر لغيره ظهوراً وإظهاراً حقيقياً فلا معنى لتطرق الخطأ إليه فبمقدار ما يعلّمه الله تعالى يكون معصوماً فيه وكلما ارتقت درجة التقوى التي هي الملاك في نزول فيض العصمة العلمية والمعرفية، ارتقت درجة التعليم الإلهي فإذا بلغت التقوى إلى درجة العصمة العملية والأخلاقية الكبرى التي يمتنع معها صدور المعصية من صاحبها لمعرفته

(١) سورة البقرة: ٢٨٢.

التامة بقبح الذنب تحققت أرضية نزول العصمة العلمية والمعرفية الكبرى وبما أنه لا بخل من جانب المُفيض فلا محالة تنزل هٰذه العصمة، ويمكن استفادة هٰذا الأمر من بعض الروايات أيضاً كقوله النبي ﷺ: «**من أخلص عمله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[1].

وتفصيل البحث في موضوع العصمة وكذلك آية التطهير وتحديد معنى التطهير ومصاديق أهل البيت المطهرين وبيان المقصود من الإرادة الإلهية التي تعلقت بإذهاب الرجس وهل هي الإرادة التشريعية أو التكوينية أو كلتيهما، كل ذٰلك يتطلب مجالاً آخر وقد تطرق لهذه الأبحاث علماؤنا في تفاسيرهم وكتبهم الكلامية.

٢- رضاها رضى الله وغضبها غضبه تعالى:

قد دلت وصرحت الروايات المنقولة من طرق الشيعة والسنة أن الله ﷻ يرضى لرضا فاطمة عليها السلام ويغضب لغضبها فقد روى الحاكم في مستدركه عن النبي ﷺ أنه قال لفاطمة: «**إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»، يقول الحاكم معلقاً على الحديث: (وهذا حديث صحيح ولم يخرجاه)[2] ويقول الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد بعد نقل الحديث: (رواه الطبراني وإسناده حسن)[3] وأما من طرق الشيعة فالرواية منقولة في مصادر متعددة

(١) التحفة السنية: للسيد عبدالله الجزائري ص٨٨، وراجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٧٤ الحديث ٣٢١.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣ص١٥٤.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ص٢٠٣.

ولا داعي للتطرق لها.

وهذا الحديث دليل على منزلتها العظيمة وقربها لدى الله تعالى وتربيتها الربانية بحيث أصبحت مظهراً من مظاهررضى الله ﷻ وغضبه ﷻ،كما أن هٰذا الحديث سند قوي على عصمتها الكبرى وذلك لأجل أن غير المعصوم قد يرضى أو يغضب لجهل أو سهو أو خطأ أو نسيان وأحياناً لأجل الأهواء النفسانية وغيرها ومن غير المعقول أن يرضى الله أو يغضب لرضى أو غضب من رضي أو غضب بغير حق لجهله أو سهوه أو خطئه أو نسيانه أو لتبعيته لأهوائه، تعالى الله عن ذٰلك علواً كبيراً فإذا كان الله تعالى يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها كان ذك دليلاً على أنها لا تغضب ولا ترضى إلا بالحق ولأجل الحق ولا يمكن في حقها أن ترضى أو تغضب بلا حق لجهل أو سهو أو... وإلا لما رضي أو غضب الله لرضاها أو غضبها، وهذه هي العصمة.

٣- الكوثر:

إن من جملة فضائلها العظيمة التي تعتبر مجمعاً لكثير من الفضائل الجليلة هو كونها كوثراً عند الله بمعنى أن الله ﷻ الذي يعدّ الدنيا كلها بما فيها متاعاً قليلاً يعدّ فاطمة الزهراء عليها آلاف التحية والثناء خيراً كثيراً مبالغاً في كثرته فقد قال عز من قائل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[1] فيلزم معرفة أن معيار الخير عند الله تعالى الذي يعدّ كل الدنيا متاعاً قليلاً يختلف عن معياره عند الخلق ولا سيما أهل الدنيا وهذا ما

(١) سورة الكوثر.

يتطلب بحثاً تفصيلياً مستقلاً ولكن نقول إجمالاً أننا نعلم أن الخير الحقيقي هو ما يتعلق بكمال الروح وما يوجب تحقق الهدف من الخلق من المعرفة والعبودية لله تعالى والقرب العبودي لديه سبحانه فكل من تمكن من تحقيق هدف خلقه في جناحي العلم والعمل كان خيراً وكلما ارتقى في ذٰلك وحقّق هدف خلقه بشكل أكبر وأكثر كانت خيريته أكثر وإذا كان الحاكم بكون فاطمة خيراً كثيراً بصيغة المبالغة هو الله تبين لنا أن سيدتنا الملكوتية قد حقّقت الهدف من خلقها في أعلى مراتبه الممكنة لأحد من الخلق.. أضف إلى ذٰلك أنها أم الأئمة النجباء الذين يعد كل واحد منهم خيراً كثيراً بالمعيار المذكور، ومن جملة مصاديق خيريتها الكثيرة هو السر المستودع فيها وللسر المستودع فيها مصاديق مختلفة ومن أبرزها وأعظمها عصارة الخلق وخلاصة الفضائل كلها مهدي الأمة الأمام صاحب الأمر والزمان الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً حسب روايات الشيعة والسنة والذي سيحقّق جميع آمال وأهداف جميع الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين.. وأيُّ خير أعظم وأكثر من هذا، فجدته فاطمة الزهراء عليها السلام كوثر لكونها منشئاً لجميع هٰذه الخيرات الكثيرة وغيرها مما لا نحصيه عَدَداً وعُدَداً.

٤- نور للملأ الأعلى والملائكة المقربين:

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وهي بضعة مني وهي نور عيني وهي ثمرة فؤادي وهي روحي التي بين جنبيّ وهي الحوراء الإنسية، متى ما قامت**

في محرابها بين يدي ربها ﷻ زهر[1] نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله ﷻ لملائكته: «يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار..»[2]

وهذا الحديث الجليل يشتمل على الكثير من فضائلها وكمالاتها الروحانية ككونها روح النبي ﷺ ومن الواضح أن إنسانية الإنسان بروحه لا بجسمه ـ كما في كل موجود ذي روح فيعد الروح حقيقة الشيء وما به الشيء هو هو ـ ولولاه لما كان إنساناً فإذا كانت الزهراء عليها السلام روح النبي صلوات الله عليه وآله كانت حقيقته وهذا يعني أنها سلام الله عليها متخلقة ومتصفة بجميع كمالاته صلوات الله عليه وآله الروحانية وفضائله الأخلاقية و.

ومن جملة ما يستفاد من هٰذا الحديث الشريف أنها عليها السلام خلاصة وجود النبي ﷺ وذلك من قوله: «**وهي ثمرة فؤادي**» وأنها حوراء وفي نفس الوقت هي إنسية، وأنها حينما تقوم في محراب عبادتها أشرق وتلألأ منها نور ملكوتي يضيء لأهل الملكوت وعالم النور والمجردات والملائكة المقربين، وجليٌّ أن هٰذا النور ليس من سنخ نور عالم الطبيعة والمادة فإن الملائكة ليسوا من هٰذا العالم وليس لهم جسم عنصري كي يستنيروا بنور جسماني ـ كما أن هناك اعتبارات أخرى تنفي كون ذٰلك النور من سنخ النور الجسماني ليس هنا محل بسطها ـ فيلزم أن يكون ذٰلك النور من سنخ آخر من

---

(١) أي تلألأ وأشرق.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق قدس سره: ص١٧٥ المجلس ٢٤ الحديث ٢ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٨ الحديث١ و...

قبيل نور العلم والمعرفة والعبودية و.. فقد تكون عبادتها في محرابها بخلوص النية وحضور القلب كاشفة لأهل السماء من المعارف والحقائق ولحقيقة العبودية بشكل أكمل ما لم يكن منكشفاً لهم قبل ذٰلك في تلك المرتبة فإن النور هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره فالنور الجسماني ظاهر جسماني مظهر للجسمانيات والنور المعنوي ظاهر معنوي في نفسه مظهر للأمور المعنوية من المعارف والحقائق و... بل المستفاد من بعض الأخبار أنها هي ذاتاً موجودة نورية ـ مضافاً إلى تلألؤ نورها حين العبادة للملائكة الذين يدركون أمثال هٰذا النور ـ مخلوقة من نور عظمة ربها فعن جابر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قلت: لم سميت فاطمة الزهراء، زهراء؟ فقال: لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا، ما هٰذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هٰذا نور من نوري وأسكنته سمائي، خلقته من عظمتي أخرجه من صلب نبي من أنبيائي، أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذٰلك النور أئمة يقومون بأمري، يهدون إلى حقي وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي[1].

٥- محدثة:

فقد روي أن جبرئيل أمين وحي الله تعالى كان ينزل عليها بعد أبيها صلى الله عليه وآله ويحدثها كما نقرأ ذٰلك في زيارتها حيث نقول: «**السلام**

(١) الإمام والتبصرة: للشيخ الصدوق رحمه الله ص١٣٣ الحديث ١٤٤.

عليك أيتها المحدثة العليمة»[1] ومن المعلوم أنه ليس من السهل أن يكون إنسان قد بلغ إلى درجة من الكمال وصفاء القلب بحيث تتحقق فيه قابلية نزول الملائكة ومن أعظمهم جبرائيل ـ أمين وحي الله وواسطة فيض الحياة المعنوية من قبل الله تعالى على المكلفين ـ عليه وها هي فاطمة الزهراء عليها السلام قد بلغت هٰذه المرتبة التي تجعلها قابلة لتلقي الإخبارات الإلهية عن مختلف الشؤون بواسطة جبرائيل عليه السلام ولهذا سميت بالمحدثة كما ورد في زيارتها المشار إليها آنفاً وقد ورد في الخبر الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام: «... **إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام**»[2].

د- فداها أبوها:

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال عنها عليها السلام: «**فداها أبوها**» ثلاث مرات[3] وهل يمكن أن يفدي النبي صلى الله عليه وآله بنفسه أحداً إلا إذا كان في مرتبته علماً وعملاً وكمالاً إلا في النبوة المستثناة عن كل أحد بعده صلى الله عليه وآله إذ لا نبي بعده وهو خاتم النبيين.

---

(١) تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي رحمه الله ج٦ ص١٠ الحديث ١٢.

(٢) أصول الكافي ج١ ص٢٤١ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام الحديث ٦.

(٣) أمالي الصدوق رحمه الله ص٣٠٥ المجلس ٤١ الحديث ٧/٣٤٨ و.....

ذ- الكفؤ الحصري لعلي عليه السلام:

قد ورد أنه لو لم تكن فاطمة عليها السلام لما كان لعلي عليه السلام كفؤ كما أنه لو لم يكن علي عليه السلام لما كان لفاطمة عليها السلام كفؤ فعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة، ما كان لها كفو على ظهر الأرض من آدم ومن دونه**»[1].

وقوله عليه السلام: «**من آدم ومن دونه**» يدل على عظيم منزلتهما وتفوقهما على سائر الأنبياء عليهم السلام لأنه لا يتمكن أحد بعد هٰذه العبارة أن يقول أن مقصوده عليه السلام: أنه لم يكن لها كفو ممن يجوز لها الزواج معه فيخرج الأنبياء العظام كإبراهيم عليه السلام حيث أنهم محارم لفاطمة الزهراء عليها السلام لكونهم أجدادها فهم أكفاء لها إلا أنه لا يجوز لهم تزويجها، وذلك لأجل أن الأمام عليه السلام قد ذكر أن آدم ومن دونه ـ أي جميع من يأتي بعده ـ ليسوا أكفاء لسيدتنا الملكوتية فاطمة الزهراء عليها السلام ومن المعلوم أن أبا البشر آدم كان جدها وجد غيرها من البشر إلى يوم القيامة فهو محرم لجميع نساء البشرية إلى يوم الدين، فليس مقصوده عليه السلام إلا أن أحداً من البشرية لم يكن ولا يكون بمرتبة الزهراء عليها السلام في الكمالات الروحانية ليكون كفؤاً لها سواء كان من محارمها أو غيرهم... ولهذا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام يفتخر بها وبأنها زوجته وأنه ليس لأحد زوجة مثلها كما كان يستشهد بكلامها أحياناً وإليكم بعض الروايات في هٰذا المجال:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في مناشدته للقوم: «... **قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعة**

---

(١) الكافي: ج١ ص١٤٦١ الحديث ١٠.

منه وسيدة نساء أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا...»[1] وكونها سيدة نساء العالمين متفق عليه في روايات الشيعة والسنة فعن عائشة أن النبي ﷺ قال وهو في مرضه الذي توفي فيه: **«يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هٰذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين»**[2] يقول الحاكم النيسابوري بعد نقل هٰذا الحديث: «**هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه هكذا**».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا إمام البرية ووصي خير الخليقة وزوج سيدة نساء هٰذه الأمة**»[3].

ومن عظيم منزلتها عليها السلام عند أمير المؤمنين عليه السلام أنه عليه السلام مع عظمته وعصمته الكبرى والعليا وكونه أخا رسول الله ﷺ بل نفسه بنص القرآن الكريم في آية المباهلة وهو من يعلم علم الكتاب كما أخبر به القرآن في قوله تعالى في نهاية سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ و... مع كل ذٰلك يستند في بعض كلماته إلى كلامها عليها السلام فقد قال عليه السلام على ما رواه الصدوق في الخصال في الحديث الأربعمائة: **لالا تحجروا الأكفان ولا تمسحوا موتاكم بالطيب إلا الكافور فإن الميت بمنزلة المحرم، مروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم فإن فاطمة بنت محمد ﷺ لما قبض أبوها ﷺ ساعدتها جميع بنات بني هاشم، فقالت: دعوا التعداد وعليكم بالدعاء»** (وفي تحف العقول: أشعرها بنات هاشم فقالت: اتركوا الحِداد وعليكم بالدعاء.

(١) الخصال: للصدوق رحمه الله ص٥٥٥ الحديث ٣١، ومن مصادر أهل السنة تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص ٤٣٢.

(٢) المستدرك: للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٥٦.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج١ ص١٣٣٨ الحديث ١٣٦ و.....

وفي هامش البحار: التعداد عدّ مناقب الميت ووصفه، والحِداد بالكسر: ترك المرأة الزينة ولبسها السواد لموت زوجها، لعله هنا من حد الأمر: عرّفه)[1].

فاستشهاده بكلامها عليها السلام مع أنه في غنىً من ذٰلك لكونه هو بنفسه من مصادر الشرع الذين يُستند إلى كلامهم لإثبات الأحكام الشرعية والأخلاق الإسلامية والإنسانية والمعتقدات الحقة و.. وكان قد أخذ جميع الدين بجميع جوانبه عن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، دليلٌ على عظمتها عنده وبيانٌ لتلك العظمة والمنزلة السامية للناس ليعرفوا ويتعرفوا على منزلتها سلام الله عليها عند الله وعند أولياءه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

وعندما يذكر مفاخره ومفاخر أهل البيت عليهم السلام في كتابه إلى معاوية يذكر من جملتها كون سيدة النساء منهم عليها السلام فيقول عليه السلام: «.. **ومنا النبي ومنكم المكذب[يعني أبا جهل كما أشار إليه بعض شرّاح النهج كمحمد عبده] ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف [يعني أبا سفيان كما في المصادر المذكورة حيث أنه حزّب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق] ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار [وهم أولاد مروان بن الحكم أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم أهل النار، ومرقوا عن الدين في كبرهم ـ محمد عبده] ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب [أم جميل بنت حرب عمة معاوية وزوجة أبي لهب ـ محمد عبده]..**»[2].

---

(١) راجع خصال الصدوق ؛ رحمه الله ص٦١٨ وكذا تحف العقول لابن شعبة الحراني رحمه الله ص١٠٧ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله ج١٠ ص٩٧ الهامش١.

(٢) نهج البلاغة الكتاب ٢٨ كتبه الى معاوية جواباً.

إلى غير ذٰلك من فضائلها وكمالاتها وما نقلناه قطرة من بحر لا ينفد من علم وفضل وكمال وسجايا، كيف لا؟ وهي عِدل علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي عنده علم الكتاب وعلم من عنده علم من الكتاب (آصف بن برخيا) قياساً إلى علمه كقطرة من الماء تأخذها بعوضة بجناحها من بحر محيط، ففاطمة الزهراء عِدل هٰذا الرجل العظيم الذي افتخر بها ودل بذلك على أنه صلوات الله عليه يرى للمرأة الكاملة منزلتها العظيمة ولا يبخسها من حقها شيئاً بل ويفتخر بزوجتيه لها و.. وكل ذٰلك يدل على أنه عليه السلام لم يكن في هٰذه الخطبة بصدد التنقيص من شأن المرأة بما هي امرأة بل معنى ماذكره في تلك الخطبة هو ما ذكرناه _ وستأتي تتمة الخطبة مع بيان مغازيها _ وهدفه من إيراد هٰذه الخطبة ما سيأتي منا توضيحه إن شاء الله تعالى.

هذا، وهناك نساء أُخريات قد بلغن كمالات عالية وارتقين مدارج عظيمة من الإيمان والقربى لدى الله تعالى نشير إلى بعضهن فيما يلي:

٢- امرأة فرعون ورسوخ إيمانها:

من السهل أن يكون الإنسان مؤمناً عاملاً بالصالحات فيما إذا كان يعيش في أجواء إيمانية وظروف خالية من الامتحانات الصعبة وإن كان هناك عسر لأجل وجود أصل التكليف الذي فيه نوع من الكلفة لعامة الناس فهو قابل للاستحمال، ولكن ليس من السهل أن يؤمن أو يحافظ على إيمانه من يعيش في بيت ملك جبّار يدعي الربوبية ومن جانب آخر يحيط به جميع النعم المادية، فالإيمان بالله

الواحد القهـار أو المحافظة علـى الإيمـان والتمرد على ذٰلـك الملك الجبـار المسـتبد الـذي لديـه جميـع القـوى والقـدرات لكسـر ظهور الأعداء وشوكتهم، أمر صعب جداً وذلك من عدة جهات من جملتها:

١ـ بأس الملك وشـدته وقسـوته وقدرتـه على العـذاب والتنكيل بمن يقف في وجهـه، فهذا يمنع من التمرد عليه أو يجعله أمراً شـاقاً على أقل تقدير.

٢ـ وفرة النعـم والأمـوال والأرزاق فـي البلاط الملكـي يمنع من العمل بما يوجـب الحرمان منهـا أو يجعله عسـيراً وشـاقاً جداً على أقل تقدير.

ولكن آسية بنت مزاحم امرأة فرعون:

١ـ لم تخش إلا الله تعالى.

٢ـ ولم تغتر بنعم الدنيـا، فآمنت بربها العظيـم ووقفت في وجه الطاغية فرعون المالك لجميع وسائل الترغيب والترهيب وهو زوجها والملـك المدعـي للربوبيـة والقائـل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[1] و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾[2] والمهـدّد بالسـجن لمن يتخذ إلهـاً غيـره: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾[3] و... فلم يمنعها شـيء من ذٰلك عن المحافظـة على إيمانهـا والوقوف في وجه زوجهـا الجبار الظالم القتّال للأبناء المسـتحيي للنسـاء، والإدبار عن الدنيـا وما فيهـا من نعـم ورفـاه ورخاء في ظـل العيش مـع ذٰلك المدعي للربوبيـة و... وقد يكون قوله تعالـى: ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ من

---

(١) سورة النازعات: ٢٤.

(٢) سورة القصص: ٣٨.

(٣) سورة الشعراء: ٢٩.

دون التصريح باسمها إشارة إلى صعوبة هٰذا الأمر ـ أي الإيمان والمحافظة عليه مع كونها زوجة لفرعون ـ. فإن دلَّ ذٰلك على شي فإنما يدل على رسوخ إيمانها بربها الكريم وبلوغها أعلى درجات الإيمان واليقين الذي لا يمكن إزالته أو زعزعته بترغيب أو ترهيب فأصبحت بذلك ـ وبجعل من الله تعالى ـ مثلاً ونموذجاً كاملاً للإيمان وللذين آمنوا رجالاً ونساءً حيث قال الله العظيم في شأنها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

فهذه المرأة العظيمة أيضاً مصداق جليٌّ من مصاديق النساء الكاملات اللاتي أصبحن مثلاً ونموذجاً إلهياً للإيمان وأسوة وقدوة للمؤمنين والمؤمنات وأصبحت دليلاً عينياً على أن سبيل الكمال والقرب العبودي إلى الله تعالى مفتوح أمام جميع الناس رجالاً ونساءً وليس ذٰلك حكراً على الرجال.

٣- مريم بنت عمران وعلو شأنها:

وهي الأخرى التي جعلها الله تعالى مثلاً للذين آمنوا رجالاً ونساءً وذلك بطهارتها وعفتها وصيانتها لنفسها عما يبعد الإنسان من الله تعالى ويقربه إلى الشيطان فقال تعالى عنها عطفاً على امرأة فرعون: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[2] فالآية تشتمل على بعض مواصفاتها الكمالية وأعمالها المبتنية على التقوى

(١) سورة التحريم: ١١.

(٢) سورة التحريم: ١٢.

كالإحصان والتصديق بكلمات الرب والقنوت والخضوع الدائم امتثالاً للأمر بالقنوت الوارد في الآية التالية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1] والاصطفاء هو اختيار الصافي وأخذ الصفوة وإذا كان المصطفي والذي يختار هٰذا الصافي هو الله ﷻ كان الصفاء حقيقياً بتمام ما للكلمة من معنى، والصافي هو الذي لا شائبة فيه فإذا بلغ الإنسان درجة التسليم كان بمقدار تسليمه خالصاً وخالياً من الشوائب فإذا وصل إلى التسليم المحض لله رب العالمين اصطفاه الله تعالى، يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الاصطفاء: «أخذ صفوة الشيء وتخليصه مما يكدره، فهو قريب من معنى الاختيار وينطبق من مقامات الولاية على مقام الإسلام وهو جري العبد في مجرى التسليم المحض لأمر ربه فيما يرتضيه له، لكن ذٰلك غير الاصطفاء على العالمين، ولو كان المراد بالاصطفاء هنا ذاك الاصطفاء لكان الأنسب أن يقال: من العالمين، وأفاد اختصاص الإسلام بهم واختل معنى الكلام، فالاصطفاء على العالمين نوع اختيار وتقديم لهم عليهم في أمر أو أمور لا يشاركهم فيه أو فيها غيرهم، ومن الدليل على ما ذكرناه من اختلاف الاصطفاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2]، حيث فرق بين الاصطفائين فالاصطفاء غير الاصطفاء[3] فلمريم سلام الله عليها اصطفاءان من قبل الله تعالى

(١) سورة آل عمران: ٤٢ـ٤٣.
(٢) سورة ألعمران: ٤٢.
(٣) تفسير الميزان: ج٣ ص١٦٤ـ١٦٥.

إصطفاء بمعنى كونها خالصة جارية في مقام العبودية مجرى التسليم لأمر ربها وهو من جملة أسباب اصطفاءها بالمعنى الثاني وهو اختيارها وتقديمها على نساء العالمين، فهذه خصلة إلهية عظيمة اتصفت بها مريم العذراء عليها السلام.

والخصلة الثانية والمستفادة من نفس الاصطفاء هي كونها محدثه من قبل الملائكة، قال العلامة الطباطبائي قدس سره عن كونها محدثه وعن اصطفاءها: «وفي الآية دليل على كون مريم محدثة تكلمها الملائكة وهي تسمع كلامهم كما يدل عليه أيضاً قوله في سورة مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ إلى آخر الآيات وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أن ذلك بيان لاستجابة دعوة أم مريم: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾، الآية، وأن قول الملائكة لمريم أن الله اصطفاك وطهرك إخبار بما لها عند الله سبحانه من الكرامة والمنزلة فارجع إلى هناك.

فاصطفاؤها تقبلها لعبادة الله وتطهيرها اعتصامها بعصمة الله فهي مصطفاة معصومة، وربما قيل إن المراد من تطهيرها جعلها بتولاً لا تحيض فيهيأ لها بذلك أن لا تضطر إلى الخروج من الكنيسة ولا بأس به غير أن الذي ذكرناه هو الأوفق بسياق الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾، قد تقدم في قوله تعالى إن الله اصطفى إلى قوله على العالمين أن الاصطفاء المتعدي بعلى يفيد معنى التقدم وأنه غير الاصطفاء المطلق الذي يفيد معنى التسليم وعلى هٰذا فاصطفاؤها على نساء العالمين تقديم

لها عليهن....»[1] فهذه امرأة أخرى بلغت التسليم لله تعالى فاصطفاها على نساء العالمين مما يدل على أن بلوغ هٰذه الدرجة أمر ممكن لقبيلى الإنسان الرجال والنساء ولا تفضيل في القيم المعنوية للرجال بما هم رجال على النساء بما هن نساء.

٤- زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام:

زينب وما أدراك ما زينب وما عظمتها وجلالتها عند بارئها، إنها حقيقةً زينة أبيها كما سماها ربها الكريم عند ولادتها وقد بلغت الكمال وارتقت مدارج القرب العبودي إلى الله تعالى بعبادتها وتعبدها لله تعالى وصبرها على أعظم المصائب التي تُجثي شجعان الرجال على ركبهم وما ذٰلك إلا لمعرفتها بحقائق الأمور وبأنه لا قيمة للدنيا وما فيها إلا أن تكون وسيلة ومدرجة لنيل القرب إلى الله تعالى ومدرسة لتحصيل الكمالات والفلاح لدى الله تعالى، نعم إنها كانت عارفة بذلك بعلم لدنّي كما قال الإمام السجاد عليه السلام مخاطباً إياها: «**أنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهّمة...**» وذلك بعد أن خطبت خطبتها الشهيرة أمام أهل الكوفة بعد واقعة كربلاء وبعد ما رأت الناس يبكون، قال حذيم الأسدي[2]: «**لم أر والله خَفِرة قط أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس..**»[3] وهذا تصرف ملكوتي ارتدت الأنفاس وسكنت

(١) المصدر: ص١٨٨_١٨٩.

(٢) هكذا في الإحتجاج، وفي البحار: بشير بن خزيم الأسدي.

(٣) راجع الإحتجاج: للطبرسي ج٢ ص٢٩ والبحار ج٤٥ ص١٠٨ وغيرهما من المصادر.

الأجراس بـه، وأنّى ذٰلك للبشـر غير الواصـل إلى مقـام العبودية التي هي جوهرة كنهها الربوبيـة ولا عجب بعد ذٰلك أن يقـول عنها الإمام زين العابدين عليه السلام الذي لا ينطق إلا بالحـق والصدق بلا اختلاف مع الواقع ولا تخلف عنه بحكم عصمته: «**إنك بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمه غير مفهمة**».

ومما يـدل علـى وصولها إلـى درجـات القـرب العبـودي والعلم اللدنّي هـو عدم تأثيـر تلـك المصائب العظيمـة على ارتباطهـا بربها الكريم حيـث أن المـرويّ أنها لـم تترك صـلاة ليلها في تلـك الليلة العصيبة المليئـة بالمصيبة وذلك أنها قد أدركـت جمال الرب وجلاله وأن جميع الكون وما فيه مظاهر لجماله وجلاله سـبحانه وعلمت أن الـرب الجليل الجميـل لا يريد لعبـاده إلا الخيـر والصلاح والسـعادة فـلا يقـرّر ولا يقـدّر لهـم إلا ما هـو صـلاح وسـعادة لهـم فـلا يكون تقديـره ـ وإن كان بظاهـرة مـن أعظـم المصائـب ـ إلا جميـلاً وقد قالت زينب الكبرى سـلام الله عليها كلمتها تلك أمام أشـقى وأقسى أعـداء الله الظالميـن لأهـل البيـت عليهم السلام حينما قـال لها: (كيـف رأيت صنـع الله بأخيـك)[1] ـ قالـت ـ: «**ما رأيت إلا جميلاً، هٰؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم...**»[2] إلـى غيـر ذٰلـك من مواقفها الجميلة والعظيمة الدالة على عظمة روحها ومعرفتها الكاملة بحقائق الكون وما فيه وبربها العظيم وبولاية أوليائـه المعصومين فقدّمت في سـبيل الله تعالى أولادها شـهداء بين يدي أخيها الإمام الحسـين عليه السلام

(١) وفي بعض النسخ: «بأخيك وأهل بيتك» وفي نسخة أخرى: «بكم أهل البيت».

(٢) راجع الإرشاد: للمفيد رحمه الله ج٢ ص١١٥، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص١٩٠، ومثير الأحزان لابن نما الحلي ص٧١، و.....

فلم تخرج حين استشهادهم من الخيمة كي لا يخجل الحسين عليه السلام منها أو لحياء الكرم الذي هو من أجلّ الصفات والفضائل والسجايا الأخلاقية ولما وجدت جسد أخيها المرمّل بالدماء روي عنها أنها وضعت يديها تحت جسده الشريف وقالت: «**اللهم تقبل منا هٰذا القليل من القربان**»[1] كل ذٰلك يدل على عظيم منزلتها وعميق معرفتها بالله تعالى ووصولها إلى درجات الكمال التي لم ولن يبلغها غالبية الرجال وهي بنت أمير المؤمنين عليه السلام صاحب تلك الخطبة. فلا يمكن أن يكون مقصوده عليه السلام منها ما يفهمه البسطاء بنظرهم البدوي السطحي من نقص العقل والإيمان والحظ.

٥- خديجة الكبرى سلام الله عليها:

وهي أولى زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وأفضلهن على الإطلاق وأول من آمنت به صلوات الله عليه وآله من النساء وهي أم سيدة نساء العالمين وهي أيضاً من النساء اللاتي اكتسبن عليا درجات الإيمان والكمالات الروحانية بإيمانها الصادق وعملها الصالح وإنفاقها أموالها في سبيل إقامة وإحياء دين الله عزّ وجلّ فاستحقت بذلك وأمثاله أن يبلغها رسول الله صلى الله عليه وآله سلام الله بواسطة جبرائيل عليه السلام، قال ابن هشام: حدثني من أثق به أن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أقرء خديجة من ربها السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا خديجة هٰذا جبرئيل يقرئك من ربك السلام فقالت خديجة: الله السلام ومنه السلام وعلى جبرئيل السلام. وروي أن آدم عليه السلام قال: إني لسيد البشر يوم القيامة إلا رجل من ذريتي نبي من الأنبياء يقال له: محمد صلى الله عليه وآله وفي المصدر:

(١) وفيات الأئمة: ص٤٥٠.

أحمد «**فضّل عليّ باثنين: زوجته عاونته وكانت له عوناً، وكانت زوجتي عليّ عوناً، وإن الله أعانه على شيطانه فأسلم وكفر شيطاني**»[1] والحديث وإن كان مشتملاً على بعض ما لم يمكن الالتزام به كانحصار فضل النبي ﷺ على آدم بهذين الأمرين وككون آدم سيد البشر حتى أولي العزم من الأنبياء مع أنه لم يكن من أولي العزم وقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[2] وأمور أخرى أوردها البعض ولكنها قابلة للحل بالحمل على ما لا إشكال فيه وهذا ما يتطلب محلاً آخر، ولكنه من حيث معاونة خديجة لرسول الله ﷺ صادق غير قابل للإنكار.

وعن عائشة قالت: كان رسول الله إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً فسقطت في يدي (أي ندمت على ذلك)، فقلت: اللهم إنّك إن أذهبت بغضب رسولك ﷺ لم أعد بذكرها (لذكرها) بسوء ما بقيت، قالت: فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس ورزقت مني (الولد) حيث حرمتموه..[3].

وقد ذكرها الإمام الحسين عليه السلام في عداد أهل الفضل والكرامة عند الله تعالى من أهل بيته وآبائه وأجداده قبال أعداءه في كربلاء يوم عاشوراء حيث قال صلوات الله عليه: «**أنشدكم الله، هل تعرفوني؟**

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج١٦ ص١١ـ١٢. وورد سلام ربها عليها في بعض صحاح أهل السنة أيضاً كصحيح البخاري: ج٨ ص١٩٧.

(٢) سورة طه: ١١٥.

(٣) بحار الأنوار: ج١٦ ص١٢.

قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم... ـ إلى أن قال عليه السلام: ـ أنشدكم الله، هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد، أول نساء هٰذه الأمة إسلاماً؟ قالوا: اللهم نعم..»[1].

٦- فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليها السلام:

وهذه السيدة العظيمة غنية عن التعريف بعدما وصفها الأئمة عليهم السلام بصفات قل من اتصف بهـا أو جُمعت له تلك الأوصاف فقد سـميت بـ: «**كريمة أهل البيت عليهم السلام ـ فاطمة ـ حميدة ـ برّة ـ طاهرة ـ رشيدة ـ تقية ـ نقية ـ رضية ـ مرضية ـ سيدة ـ أخت الرضا عليه السلام ـ صديقة ـ سيدة نساء العالمين**» وكفاهـا فخراً وعظمةً أن سـماها الإمام المعصوم عليه السلام بالمعصومة، فقد روي أن الإمـام الرضا عليه السلام قال: «**من زار المعصومة بقم كمن زارني**».

وورد أن عدة مـن أهل الري دخلوا على أبـي عبدالله عليه السلام وقالوا: نحن من أهل الري، فقـال عليه السلام: مرحباً بإخواننا من أهـل قم، فقالوا: نحن من أهـل الري فأعاد الـكلام، قالوا ذٰلك مـراراً فأجابهم بمثل ما أجاب بـه أولاً، فقال: إن لله حرماً وهو مكة، وإن للرسـول (لرسـوله) حرماً وهو المدينـة، وإن لأمير المؤمنيـن حرماً وهو الكوفـة، وإن لنا حرمـاً وهو بلـدة قم، وسـتدفن فيهـا امرأة مـن أولادي تسـمى فاطمة فمن زارهـا وجبت له الجنـة، قال الـراوي: وكان هٰذا الـكلام منه قبل أن يولد الكاظم[2] عليه السلام ويتبين مـن هٰذا الحديث أن قدسـية مدينة قم

---

(١) الأمالي: للشيخ الصدوق رحمه الله ص٢٢٢، وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٣٦٨ باب٧٤ الحديث ١، وبحار الأنوار ج٥٧ ص٢١٦ الحديث٤١.

المقدسة مستندة إلى كونها مدفناً لهذه السيدة العظيمة أو أن ذٰلك من أهم أسبابها. كما نقرأ في زيارتها الصادرة من المعصوم عليه السلام مما يدل على أنه لا يمكن أن يكون فيها مبالغة مخالفة للواقع: «**اللهم ورضاك والدار، يا فاطمة اشفعي لي في الجنة فإن لك عند الله شأناً من الشأن**»[1] فعظيم منزلتها عند الله جعلها شفيعة عند الله يوم الجزاء تشفع في الجنة إدخالاً لمن تشفع أو ترقية لدرجته في الجنة ـ حسب الاحتمالين في قوله عليه السلام: «**في الجنة**» وقد يكونان مقصودين معاً ـ وهذا مؤيِّد للرؤيا التي رأى فيها الشيخ عباس القمي رحمه الله فيها المحقق الميرزا القمي رحمه الله حول شفاعة فاطمة المعصومة سلام الله عليها لأهل قم حيث خاطبه الميرزا قدس سره قائلاً: «**شفاعة أهل قم بيدي وأما فاطمة المعصومة فشفاعتها لأهل العالم**».

ومما يدل على كمالها العلمي والمعرفي في شؤون الدين هو أنها أجابت على مسائل أهل قم في غياب أبيها الإمام الكاظم عليه السلام ـ وقد قيل أن عمرها آنذاك لم يتجاوز الثمان سنوات ـ فلما رأى الإمام أجوبتها قال: فداها أبوها ثلاثاً. إلى غير ذٰلك من الروايات المروية في شأنها وكمالها وقربها وتعبدها لربها ومعرفتها بالدين.

٧- فضة الخادمة:

بعدما ذكرنا نساءً كاملات لهن نوع ارتباط ببيت العصمة والنبوة غالباً يجدر بنا أن نذكر نساء أخريات قد بلغن مراتب من الفضل والمعرفة والقرب إلى الله تعالى كي لا يقال أن المذكورات مستثنيات وقد شملهن اللطف الإلهي الخاص فلا يمكن الاستناد إلى كمالهن

(١) البحار: ج٩٩ ص٢٦٧، وصحيفة الإمام الرضا عليه السلام ص٢٤٠.

ومعرفتهـن لإثبـات أن النسـاء عامـة قـادرات علـى الوصـول إلـى ما يتمكـن الرجال مـن بلوغه مـن الكمـال.. فنقـول أن من جملة النسـاء ذوات الفضل والمعرفة هي فضـة الخادمة رضي الله تعالـى عنها التي لم تتكلم بغيـر القرآن أكثر من عشـرين عاماً وذلك دليـل على أنها:

١ـ حافظة لكل القرآن الكريم.

٢ـ عارفـة بمعانيـه إذ لـولا معرفتها بها لمـا تمكنت مـن التكلم بالقرآن في جميع شـؤون حياتها ولوقع منها الخطأ في تطبيق الآيات على مـوارد حاجتها والمواضيع التـي تريد أن تتحـدث عنها، وإليكم الرواية الدالة على ذلك:

عن أبي القاسـم القشـيري في كتابه: قـال بعضهـم، انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امـرأة فقلت لها: من أنـتِ؟ فقالت: (وقل سـلام فسـوف تعلمون)[١] فسـلمت عليها، فقلت ما تصنعيـن هاهنا؟ قالت: (مـن يهد الله فـلا مضل لـه)[٢] فقلت: أمـن الجن أنـت أم من الإنس؟ قالـت: (يا بني آدم خـذوا زينتكم)[٣] فقلت مـن أين أقبلتِ؟ قالـت: (ينـادون مـن مـكان بعيـد)[٤] فقلـت أيـن تقصديـن؟ قالـت: (ولله على النـاس حج البيـت)[٥] فقلت متـى انقطعتِ؟ قالـت: (ولقد خلقنا السـموات والأرض في سـتة أيـام)[٦] فقلـت أتشـتهين طعاماً؟ فقالت: (وما جعلناهم جسـداً لا يأكلون الطعام)[٧] ثـم قلت: هرولي

(١) سورة الزخرف: ٨٩.

(٢) سورة الزمر: ٣٧ والآية «ومن يهد الله فما له من مضل» ولعله تصحيف من الراوي.

(٣) سورة الأعراف: ٣١.

(٤) سورة فصلت: ٤٤.

(٥) سورة آل عمران: ٩٧.

(٦) سورة ق: ٣٧ = بزيادة: وما بينهما.

(٧) سورة الأنبياء: ٨.

ولا تعجلي، قالت: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعه)[1]، فقلت أردفك؟ فقالت: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[2] فنزلت فأركبتها، فقالت: ((سبحان الذي سخر لنا هذا))[3] فلما أدركنا القافلة قلت: ألكِ أحد فيها؟ قالت: ((يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض))[4] ((وما محمد إلا رسول))[5] ((يا يحيى خذ الكتاب))[6] ((يا موسى إني أنا الله))[7] فصحت بهذه الأسماء فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت: من هٰؤلاء منك؟ قالت: ((المال والبنون زينة الحياة الدنيا))[8] فلما أتوها قالت: ((يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين))[9] فكافوني بأشياء فقالت: ((والله يضاعف لمن يشاء))[10] فزادوا علي، فسألتهم عنها فقالوا: هٰذه أمنا فضّة جارية الزهراء عليها السلام ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن[11].

٨- رابعة الشامية:

قال العلامة الشيخ الجوادي عن رابعة الشامية زوجة أحمد بن أبي الحواري: إنها ممن لا ينكر فضلها وكرامتها وينقل عنها

(١) سورة البقرة :٢٨٦.
(٢) سورة الأنبياء :٢٢.
(٣) سورة الزخرف :١٣.
(٤) سورة ص :٢٦.
(٥) سورة آل عمران :١٤٤.
(٦) سورة مريم : ١٢.
(٧) سورة القصص :٣٠.
(٨) سورة الكهف :٤٦.
(٩) سورة القصص :٢٦.
(١٠) سورة البقرة :٢٦١.
(١١) بحار الأنوار : ج٤٣ ص٨٦، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آتوب ج١٣ ص١٢١.

زوجها أنها لما وضعت مائدة الطعام قالت: كل فإنها ما نضجت إلا بالتسبيح، وما يلزم التأمل في مرادها، هل تقصد أنها حينما كانت تطبخ الطعام كانت تسبح الله؟ كما ينقل عن بعض أمهات المراجع أنها كانت تقول: إني لم أرضعه (أي ولدها الذي أصبح من المراجع) إلا باسم الله، فإن كان هٰذا هو المراد فمعنى كلامها هو أنها كانت تقول عند طبخ الطعام: سبحان الله، أم أنها تقصد أن هٰذا الطعام قد طُبخ ووجد بالتسبيح؟ وهل يمكن أن يطبخ الطعام بالتسبيح بأن يتهيأ ويجهز الطعام بقول: «**سبحان الله**». ثم يتطرق دَامَ ظِلُّهُ إلى أن أهل الجنة عندما يريدون طعاماً يقولون: «**سبحانك اللهم**» استناداً إلى قوله تعالى: ((دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين))[1] فلا يأمرون أحداً ولا يطلبون من أحد أن يأتيهم بطعام، ويقول في بيان المناسبة بين هٰذا القول (التسبيح) وهذا الطلب: إنهم حينما يقولون «**سبحانك اللهم**» يقصدون: إنك يا ربنا أنت لا تريد الطعام ولا تحتاج إليه وأنت منزه عن الحاجة إليه، فيدل ذٰلك على أنهم يطلبون من الله تعالى أن يعطيهم ذٰلك فقولهم: سبحانك اللهم، يعني اللهم أعطنا، وبعدما يعطون الطعام يثنون عليه تعالى بالحمد فيقولون في مقام الشكر «**الحمد لله رب العالمين**». إلى أن يصل إلى قوله دَامَ ظِلُّهُ: قد لا يكون مقصودها (أي رابعة الشامية) أنها كانت تسبح حين طبخ الطعام بل مرادها أن الطعام قد طبخ ونضج بالتسبيح (أي أن العامل في طبخه هو نفس التسبيح)، فيمكن أن تكون للمرأة هٰذه المنزلة وأن تبلغ هٰذه المكانة، وهذه السيدة لديها أشعار تربوية (جميلة)، يقول

(١) سورة يونس:١٠.

زوجها: كانت لها حالات مختلفة (عن الآخرين)، كما أن للمفكرين أفكاراً مختلفة لحصول مقدمات منطقية متنوعة في أذهانهم، كذلك أصحاب القلوب (الطاهرة _ العرفاء) لديهم حالات روحانية مختلفة(عن غيرهم)لكون واراداتهم القلبية متنوعة فأحياناً لديهم واردة الحب وأحياناً ثانية الخوف وثالثة الأمل والرجاء فيقول قبال كل واردة كلاماً منسجماً ومتناسباً معها، فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الخوف ومرة يغلب عليها الأنس وكانت تقول في حالة الحب (حب الله):

حبيب ليس يعدله حبيب

وما لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصري وشخصي

ولكن عن فؤادي ما يغيب

وأحياناً كانت في حالة الأنس بالله فكانت تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي

وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وكانت تقول في حال الخوف:

وزادي قليل ما أراه مبلّغي

ألزاد أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى

فأين رجائي فيك أين مخافتي

هناك كلمات لأمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء يقول فيها: «**آه، من**

قلة الزاد وطول الطريق وبُعد السفر وعظيم المورد»[1]، فهذه السيدة قد نظمت هٰذا الدعاء بصورة مناجاة في قالب الشعر تقول فيه أن الزاد قليل ولا أظنني أصل إلى المقصد والهدف بهذا الزاد القليل... إلخ[2]

٩- رابعة العدوية:

وهي الأخرى من النساء الكاملات في المعرفة والعبودية والتي كانت تقول: ((أستغفر الله من قلة صدقي في قولي: أستغفر الله))[3] ويقول الشيخ الجوادي دامظله: أنها كانت تقول: «**استغفارنا يحتاج إلى استغفار**» ويقول: إن التاريخ ينقل لنا أنها كانت كثيرة البكاء وكانت إذا سمعت كلاماً عن النار تقول بخشوع: «**استغفارنا يحتاج إلى استغفار**» وهذا نفس تلك المعرفة الرفيعة التي يتحدث عنها سيد الشهداء صلوات الله عليه في دعاء عرفة حيث يقول: «**إلهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساوية مساوي**»، فمن يرى أن محاسنه محاسن (حقيقةً) يتبين أنه قد خيّل إليه أنه قد بلغ المقامات العليا، والذي يصلي ويتصور أنه قد فعل شيئاً مهمّاً فهذا «**محاسنه مساوي**» وحسنته سيئة فكيف بسيئته، وهذه السيدة (رابعة العدوية) تقول أن استغفارنا يحتاج إلى استغفار آخر لأن هٰذا الاستغفار ليس خالصاً؛ وينقل عنها أنها لم تكن تقبل شيئاً من (هدايا) الناس وتقول: ((مالي

---

(١) الحكمة ٧٤ وفي بعض النسخ ٧٧ من نهج البلاغة.

(٢) راجع كتاب «زن در آيينه جمال وجلال» باللغة الفارسية والأشعار المنسوبة اليها موجودة في مصادر مختلفة مثل تاريخ دمشق ج٦٩ ص١١٨ وغيره.

(٣) سير أعلام النبلاء ج٨ص٢٤٣ وغيره.

حاجة بالدنيا)). يقول سفيان الثوري[1]: ((واحزناه)) فقالت: «**وا قلة حزناه**» بمعنى أن سفيان قال: إلى متى أكون محزوناً (ومتى ينقضي حزني) فقالت: يلزم أن نحزن على قلة حزننا، أنا أقول لماذا حزني قليل وأنت تقول لماذا أنا محزون.

وقد نُقل عنها أمور تربوية أخرى كقولها: «**أكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم**» وذلك أن إظهار الحسنات نقص للإنسان إذ يعد ذٰلك (تفاخراً وغروراً) وإظهاراً لكمال النفس، يقول كبار أهل المعرفة والعرفان، إن ظهور أولياء الله في مظهر العبودية أولى وألذّ لهم من ظهورهم بمظهر الربوبية، فلولا اقتضاء الضرورة لما أظهر ولي من أولياء الله معجزة لأن الإعجاز ظهور للربوبية أي صيرورة الإنسان مظهراً للرب، فقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2] بمعنى أنه لو لم يكن إذن من الله تعالى لما تمكن رسول من رسله من الإتيان بمعجزة وآية والإذن هنا هو الإذن التكويني الذي يبتدء بـ (كن فيكون) من قبل الله تعالى فلا يتمكن موجود من الموجودات سواء كان من الملائكة أو الإنس أن يفعل شيئاً مستقلاً عن الله تعالى، فجميع الكون يدبَّر بأمر الله تعالى وإذا ظهرت وتحققت معجزة من المعاجز فقد ظهرت ربوبية الحق في كسوة الإنسان الكامل مع الحفاظ على فصل الظاهر عن المظهر... (فهكذا كانت رابعة العدوية تريد أن تظهر وتوصي السالكين، كما كانت

---

(١) وروى الذهبي هذا الكلام في سير أعلام النبلاء : ج٨ ص٢٤٢ وبدايته هكذا : قال جعفر بن سليمان : دخلت مع الثوري على رابعة، فقال سفيان : واحزناه، فقالت : لاتكذب، قل :واقلة حزناه .

(٢) سورة الرعد :٣٨ .

تصلي الليل كله) وينقل عنها بعض النساء المحبات لها[1] أن رابعة كانت تصلي الليل كله وكانت آثار (وبركات) خيرها تصلنا في الرؤيا في أطباق من نور وأحياناً كانت (رابعة) تخاطب نفسها (في اليقظة) وتقول: «**يا نفس كم تنامين وإلى كم تنامين**[2] **يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلى يوم النشور**»... كما كانت تقول: «**إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل حباً لك وقصداً للقاء وجهك**» فهذا الكلام المنسوب إلى المعصومين عليهم السلام قد تأسى واقتدى بهم تلامذتهم فيه... الخ[3].

إلى غير هٰؤلاء من النساء الكاملات وهن كثيرات ينقل العلامة الجعفري في شرحه على النهج ج١١ ص٣٠٣ أن كتاب بلاغات النساء وسير السالكات المؤمنات الخيّرات ذكر أسماء ثلاثة آلاف امرأة فاضلة عالمة رشيدة، كما أنه روي أن من جملة أصحاب الإمام صاحب الأمر عجل الله فرجه خمسين امرأة وهن من جملة أصحابه الثلاثمأة والثلاثة عشر أي من أقرب المقربين لديه نعم هناك روايات تعبّر عن هٰؤلاء الـ ٣١٣ بالرجال ولكن قد يكون ذٰلك من باب التغليب كما أنه يحتمل أنهن من أصحابه غير الـ (٣١٣) كما نُقل أنه يرجع إلى الدنيا نساء ليكنّ في خدمة الإمام (عج) بعد ظهوره عليه السلام كأم أيمن والقنواء بنت رشيد الهجري وحبابة الوالبية وسمية أم عمار بن ياسر

(١) ورد في سير أعلام النبلاء: ج٨ ص٢٤٢ أن الناقلة لهذه القضية هي: عبدة بنت أبي شوال وكانت تخدم رابع العدوية. المؤلف.

(٢) في سير أعلام النبلاء: «وإلى كم تقومين».

(٣) راجع كتاب زن در آيينه جمال وجلال باللغة الفارسية، للشيخ الجوادي دام ظله.

وزبيدة (وفي نسخة: زبيرة) وأم خالد الأحمسية و..[1]

وتبين بكل ذٰلك أن الواقع الخارجي إلى جانب الأدلة الشرعية والعقلية يدل على أن المرأة كالرجل في القدرات والقابليات الكامنة في الإنسان لبلوغ درجات الكمال والقرب العبودي وكل ذٰلك يؤيد تفسيرنا لكلام أمير المؤمنين عليه السلام حول نقصان العقل والإيمان والحظ في النساء، وسيأتي بيان الحكمة من صدور هٰذه الخطبة وأمثالها منه عليه السلام.

إلى هنا تم البحث عن ثلاث فقرات من الخطبة (٨٠) التي يتحدث فيها أمير المؤمنين عن النساء وبعض مواصفاتهن ونتطرق الآن _ بعون الله تعالى ومشيئته سبحانه _ للفقرة الرابعة التي تتعلق بالاتقاء من شرار النساء فنقول:

٤- اتقاء شرار النساء والحذر من خيارهن:

بعدما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام مسألة النقص في النساء فرّع على كلامه مسألة الاتقاء من شرار النساء والحذر من خيارهن فقال سلام الله عليه: «**فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر**» وقد ورد عنه عليه السلام النهي عن مشاورة النساء أو الأمر بمشاورتهن ومخالفتهن كما ستأتي الإشارة إلى ذلك، فعلينا أن ندقق في كلامه عليه السلام ونتأمل كي نعرف مقصوده صلوات الله عليه من هٰذه الكلمات.

الظاهر أن هٰذا الأمر بالاتقاء من شرار النساء والحذر من خيارهن

---

(١) راجع دلائل الإمامة لابن جرير الطبري الشيعي ص٤٨٤ الحديث ٨٤/٤٨٠، ومدينة المعاجز ج٣ ص١٩٥ الحديث ٨٢٥ و...

والنهي عن إطاعتهن في المعروف كي لا يطمعن في المنكر، متفرع على النقص المشار إليه في كلامه السابق المبني على شدة العاطفة وغلبة العواطف والإحساس في النساء على العقلانية ولهذا أتى بـ«**فاء**» التفريع فقال بعد بيان النقص: «**فاتقوا شرار النساء**..» ولاسيما إذا اجتمع مع هٰذه العاطفة كونها من شرار النساء فمن البديهي أن يتقي الإنسان من هو كذلك وذلك لأجل أن قوة العاطفة عامل مهم في النفوذ في قلوب الآخرين واستكشاف أسرارهم الباطنية فإذا كان من الأشرار أخذ قوة عاطفته وقدرته على النفوذ في قلوب الآخرين ذريعة للمكر بهم، فالأمر بالاتقاء من شرار النساء بهذا البيان أمر عقلاني يتوافق مع العقل والتدبير.

وأما فيما يتعلق بخيار النساء فسيأتي البحث في الفصول الآتية عن معنى الخير والشر ومقصود أمير المؤمنين عليه السلام من بعض كلماته التي أطلق فيها كلمة الشر على المرأة ولكن نقول هنا عن الخيار أنه لا يمكن أن يكون مراده عليه السلام من الخيار خيار النساء حقيقة لما سيأتي أنه عليه السلام لا يمنع من استشارة النساء العاقلات والعمل بما يشرن إليه، بل مقصوده من خيارهن خيارهن بحسب الظاهر أي ظاهرات الخير والصلاح فنتصور أنهن من خيار النساء ولسن كذلك بحسب الواقع أو أنهن من خيارهن اللاتي لم يترسخ الإيمان في قلوبهن بعدُ فيقعن أو يمكن أن يقعن في حبائل الشيطان وأن يخدعهن الشيطان عن طريق عواطفهن وحبهن للزينة و.. فالحذر والإحتياط وعدم إطاعة هذين القسمين أيضًا أمر معقول وموافق للعقل والتدبير، وأما إذا كانت المرأة عاقلة كاملة رشيدة قد ترسخ الإيمان في قلبها بحيث لا يخاف عليها من إغواء الشيطان لها

والتأثـر بمصائده العاطفيـة والعواطف المخالفـة للمصلحة والحكمة، فلا نهي عن استشـارتهن لأنهـا والحال هٰذه كالرجل الـذي يغلب فيه الجانب العقلاني على العاطفي غالبًا فـإذا كان مؤمنًا أيضًا قلّ وضؤل احتمال المكر في اقوالـه وأفعاله فلا فرق بين الرجـل والمرأة إذا كانا مؤمنيـن حقيقة في صحة استشـارتهما والأخـذ باشـارتهما إلا إن قوة العاطفة في المرأة يقوّي إحتمال نفوذ الشيطان أكثر من الرجل وذلك يؤدي إلـى قـوة احتمـال خداعها ومكرهـا بغيرهـا وهذا هـو الحكمة في تخصيص ذكرها دون الرجـل، ويتحقق بذلك الداعـي إلى ذكرها والأمر بالاتقاء منها و.

ومما يؤيد ويؤكـد لنا أنه عليه السلام لم يكـن بصدد الأمـر بالاتقاء عن النسـاء الخيرات حقيقةً بل مقصوده سـلام الله عليه النساء الظاهرات الصـلاح اللاتـي لسـن كذلـك بحسـب الواقـع، أو النسـاء اللاتي لم يترسـخ الإيمـان في قلوبهـن ومـع ذٰلك هن تحـت سـيطرة العواطف فينخدعـن مـن قبـل الشـياطين فطاعتهن أيضًـا إنخـداع ولهـذا يلزم التحذير من ذلك، المؤيد والمؤكد لذلك أمران:

١ـ روى محمد بن جرير الطبري الشيعي عن أمير المؤمنين عليه السلام خطبة عـن كيفيـة توليـه الخلافـة وغـدر طلحـة والزبيـر بعـد البيعة يذكر فيها مسـألة نقـص العقـول و.. إلـى أن يقـول عليه السلام: «**وقادهما ـ أي طلحة والزبير ـ عبد الله بن عامر إلى البصرة وضمن لهما الأموال والرجال، فبينا هما يقودانها إذا هي تقودهما، فاتخذاها دريئة يقاتلان بها وإلى خطيئة أعظم مما أتيا أخرجا أمهما زوجة رسول الله صلى الله عليه آله وسلم وكشفا عنها حجابًا ستره الله جل اسمه عليها، وصانا حلائلهما، ما أنصفا الله ولا رسوله فأصابوا ثلاث خصال من حقها على من فعلها من**

الناس في كتاب الله ﷻ: البغي والنكث والمكر، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ)[1] وقال تعالى: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ)[2] وقال تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)[3]، فقد والله بغيا عليّ ونكثا بيعتي، وغدرا بي، إني مُنيت بأربعة ما مُني أحد بمثلهن: مُنيت بأطوع الناس في الناس، عائشة بنت أبي بكر، وبأشجع الناس الزبير ابن العوام وبأخصم الناس طلحة بن عبيد الله[4] وبأكثر الناس مالاً يعلى بن منية التميمي أعان عليّ بأصواع الدنانير... إلخ»[5].

فالخطبة تدل على أن عائشة قد انخدعت بطلحة والزبير كما تدل على أن أمير المؤمنين عليه السلام قد ابتلي بها وبمن ذكرهم وهي تعتبر من خيار النساء بين الناس ولهذا كانت مطاعة فأراد عليه السلام أن يحذر من إطاعة نساء كعائشة التي تعتبر صالحة ومن خيار النساء ولكنها قد انخدعت بغدر هٰؤلاء القوم فإطاعتها انخداع كانخداعها.. فنهيه عليه السلام عن طاعة خيار النساء وأمره بالحذر منهن يرجع إلى النساء اللاتي يعتبرن من الخيارى ولكنهن ضيعفات التدبير العقلاني أو الإيمان.

٢ـ روي عنه عليه السلام أنه قال: **«إياك ومشاورة النساء إلا من جُرِّبت بكمال العقل فإن رأيهن يجرّ إلى الأفن وعزمهن إلى وهن»**[6] فالرواية

---

(١) سورة يونس: ٢٣.

(٢) سورة الفتح: ١٠.

(٣) سورة فاطر: ٤٣.

(٤) قد ورد بهذا المضمون روايات مختلفة راجع الأنساب للسمعاني ج١ ص١٣٩ طبعة بيروت، والعقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي ع٤ ص٣٢٦ طبعة بيروت.

(٥) المسترشد: لابن جرير الطبري الشيعي ص ٤١٨ ـــ ٤٢٠، وراجع أسد الغابة: لابن أثير ج ٣ ص ٦٠.

(٦) كنز الفوائد: للكراجكي ص١٧٧، وبحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٥٣ الحديث٥٦.

واضحة الدلالة على أن المرأة إذا كانت مجرّبة بكمال العقل صح مشاورتها والأخذ بها لأنها لا تقع فريسة للعواطف الكاذبة ووساوس الشياطين الإنسية والجنية كي يكون طاعتها في المعروف موجبًا لطمعها في المنكر فيلزم الحذر منها ليحذرنا أمير المؤمنين عليه السلام منها.. وهذا ما يتبين من السبب الذي يذكره عليه السلام لعدم مشاورتهن أيضًا حيث يقول عليه السلام: فإن رأيهن _ أي النساء اللاتي لم يجربن بكمال العقل _ إلى الأفن _ أي إلى الضعف _ وعزمهن إلى وهن، فهذا يؤيد أن النهي عن الاستشارة إنما هو لضعف الرأي والعزم الذي له أسباب مختلفة ومن جملتها قوة العاطفة وفي ظلها ضعف تعقلها، ومن المعلوم أن أخذ الرأي واستشارة من لا يتغلب عليه العاطفة ويكون مجربًا بكمال العقل يعد من حسن تدبير المرء وعقلانيته بلا فرق بين كون ذٰلك المجرب بكمال العقل رجلاً أو امرأة... مضافًا إلى أن ذكر المرأة _ مع أنه لا فرق بينها وبين الرجل إذا كانا ضعيفي العقل فيلزم عدم استشارتهما _ كان في ظروف خاصة يأتي التطرق إليها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

ويمكن أن يقال أيضًا أن النهي عن استشارة النساء وإطاعتهن إنما هو في الأمور التي تحتاج إلى غلبة العقلانية والتدبير العقلاني كإدراة الحكم والحرب التي لا تتناسب وظرافة المرأة وعاطفتها كما هو واضح والمؤيد لذلك قوله عليه السلام في ذم خصال الناس في آخر الزمان: «**يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ولا يظرف إلا الفاجر ولا يضعَّف فيه إلا المنصف، يعدون الصدقة فيه غُرمًا وصلة الرحم منًّا والعبادة استطالةً، فعند ذٰلك يكون السلطان بمشورة النساء**

وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان»[1]

هذا فيما يتعلق بإدارة شؤون المجتمع والحكومة، وأما في شؤون الحرب فعن الرسول ﷺ أنه كان إذا أراد الحرب دعا نساءه فاستشارهن ثم خالفهن[2] وهناك روايات أخرى تدل على بعض الموارد التي يلزم الاجتناب عن طاعة النساء فيها كما ورد عن النبي ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «**من أطاع امرأته أكبه الله عزّ وجلّ على وجهه في النار فقال** عليه السلام: **وما تلك الطاعة؟ قال: يأذن لها في الذهاب إلى الحمامات والعرسات والنائحات ولبس الثياب الرقاق»**[3] فتبين بذلك موارد النهي عن الطاعة.

تتميم:

قبل الدخول في المبحث التالي يحسن بنا أن ننقل للقارئ الكريم ترجمة ما قاله العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري في تفسير هٰذه الفقرة من هٰذه الخطبة تتميما للفائدة، قال قدس سره: « تشتمل هٰذه الجمل من الخطبة على ثلاث مسائل، الأولى: الخوف من شرار النساء وخبيثاتهن، ومن المعلوم أنه لا فرق في هٰذه المسألة بين الرجل والمرأة فإن شرار الرجال وخبثائهم النائين عن الطهارة الباطنية البعيدين عن الإنسانية، لا يتقون ولا يتورعون عن التعدي إلى حقوق الناس، ولهذا يلزم أن لا يثق الإنسان والمجتمع بهؤلاء بل يلزم أن ينظروا إليهم كنظرهم إلى العقرب والأفعى، وإن كان للمرأة في

(١) نهج البلاغة :: الحكمة رقم ١٠٢.

(٢) الكافي : ج٥ ص٥١٨ الحديث١١.

(٣) من لا يحضره الفقيه : ج٤ ص٣٦٢، وكذا ج١ ص١١٥ الحديث ٢٤١، والكافي ج٥ ص٥١٧ الحديث٣،

هٰذا المجال امتياز فهو معرفتها بأسرار الرجل الباطنية ونقاط ضعفه بحيث لو أرادت إلحاق الأذى به كان أذاها أمرّ وأشدّ إيلاماً من إيذاء الآخرين له. والمسألة الثانية هي ضرورة الحذر وأخذ الحيطة من خيار النساء، ومن البديهي أن المقصود من خيارهن هو من لا شر ولا خبث فيها، والمتداول بين الناس أنه يكفي في كون المرأة من خيار النساء أن لا تلحق ضرراً وشراً بزوجها وأولادها. إذا لم تكن المرأة بصدد الإضرار بزوجها وسائر أفراد أسرتها كشف ذٰلك عن قيامها بوظائفها القانونية فيمكن توصيفها بالحُسن والخير، وذلك أن المرأة إذا حدث لها احساس كاذب بالعجز المطلق أمام الرجل قامت بعملية المواجهة مع الرجل غالباً لتتدارك ذٰلك العجز الموهوم وإن لم تكن مقصرة في العمل بتكاليفها، مضافاً إلى أنه من الممكن أن تتوسل بقول أو عمل غير منطقي لجبر ذٰلك الإحساس الموهوم، فعلى الرجل الحَذِر والنبية والعادل أن يسعى لإزالة ذٰلك الاحساس عن المرأة، وإن لم يتمكن من ذٰلك فعليه العمل على تشخيص السبب لذلك القول أو العمل الصادر منها ليعرف أن سببه هل هو ذٰلك الإحساس أم أن له علةً أخرى.

وأما إذا كانت المرأة قد عملت بوظائفها المقررةلها وسعت في سبيل تحصيل الرشد وكمال شخصيتها فبلغت بذلك عليا المراتب والمقامات الإنسانية فليس المورد مما لا يلزم الاحتياط والحذر فيه فحسب بل تتمكن من إرشاد زوجها وإسعاده إذا لم يكن هو من الكُمّل بل كان من عامة الناس، وهذا ما نشاهده في كثير من الأسر في (مختلف) المجتمعات. ألم تكن زوجة أمير المؤمنين وابنته نفسه عليها السلام ومريم أم عيسى المسيح ورابعة العدوية ورابعة بنت

إسماعيل زوجة أحمد بن أبي الحواري وآلاف النساء الفاضلات اللاتي بلغن المقامات الإنسانية العالية، ألم تكن أولٰئك النساء صانعات رجال المجتمعات؟

وعلى أساس ما يستفاد من الكتب المؤلفة بخصوص النساء وغيرها من الكتب التاريخية لم يكن عدد النساء البالغات مراتب الفضل في العلم والأخلاق والمبادئ الإنسانية العالية _ مع أخذ جميع القيود الطبيعية والمفروضة عليهن بعين الإعتبار _ أقل من الرجال، وهذا من جملة أدلة إعجاز القرآن أن أشرك بين الرجال والنساء في الأوصاف الانسانية العالية... (ثم ينقل الرواية السابقة عن أمير المؤمنين عليه السلام حول استثناء من جُرّبت بكمال العقل من النساء عن النهي والتحذير من استشارتهن ويستنتج أن المرأة المعرضة عن عرض الدنيا وزينتها والمتوجهة نحو التعقل جديرة بالاستشارة كالرجال، وهذه الرواية تؤيد نظريتنا التي نقول فيها: أن نظام الاسرة في الإسلام يبتني على الشورى داخل الأسرة ومسؤولية الرجل خارجها)[1].

حكمة الخطبة:

المتحصل من جميع ما تقدم أن نقصان العقل والحظّ والإيمان في النساء ليس بمعنى وجود نقص في إنسانية المرأة ولا بمعنى تخلفها عن الرجل في القيم المعنوية والكرامة عند الله تعالى لمجرد كونها امرأة بل المراد أن قوة العاطفة فيها غالبة على القوة التعقلية فيها فجعلت شهادتها في المحاكم معادلة لنصف شهادة

(١) راجع شرح نهج البلاغة: للعلامة الجعفري (باللغة الفارسية) ج١١ص٣٠٢.

الرجـل لأن المحاكم محل لإثـارة العواطف والإحساسـات عادة.. كما جعل حظها نصف حظ الرجـل في الإرث في الأغلب لنفس السـبب وقد عُوّضـت بالمهر ووجـوب النفقة لهـا على الرجل وعـدم وجوب النفقـة عليها لغيرهـا مضافاً إلى ما أفـاده العلامـة الطبطبائي قدس سره من أن المصـرف للمـرأة ضعف الرجـل قبال كـون ملكيـة الرجل ضعف المرأة و.. ونقصـان الإيمان أيضـاً كان بمعنى نقصان العمـل الإيماني في أيـام الحيـض ولكنهـا تتمكن مـن اسـتعاضة ذٰلـك بالجلوس في مصلاها بعـد التطهر للذكر و..وهـذا لا يعني أن الرجـل بما أنه رجل أكمل وأقوى إيماناً _ بمعنى رسـوخ العقيدة فـي القلب _ من المرأة من حيث هـي امرأة بـل قد ذكرنـا أن هنـاك نسـاءً قد بلغـن درجات عالية من الكمـال لم يبلغهـا إلا الأوحدي مـن الرجـال، وكذلك فيما يتعلق بالاستشـارة فقد نهى عليه السلام وحذّر منها فيمـا إذا لم تكن مجربة بكمال العقل وكان الموقف مما يحتاج إلى حزم وعقلانية كالحروب وشؤون الحكومة و.

إذن: مـن جانب نرى أن الخطبة ليسـت بصدد ذم المـرأة بما هي إمـرأة وأن هٰـذه النقائص المذكـورة فيها ترجـع إلى معانـي صحيحة لا توجـب منقصة حقيقيـة فـي المرأة مـن حيـث الإنسـانية والكرامة عند الله تعالـى، ومن جانـب آخر نعلـم أن المؤمن الحكيـم لا يعمل ولا يقـول مـا لا هـدف وراءه ولا حكمة فيـه فكيـف بأميـر المؤمنين ومولـى الموحديـن وسـيد الحكمـاء أجمعيـن بعـد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يمكن تصور صدور شـيء منـه عليه السلام بلا حكمـة ولا هدف فكيف بما هو خلاف الحكمة.

فالسـؤال الذي يطـرح نفسـه هنا هـو أنـه: إذا كان المقصـود من

النواقص هو ما ذكرتم فما الحكمة من صدور هٰذه الخطبة وما الذي كان عليه السلام يستهدفه من ورائها؟ أليست المرأة حسب تفسيركم كالرجل في الإنسانية والعقل والإيمان والقيم المعنوية والكرامة عند الله سبحانه وتعالى؟ وأليس باب الوصول الى جميع الكمالات الممكنة للإنسان والى القرب العبودي إلى الله تعالى مفتوحا أمام كلا قبيلي الانسان؟ فما معنى ذكر النساء بهذه المواصفات؟ ولماذا خص عليه السلام النساء بذلك مع أن سبيل الانحطاط ـ كالكمال والقرب ـ مفتوح أمام الرجال أيضا وليس ذٰلك مختصا بالنساء؟

الجواب: من الضروري ملاحظة ومعرفة ظروف صدورالخطبة ليتبين لنا السبب والحكمة من صدورها ونعرف العلة في اختصاص النساء بهذه الامور ـ أو بتعبير أفضل: العلة من تخصيصه عليه السلام النساء بذلك ـ فنقول:

من المعلوم بل المذكور في النهج الشريف وسائر المصادر التي تروي هٰذه الخطبة، أن هٰذه الخطبة قد صدرت منه عليه السلام بعد حرب الجمل التي نشبت ضد الإمام المعصوم المنصوب من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله تعالى[1] والمقبول من قبل الناس الذين بايعوه طواعية ـ حتى الذين حاربوه[2] ـ وهم الذين أصروا وألحوا عليه

---

(١) وقد ثبت كونه عليه السلام منصوبا من قبل الله تعالى بواسطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأدلة كثيرة من قبيل أية التبليغ وتكميل الدين الواردتين في سورة المائدة ـ ٦٧ و٣ ــــ وآية الإطاعة الدالة على العصمة و.. وأحاديث كثيرة كحديث المنزلة وخطبة الغديرو..

(٢) وقد ثبت في التاريخ أن الناس ازدحموا عليه وهو عليه السلام احتج عليهم بعد ذٰلك ببيعتهم وإلحاحهم وإصرارهم على قبول الخلافة فقال: « .. ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم فأمسكت يدي فنازعتموني ورافعتموني..وازدحمتم عليّ.. فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير..ـ المسترشد ص ٣١٨ـ»

بقبول الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وقد كان قائد جيش المحاربين له عليها السلام عائشة بتحريض طلحة والزبير كما سبق ذٰلك من أمير المؤمنين عليه السلام نفسه حيث قال ـ بعد العبارة التي نقلناها عنه عليه السلام في التعليقة الآنفة ـ :

(وكان طلحة يرجو اليمن والزبير يرجو العراق، فلما علم أني غير موليهما استأذنا في العمرة، يريدان الغدرة فأتيا عائشة فاستخفاها مع شئ كان في نفسها عليّ..)[1]

فيريد أمير المؤمنين عليه السلام أن يقول ـ والله العالم ـ: أن خصوصيات المرأة هي ما ذكرنا من غلبة العاطفة على القوة التعقلية وابتلائها بأيام الحيض التي تعد أذى لها فتوضع عنها لأجل ذٰلك ولِحِكم أخرى حتى العبادات الفردية كالصلاة والصوم، ومن قلة ملكيتها للأموال والمواريث عادة، وهذه الخصوصيات لا تتناسب والحرب وخوض المعارك وقياة الحروب والغزوات وقد تطابق في شأنها التكوين والتشريع فطبيعتها عاطفية ميالة إلى الجمال والزينة والأعمال الخفيفة واللطيفة والمرتبطة بجمال الحياة و.. فجاء تكليفها من قبل المشرّع المقدس سبحانه وتعالى موافقا لتكوينها وطبيعتها فوُضع عنها الجهاد وعوّضت بجهاد آخر هو حسن التبعل، كما وُضع عنها الكسب والتجارة والعمل خارج البيت فلا يجب عليها الانفاق أيضاً بل هي من يُنفـَق عليها، فالجهاد والعمل والتجارة خارج البيت من الأمور التي تتطلب غلبة البعد التعقلي على العاطفي وأن تكون اليد مبسوطة من حيث الإمكانيات المالية وتملك الثروات و..

(١) المصدر، وراجع الغارات: ج١ ص٣١٠ وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٥٧٠، وشرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي ج٦ ص٩٧ و....

والمرأة ليست هكذا بانسجامٍ بين التشريع والتكوين فمن القبيح أن تأتي المرأة وتعمل بما يخالف تكوينها وطبيعتها ولا يوافق تكليفها وتشريعها وتتصدر جيشاً وتقوده إلى الحرب التي لا تناسبها ولا تتناسب مع طبيعتها.

والذي زاد في الطين بلةً هو أنها من نساء النبي ﷺ المأمورات بالإستقرار في البيوت: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...)[1] فالواجب على النساء ولا سيّما إذا كنّ من نساء النبي ﷺ أمر غير الجهاد ضد أعداء الله وأعداء الدين فهل يليق بها بعد ذٰلك أن تحارب ولي أمر المسلمين الشرعي الذي سمعت عائشة نفسها فضائله وكمالاته من لسان النبي ﷺ مشافهة وبلا وسيط وهي التي نقلت بعض فضائله عليها السلام عنه ﷺ، ذٰلك الولي المنصوب من قبل الله تعالى والمقبول من قبل الناس ـ وإن بعد حين ـ فاجتمعت فيه المشروعية والمقبولية العامة... فقد خالفت عائشة بحربها ضد الإمام عليه السلام طبيعتها التكوينية وتكاليفها الشرعية من الإستقرار في البيوت وغيره ولم تحترم شأن بيت النبوة الموجب لمضاعفة العذاب لو لا التوبة والإستغفار حيث قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾[2] والسبب في مضاعفة العذاب والثواب هو ـ والله العالم ـ حرمة بيت النبوة فرعايتها يوجب مضاعفة الثواب وهتكها مقتضٍ لمضاعفة العقاب والعذاب، فثوابٌ أو عقابٌ لأصل العمل وثوابٌ أو

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٠ـ٣١.

عقابٌ لرعاية حرمة بيت النبوة أو هتكها.

وبهذا يتبين أن الخطبة عامة لجميع النساء وأن هٰذه الخصوصيات الموجودة في النساء تستوجب أن لا يدخلن في الحروب ولا يخضن المعارك، وليست مختصة بعائشة فإنها مورد الخطبة والمورد لا يخصص الوارد، ولهذا قلنا في أوائل هٰذا البحث أنه لا يمكن المساعدة على قول من يقول أن الخطبة مختصة بعائشة فإن الخصوصيات المذكورة في الخطبة والمستندات التي يستند إليها أمير المؤمنين عليه السلام لإثبات تلك الخصوصيات عامة وليست مختصة بإمرأة دون أخرى وإذا كانت المرأة متصفة بهذه الأوصاف التكوينية والتشريعية لزمها أن لا تخالف طبيعتها وتكاليفها المبتنية عليها فإذا خالفتها كانت مذمومة وبعبارة أخرى: إن أمير المؤمنين عليه السلام في مقام ذم المرأة التي تخالف باختيارها خصائصها التكوينية ووظائفها التشريعية.

هذا كله من جانب، ومن جانب آخر يريد عليه السلام ذم الرجال الذين جعلوا قائدهم إمرأة من بيت النبوة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فارتكبوا بذلك عدة مخالفات:

١. خالفوا طبيعتهم الرجولية المكونة لقيادة الحروب وأمثالها فدخلوا تحت إمرة إمرأة لم تخلق لذلك.

٢. خالفوا طبيعة المرأة وتكاليفها فأوردوها فيما لا يتناسب وطبيعتها ويخالف تكوينها.

٣. لم يحترموا بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخرجوا أماً من أمهات المؤمنين من بيتها وأدخلوها حرباً وخدعوها بجعلها قائد الجيش ليصلوا إلى أهدافهم السياسية غير النزيهة _ حيث أن أمير المؤمنين عليه السلام

قد أشار كما سبق إلى أن سبب خروج طلحة والزبير هو طمعهما في ولاية اليمن والعراق ولكنه عليه السلام لم يولّهما فخرجا باسم العمرة يريدان الغدرة- واضطروها إلى محاربة إمام المسلمين وخليفة زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشرعي.

٤. أساؤوا الإستفادة من بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لضرب وإسقاط الإمام المعصوم عليه السلام.

٥. حرّكوا وأثاروا مشاعر الناس ضّد الإمام عليه السلام بإخراج أم المؤمنين فأدى ذٰلك إلى نشوب معركة طاحنة بين الإمام وعدد كثير من المسلمين وهذه جريمة كبيرة حيث أدت إلى الخروج على الإمام الذي لا يختلف اثنان على حرمته، وإلى قتل عدد كبير من المسلمين.

نعم إن هٰؤلاء الرجال قد جمعوا عدة قبائح وذمائم وارتكبوا عدة كبائر ولهذا نجد أن الإمام عليه السلام لم يكتفِ بذم المرأة الخارجة عن طبيعتها وتكليفها بل قد ذم في موضع آخر الرجال الذين انتخبوا امرأة أميرةً عليهم - فإن قبح الخروج عن الطبيعة والفطرة التكوينية ومخالفة التكاليف التشريعية لا يختص بالنساء فإذا ذم عليه السلام النساء بذلك الخروج وتلك المخالفة فقد ذم الرجال أيضاً بذلك- فقال عليه السلام في كلام له يذم أهل البصرة: «**كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة رغا فأجبتم وعُقر فهربتم..**»[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما فرغ علي عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قتباً على قتب ثم صعد عليه فخطب فحمد الله وأثنى عليه فقال: «**يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة يا أهل الداء العُضال أتباع البهيمة**

(١) نهج البلاغة ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة ـــ رقم ١٣ـ

يا جند المرأة رغا فأجبتم وعُقر فهربتم»[1]

فتبين بذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام كان بصدد ذم الخارجين على إمامهم الشرعي المنحرفين عن تكاليفهم وفطرهم فذم النساء الخارجات في بعض خطبه والرجال الخارجين في مواضع أخرى من كلماته، هٰذه هي حكمة الخطبة ولها شواهد من كلامه نفسه عليه السلام نشير هنا إلى بعضها تحت عنوان:

شواهد علوية:

مما يؤكد ما ذكرناه من الحكمة في صدور هٰذه الخطبة وهذه الكلمات منه عليه السلام، هو أنه صلوات الله عليه قد نبّه طلحة والزبير وعائشة عدة مرات بأن واجبهم هو طاعة إمامهم وأنه لا ينبغي لهم إخراج أم المؤمنين إلى القتال وساحات الحرب لأن المرأة لم تخلق للحرب والقتال ومن جملة ذٰلك كتابه عليه السلام إلى طلحة والزبير وعائشة أرسله مع عمران بن الحصين الخزاعي حيث قال فيه: «... **وقد بايعتماني وأنتما بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما، وإخراجكما أمكما من بيتها الذي أمر الله تعالى أن تقرَّ فيه، والله حسبكما فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظمَ أمرِكما العارُ، من قبل أن يجتمع العار والنار. وأنتِ يا عائشة، فإنكِ خرجتِ من بيتكِ عاصية ً لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم تطلبين أمراً كان عنكِ موضوعا، ثم تزعمين أنكِ تريدين الإصلاح بين المسلمين، فخبريني ما للنساء وقَوْدِ الجيوش**[2] **والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة؟ وطلبتِ على زعمك دم عثمان، وما أنتِ**

---

(١) الإحتجاج للطبرسي رحمه الله ج١ ص ٢٥٠.

(٢) وفي نسخة: وقود العساكر.

وذاك، عثمان رجل من بني أمية وأنتِ امرأة من بني تميم بن مُرّة؟ ثم أنتِ بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ: اقتلوا نعثلاً، قتله الله، فقد كفر، ثم تطلبين اليوم بدمه. ولعمري إن الذي عرّضكِ للبلاء وحملكِ على المعصية لأعظمُ إليكِ ذنباً من قتلة عثمان، وما غضبتِ حتى أُغضبتِ، ولا هِجْتِ حتى هُيِّجتِ، فاتقي الله يا عائشة، وارجعي إلى بيتكِ واسبلي عليكِ سترك. والسلام»[1]

فقد بيّن عليه السلام في رسالته هٰذه أسباب وجوب طاعته وعدم جواز الخروج عليه سلام الله عليه ولا سيما بالنسبة لعائشة فقال أن وجوب القرار والإستقرار في البيوت على نساء النبي ﷺ وأنه لا صلة لكِ بعثمان حتى تطالبي بدمه مضافاً إلى أنكِ كنتِ بالأمس تطلبين قتله، وأن النساء لم يُخلقن لقيادة الجيوش والعساكر «**ما للنساء وقود الجيوش ـ العساكر** ـ»، كل ذٰلك يدل على أنه لا يجوز لكِ يا أم المؤمنين عائشة أن تخرجي على إمام زمانكِ، فعدم اتصاف المرأة بخصال ومواصفات قيادة الجيش هو ما بيّنه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة النواقص وبيّن أن المرأة بهذه المواصفات لم تُخلق للحرب وقيادتها نعم قد يكون وجود وحضور المرأة في جبهات القتال أمراً ضروريا ولكن لا لقيادة الجيش بل لأجل التمريض أو التشجيع والتحريض على قتال العدو كما خرجت النساء مع النبي ﷺ في بعض غزواته لأجل ذٰلك وكما ينقل لنا التاريخ أن زرقاء بنت عدوى كانت قد خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين وكانت

---

(١) تمام نهج البلاغة ص٧٨٣ وتصنيف نهج البلاغة ص٦٤٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٣٨ والمناقب للخوارزمي ص١٨٣ و.. وجاء في نهج البلاغة الكتاب ٥٤ كتابه عليه السلام إلى طلحة والزبير فقط.

تشّوق الناس وتحرضهم على نصرة أمير المؤمنين سلام الله عليه وكذا في حرب الجمل حيث روي أن عشرين امرأة من نساء الصحابة كنّ مع علي عليه السلام في حرب الجمل وقد يكون من جملة أسباب خروجهن معه مساعدته عليه السلام في مواجهة عائشة ولإرجاعها إلى المدينة بعد الإنتصار كما تحقق ذٰلك بالفعل.

المرأة شرٌ كلها

من جملة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام التي قد يستظهر منها التنقيص من شأن المرأة ومنزلتها وكرامتها بل وإنسانيتها هي الحكمة رقم [1]٢٣٨ من نهج البلاغة وهي قوله عليه السلام: «**المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لابد منها**».

وقد وقعت هٰذه الحكمة محط البحث والنقاش لدى البعض فمنهم من أنكر صدور هٰذه الجملة منه عليه السلام لمنافاتها لما نعلمه من الدين كتاباً وسنةً بل ولكلمات أمير المؤمنين، ومنهم من أخذ بظاهرها وأيّد المضمون الظاهري لها، ومنهم من يبدو من كلامه أنه عميق تحقيقي لأنه مشتمل على البحث وذكر الشواهد التي تدل ـ بزعمه ـ على أن المرأة وكما يظهر من هٰذه الحكمة بالظهور البدوي حقيقةً شرٌ كلها ولا خير فيها، ولهذا يجب علينا أن نتأمل وندقق في كلامه عليه السلام لنعرف مغزاه وأنه هل يمكن نسبته إليه صلوات الله عليه أم لا ؟

ولأجل أن يتبين لنا معنى هٰذه الحكمة يلزمنا أولاً معرفة إطلاقات الخير والشر ثم تطبيق هٰذه الحكمة عليها لنعرف المعنى

(١) أو الرقم ٢٣٧ أو ٢٢٨ على اختلاف نسخ النهج وشروحه.

الذي يمكن أن يكون مقصوداً له عليه السلام بناءً على صدور الحكمة منه صلوات الله عليه.

للشر قبال الخير عدة إطلاقات نشير إليها إجمالاً:

١. الوجود والعدم: يطلق الخير والشر في العلوم العقلية على أصل الوجود والعدم فالوجود وبتبعه الموجود خير والعدم وبتبعه المعدوم شر وكلما كان الموجود أكمل وفي مرتبةٍ وجوديةٍ أعلى كان أكثر خيراً وكلما كان أدنى وجوداً ومرتبةً كان أقل خيراً وأقرب إلى الشر فالله تعالى لأنه الوجود البحت خير محض كما أن المعدوم المطلق الذي لا حظّ له من الوجود ولا يمكن تحققه شر محض.

٢. الفضيلة والرذيلة: وقد يطلق الخير والشر ويراد بهما الفضائل والرذائل وبتعبير آخر القيم المعنوية والأخلاقية ومضاداتها، فكل ما يعدّ فضيلة أخلاقية أو عملية موجبة للقرب إلى الله تعالى ـ وهو الكمال الحقيقي للعبد ـ فهو خير، وكل ما يعد رذيلة أخلاقية أو معصية موجبة للبعد عن الله سبحانه _وهو الإنحطاط والشقاء الحقيقي_ فهو شر، وقد استعملا بهذا المعنى في آيات متعدد كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ...﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[2] وقوله عز من قائل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران/ ١٠٤

(٢) سورة الحج/ ٧٧

(٣) سورة آل عمران/ ١٨٠

٣. الملائم والمنافر للطبع: وقد يطلق الخير والشر فيراد بالأول ما يوافق ويلائم طبيعة الإنسان وبالثاني ما ينافرها ولا ينسجم معها ولهذا المعنى مصاديق كثيرة ينطبق عليها مثل: أ. الراحة والمشقة. ب. اللذة والألم. ج. الإبصار والعمى. د. السمع والصمم. وغيرها من الحواس الظاهرية والباطنية والنعم المادية والمعنوية كالغنى والفقر والصحة والمرض و... ـ ويمكن ارجاع بعض مصاديق هٰذا المعنى إلى المعنى الأول بل يمكن عدّ هٰذا المعنى من الأساس من موارد المعنى الأول حيث أن الملائم بمعنى وجود ما ينسجم مع طبيعة الإنسان والمنافر بمعنى فقده فالبصر والإبصار بمعنى وجود العين والقوة الباصرة والعمى فقدهما معاً أو فقد القوة الباصرة فقط مع وجود العين وكذا في البواقي، ولكن فصلنا هٰذا المورد عن القسم الأول لأجل التوضيح وامكان تطبيق كلامه عليه السلام على كل مورد بشكل اوضح وأدق ـ، وقد استعمل الخير والشر بهذا المعنى في كثير من الآيات القرآنية كقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1] وقوله عزّ وجلّ: ﴿..وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[4] وقوله جلّ وعلا: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾[5] وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ

(١) سورة الأنبياء/ ٣٥
(٢) سورة الأعراف/ ١٨٨
(٣) سورة الأحزاب/ ١٩
(٤) سورة المعارج/ ١٩ـ٢١
(٥) سورة العاديات/ ٨

وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[1] وغيرها من الآيات القرآنية، فكل نعمة ولذة ومحبوب لدى الإنسان خيرٌ وكل نقمة وألم ومكروه له شرٌ سواء كان في الدنيا كالغنى والفقر والصحة والمرض و.. أو في الآخرة كالجنة ونعيمها والنار وعذابها كما في قوله جل جلاله: ﴿..يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾﴾[2]، وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسين عليه السلام: «**أأي بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية**»[3]

والآن وبعدما عرفنا الاطلاقات الأساسية لكلمتي الخير والشر علينا أن نتأمل وننظر في كلامه عليه السلام لمعرفة مراده سلام الله عليه من الشر الذي أطلقه على المرأة وعدّها كلها شراً، فنقول مستعينين بالله العليم:

أما الشر بالمعنى الأول _ أي أصل العدم قبال الخير بمعنى أصل الوجود _ فلا يمكن أن يكون مقصوداً له عليه السلام وذلك أن المرأة موجودة ولها حظ من الوجود فلا يمكن أن تكون معدومة من الأصل والأساس حتى يطلق عليها الشر بمعنى العدم، نعم يمكن ان يكون موجود ما في مرتبة وجودية نازلة بأن يكون فاقداً لبعض الكمالات الوجودية فلا يكون وجوداً بحتاً بل هو مركب بأخس أنواع التركّب _ على حد تعبير الفلاسفة _ وهو التركّب من الوجود والعدم بمعنى أنه واجد لمرتبة من مراتب الوجود وفاقد لمرتبة أعلى _ وكل الموجودات الإمكانية هكذا والوجود المطلق البسيط والبحت هو الله

---

(١) سورة البقرة/ ١٨٠

(٢) سورة الإنسان/ ٧

(٣) تحف العقول ص٨٨ وراجع كنز العمال ج١٦ص١٥١ الحديث ٤٤١٨٤

تعالى وحده لا شريك له فهو الخير البحت والمطلق دون سواه ـ، نعم هٰذا التركّب ممكن فكل موجود إمكاني فيه نوع ومرتبة من الشر بمعنى العدم وفقدان المرتبة الأعلى من مرتبتة الوجودية، وأما أن يكون موجوداً _ مع أنه موجود _ شراً كله أي عدماً بحتاً ومطلقاً فغير ممكن كما هو واضح.

وأما المعنى الثاني، فكذلك لا يمكن أن يكون مقصوداً له عليه السلام وذلك أن القيم المعنوية والفضائل الأخلاقية غير متوقفة على جنس الانسان ولا مدخلية للرجولة والأنوثة في تحققها وعدمه فقد سبق أن المرأة لا تقصر عن الرجل في هٰذه القيم والفضائل لمجرد كونها أمرأة فإن الفضائل والقيم ليست جسمانية حتى يكون الجسم ونوعيته موثراً في حصولها وتحققها وعدمه كما أن الانسانية لا تعني الرجولة فالآيات القرآنية التي استشهدنا بها سابقاً تدل بوضوح على انسانية الرجل والمرأة كليهما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾[1] وعلى أن الفضل والكرامة بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لا بالرجولة أو الأنوثة ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[2] ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ.. أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[3] ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾[4] و.. فكل ذٰلك يدل ـ وكما سبق _ على أن باب الكمال مفتوح أمام الرجال والنساء على حدّ سواء ولهذا قد بلغ بعض النساء إلى عليا درجات

(١) سورة الحجرات: ١٣.
(٢) سورة الحجرات: ١٣.
(٣) سورة الأحزاب/ ٣٥.
(٤) سورة آل عمران/ ١٩٥.

الكمال علماً وعملاً وعبودية لله تعالى بحيث أصبحن نموذجاً ومثلاً أعلى للإيمان والعمل الصالح يجب على الجميع رجالاً ونساءاً الإقتداء بهن.

فتحصل أنه لا يمكن ان يكون مقصود أميرالمؤمنين عليه السلام من قوله صلوات الله عليه: «**المرأة شر كلها**» أن وجود المرأةرذيلة وهي بعيدة عن الله تعالى، فكيف وقد أصبحت مثلاً يضرب للمؤمنين والمؤمنات.

فيبقى المعنى الأخير فعلينا أن ننظر هل ينطبق عليه كلامه عليه السلام أم لا؟ فإذا أمكن تطبيقه عليه أمكن صدوره منه عليه السلام وإلا لم يبق مجال لتصديق صدوره منه سلام الله عليه أو يلزم ردّ علمه إلى قائله، ولكن الظاهر إمكان تطبيق هٰذه الحكمة على هٰذا المعنى فلا مشكلة في انتسابها إليه عليه السلام وبيان ذلك: قلنا أن الشر في هٰذا الإطلاق يعني ما ينافي وينافر طبيعة الإنسان من المشقة والزحمة والفقر والمرض و.. ومن المعلوم أن المرأة تعتبر حملاً وعبئاً على الرجل وسبباً لتحمله التكاليف المالية والمشاق الجسمانية وأحياناً الروحية والنفسية، فنقول مقصود أمير المؤمنين عليه السلام ـ والله العالم ـ هو هٰذا المعنى والنقاط التالية يبّين لنا ذٰلك بوضوح:

مؤيدات:

١. وجوب الانفاق عليها: يجب على الرجل ان ينفق على المرأة دون العكس، فما يحصل عليه من الأموال عن طريق الإرث والعمل والتجارة يلزمه إما أن يجعله مهراً لها أو أن ينفقه عليها في مأكلها أو ملبسها ومسكنها وزينتها والتوسعة عليها وجوباً أو استحباباً ومن

الوضوح بمكان أن الإنسان يحب المال ولا سيما إذا كان نتاج عمله وتجاراته ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾[1] ولو لا الدوافع المعنوية والمادية الدنيوية والأخروية كان ذٰلك بالنسبة للرجل شراً من جميع الجوانب.

٢. وجوب حراستها والقيام بشؤونها: يجب على الرجل أن يتكفل حراسة المرأة ويقوم بشؤونها فإن القوامية المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[2] ـ وكما سبق بيانها ـ مسؤولية ملقاة على عاتق الرجل وليست سيادة له عليها وسيطرةً على شؤونها سلباً لإرادتها واختيارها، فهو القائم بأعمال الأسرة لا الحاكم المطلق عليها المسيطر الفاعل لما يشاء كيفما يشاء، فهذا أيضاً عبئ على الرجل وشر بهذا المعنى.

٣. استحمال العواطف والإحساسات: على الرجل أن يستحمل عواطف المرأة واحساساتها ومشاعرها العاطفية الغالبة على عقلانيتها فيؤدي ذٰلك أحيانا إلى إيذاء الرجل كما يلزم عليه أن يستحملها ويراعي ضعفها الجسماني وظروفها الروحية والنفسية حتى في الحروب ولهذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يوصي عسكره قبل لقاء العدو بصفين بوصايا مختلفة من جملتها وصايا تتعلق بالنساء فقال عليه السلام: **«ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول[3]، إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر**

---

(١) سورة العاديات/٨

(٢) سورة النساء/٣٤

(٣) وقد سبق معنى ضعف ونقص العقل في الأبحاث السابقة فراجع

والهراوة فيعير بها وعقبه من بعده»[1]، وقال عليه السلام عنها أيضاً أنها ريحانة وليست بقهرمانة، وقد فسّر القهرمان بمن يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره، ولكن يمكن أن يكون مأخوذاً من اللغة الفارسية حيث أن هذة الكلمة تعني في هٰذه اللغة: البَطَل، فالمرأة ليست من الأبطال حتى تحارب بل هي ريحانة يجب رعايتها والمحافظة عليها، نعم قد ورد في الكافي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب الإمام الحسن عليه السلام، ما يؤيد المعنى الاول حيث كتب في رسالته له عليهما السلام: **لالا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها فإن ذٰلك أنعم لحالها وأرخى لبالها وأدوم لجمالها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة...»**[2]، وقوله: **«ولا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها»** يعني لا تكلفها ما تطيق وما يكون فوق طاقتها[3] وفي من لا يحضره الفقيه: «.. **فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فدارها على كل حال وأحسن الصحبة لها ليصفو عيشك»**[4] فبأي معنى أُخذ لفظ القهرمانة، على الرجل أن يتحمل عواطفها وما يترتب عليها من مشاق وأذى أحياناً ليصفو العيش كما في نسخة من لا يحضره الفقيه، وأن لا يحمّلها فوقَ طاقتها بل هو يحمل ويتحمل ما يمكن حمله وتحمله رعايةً لحالها وتحقيقاً للعيش الهنيئ.

والخلاصة أن تقبّل الرجل لمصاريف المرأة ـ بل وجوبها عليه ـ وتحمله لعواطفها ومشاعرها التي قد تؤذيه أو أن المرأة نفسها قد تؤذيه بلسانها لأجل ثوران عواطفها، والقيام بواجب

---

(١) نهج البلاغة، الوصية رقم١٤، والفهر: بمعنى الحجر الذي يدق به الجوز، والهراوة: بمعنى العصا ...
(٢) الكافي ج٥ ص٥١٠ باب إكرام الزوجة الحديث٣.
(٣) راجع المصدر نفسه الهامش رقم ١.
(٤) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥٥٦ الحديث ٤٩١١.

حراستها وصيانتها من الأشرار والأخطار والعمل لأجلها ولمصالحها و... كل ذٰلك شر بالمعنى الثالث للرجل، فلا مشكلة في صدقية وصحة قوله عليه السلام: «**المرأة شر كلها**» مع ذٰلك لابد منها ومن وجودها فالرجل والأسرة محتاجون إليها وقد عدّ الإمام عليه السلام لابدّيتها شرَّ ما فيها وهو دليل على أن مراده ليس الشر الوجوي أو القيمي والأخلاقي، فحاجة الرجل إلى المرأة ليس عدمًا أو أمرًا عدميًا أو مضادًا للأخلاق والفضائل الأخلاقية بل حاجته إليها سبب لوقوعه في المشقة وتحمّل أعباء المسؤولية قبالها، ومما يؤيد هٰذا المعنى ما جاء في إحدى حِكمه المنقولة عنه عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال عليه السلام فيها: «**شر الإخوان من تُكُلِّف له**»[1] قال الرضي رحمه الله: لأن التكليف مستلزم للمشقة وهو شر لازمٌ عن الأخ المتكلف له، فهو شر الإخوان.[2]

فهذا دليل على أنه عليه السلام يقصد من الشر في أمثال هٰذه الموارد المعنى الثالث أي المشقة والزحمة و.

فيمكن تقبل صدور هٰذه الحكمة منه عليه السلام بهذا المعنى، وأما بالمعنى الأول والثاني فلا يمكن الإلتزام بمضمونها ويلزم ـ بناءً عليهما ـ رد علمها إلى قائلها، وقد يكون قد فهم غير هٰذا المعنى الذي ذكرناه من قطع بعدم صدور الحكمة عنه عليه السلام معللاً ذٰلك بأنه معارض لما ثبت من كلامه وسيرته [3] عليه السلام، ولكن الأولى أن نجعل

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم ٤٧٩ (وفي شرح ابن أبي الحديد ج٢٠ ص٢٤٩ الحكمة رقم٤٨٧).
(٢) المصدر ذيل الحكمة.
(٣) راجع عيون الحكم والمواعظ لعلي: بن محمد الليثي الواسطي ص٥٦ التعليق رقم (٢).

ما ثبت من كلامه[1] وسيرته قرينة على عدم إرادة الشر بالمعنى الأول والثاني لا أن نرد هٰذه الحكمة بضرس قاطع.

خصال متفاوتة:

تشارك المرأة الرجل في غالبية الكمالات الروحانية والفضائل الأخلاقية والعملية، فكل ما يُعدّ كمالاً أو نقصاً للرجل فهو كمال أو نقص للمرأة، وكل ما يُعدّ فضيلةً أو رذيلةً أخلاقية أو عملية له فهو فضيلة أو رذيلة أخلاقية أو عملية لها في الأعم الأغلب، إلا أن هناك خصوصيات طبيعية تكوينية أو تشريعية تتطلب وتستلزم أن يكون بينهما اختلاف وتفاوت في بعض ما يعدّ كمالاً وفضيلة أو نقصاً ورذيلة، وهذا الأمر مطرد حتى في الأعمال كالصلاة والصوم فترة الدورة الشهرية فهما ـ أي الصلاة والصوم في هٰذه الفترة ـ ليسا مما لا يجب الاتيان به على المرأة فحسب بل هما محرمان عليها باطلان بينما يجب على الرجل أن يصلي ويصوم إذ لا يبتلى بتلك الحالة الطبيعية التكوينية التي يبتني عليها الحكم التكليفي، هٰذا في الأعمال، وكذا فيما يتعلق ببعض الكمالات والفضائل الأخلاقية فإن هناك اختلافاً وتفاوتاً بين الرجل والمرأة في بعض الأمور الكمالية والأخلاقية لأجل الاختلاف والتفاوت في الطبيعة التكوينية أو الوظيفة التشريعية، فلا يمكن عدّ هٰذا التفاوت نقصاً أو كمالاً لأحدهما دون الأخر فقد تكون صفة ما كمالاً للرجل وهي بعينها نقصاً للمرأة وهذا لا يعني كون المرأة ناقصة والرجل كاملاً في حدّ

(١) كما نقل عنه في الكافي: ج٥ ص٣٢٢ باب أصناف النساء حديث١ أنه قال عليه السلام: «النساء أربع: جامع مجمع وربيع مربع وكرب مقمع وغل قمل» وقد فسّر الصدوق رحمه الله قوله «جامع مجمع» بكثيرة الخير المحصنة.. وقوله «كرب مقمع» بسيئة الخلق مع زوجها..

ذاتهما بل إذا اتصف الرجل بتلك الصفة كان كاملاً وإلا كان ناقصاً على العكس من المرأة فإنها إذا اتصفت بتلك الخصلة كانت ناقصة وإلا كانت كاملة في ذٰلك المجال.

وهذا ما أشار إليه مولى المتقين وأمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته وحكمه وهي كالتالي:

١. الغيرة:

قال عليه السلام: «**وغيره المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان**»[١]

وقبل الدخول في بيان سرّ هٰذا التفاوت وتشخيص مورد الغيرة التي تعدّ كفراً للمرأة وإيماناً للرجل يجب أن نعرف أولاً معنى الغيرة فنقول: الغيرة بكسر الغين بمعنى الميرة أي الطعام كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾[٢]، وبفتح الغين بمعنى الحمية والأنفة، قال العلامة الطباطبائي قدس سره: «**الغيرة هي إحدى الأخلاق الحميدة والملكات الفاضلة وهي تغيّر الانسان عن حاله المعتاد ونزوعه إلى الدفاع والانتقام عند تعدي الغير إلى بعض ما يحترمه لنفسه من دين أو عرض أو جاه ويعتقد كرامته عليه**»[٣].

وقال السيوطي وغيره: «.. **قال العلماء الغيرة بفتح الغين وأصلها المنع، وغيرة الرجل على أهله منعه لهن عن التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره، والغيرة صفة كمال، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش، هٰذا**

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم ١٢٤

(٢) سورة يوسف/٦٥

(٣) تفسير الميزان: ج٤ ص١٧٥.

تفسير غيرة الله أي أنها مَنْعُه الناس من الفواحش وأما ما يقارنها في حق الناس من تغيّر وانزعاج فإنه مستحيل في حقه تعالى»[1].

وعن القاضي عياض وغيره:«**هي مشتقه من تغيّر القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشدّ ما يكون ذٰلك بين الزوجين..**»[2]

وعن النحاس:«**أن يحمي الرجل زوجته وغيرها من قرابته ويمنع أن يدخل عليهن أو يراهن غير ذي محرم والغيور ضد الديوث**»[3]

والمتحصل أن الغيرة هي الأنفة والحمية فيما يختص بالإنسان فيقوم بحمايته عن تعدي الآخرين عليه فيتغير حين قيامه بذلك حالته القلبية على ذٰلك المعتدي- إذا كان الغيور من الخلق ومن عالم الطبيعة-، وهي في حدّ ذاتها صفة كمالية للإنسان إذا أحسن إعمالها وعرف مواردها، فحماية الإنسان ومحافظته على ما يختص به كالدين والمذهب والعرض و.. أمرٌ حسنٌ عقلاً وفطرةً وشرعاً وفضيلةٌ أخلاقية وكمال روحاني للإنسان سواء كان رجلاً أو امرأةً.

غيرة المرأة في الحياة الزوجية صوريةٌ:

إن غيرة الزوج على زوجته لأجل المحافظة عليها من شرور الأجانب وتعدّيهم عليها ينشأ من إيمانه بالله سبحانه وبدينه الذي جاء به أنبياؤه ورسله، ومن فطرته التي فطره الله تعالى عليها فالدين والفطرة كلاهما آبيان عن اشتراك رجلين فأكثر في زوجة واحدة

---

(١) الديباج على مسلم ج٤ ص١٢٤_١٢٥.
(٢) راجع تحفة الأحوذي: ج٤ ص٢٧٧.
(٣) المصدر: ج٩ ص٣٥٧.

فتعدد الأزواج يعني الوقوع في الزنا الـذي يعد من كبريات المعاصي ذات الآثار السلبية العظيمة على الفرد والمجتمع المذكورة في الآيات والروايات والتفاسير والكتب الأخلاقية.

هذا فيمـا يتعلق بالرجـل، وأما المـرأة فغيرتها بمعنـى محافظتها على زوجها من الوقوع في المحرمات والفواحش أمر حسـن وفضيلة أخلاقيـة أيضاً ولا تختلـف عن الرجل في هٰـذا المعنى، وأمـا غيرتها بمعنـى عدم تقبلهـا لاشـتراك غيرها من النسـاء معها فـي زوجها عن طريق مشـروع فهي راجعة إلى الحسد وليسـت غيرة حقيقية وفطرية لها كي تعد كمـالاً روحانيـاً وإيماناً وفضيلـة أخلاقيـة، والدليل على ذلـك- كما يقـول العلامـة الطباطبائـي قدس سره بتوضيح منـا-: ان الدين الإلهـي مبني علـى الفطـرة الإنسـانية ولا تخالف الفطرة في شـيء - وان كانت هناك تفاصيل اعتقادية وتشـريعية لا يتوصل إليها الإنسـان بفطرته وعقله بل يحتاج فـي معرفتها إلى بيان الشـارع المقدس عن طريق أنبياءه وأوليـاءه عليهم السلام- فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد شـرّع للرجال جواز تعـدد الزوجـات إلى أربـع- مع رعايـة العدالـة وإلا فمع خـوف عدم رعايتهـا لم يجز لـه إلا واحـدة- لـزم أن يكون هٰـذا التشـريع موافقاً للفطرة الإنسـانية بلا فرق بين الرجـل والمرأة بمعنـى أن فطرة المرأة أيضاً منسـجمة مع تعـدد زوجـات الرجل فـان الفطـرة التوحيدية في الانسـان فطرة واحدة ولـم يجعل الله تعالى للرجل فطرة تخالف فطرة المرأة، فما يتراءى من غيرة النساء على الرجال في أمر الضرائر يرجع في الحقيقة إلى الحسـد وليسـت من الغيرة التي تعتبر كمالاً وفضيلة وأمراً فطرياً ولهذا نجد أن الزوجة الثانية والثالثة تتزوج بمن له زوجة أو زوجتان بكمال رضاها ورغبتها وهي:

١ـ من نفس مجتمعاتناالبشرية.

٢ـ وليست من الإماء كي يقال أنها قد أجبرت على تقبل هٰذه الحالة

٣ـ وليست من عالم سماوي والحور العين ليقال أنها قد فُطرت على غير ما فُطرنا عليه ولهذا تتقبل بفطرتها المختلفة عن فطرتنا ما لا نتقبله نحن بفطرتنا فلا تغير لأجل تعدد زوجات بعلها، فهي من نفس هٰذه الدنيا ونفس المجتمعات التي نعيش فيها ولم تجلب من بلاد أخرى كأمة، فهي قد رغبت في الزواج مع رجل له زوجة أخرى.

وذلك يدل على أن طبيعتها وفطرتها لا تأبى أن يتعدد زوجات زوجها ولا يتألم قلبها بذلك في حدّ ذاته، والسبب في عدم تقبل المرأة لورود ضرة عليها هو أن كونها زوجةً أولى قد فرض عليها حالات نفسية تستوجب أن لا تحب ورود زوجة أخرى عليها وعلى بيتها وذلك لخوفها من ميل زوجها عنها أو أن تترأس الثانية عليها أو لأجل خوفها من اختلاف الأولاد وغير ذٰلك من الأسباب الطارئة ـ وليست الذاتية الفطرية ـ، فعدم رضاها وتألّمها من زواج بعلها بثانية أو ثالثة ناتج عن حالات عرضية هي حبّها لتوحدها بزوجها وعدم مشاركة غيرها لها أو خوفها من ترؤسها عليها وليس نتاجاً لفطرتها وغريزتها وطبيعتها[1].

ونتيجة ذٰلك أن هٰذه الحالة المتعارفة في النساء ليست غيرة حقيقية بل هو استعمال للغيرة في غير محلها وبهذا الاعتبار ولتعارف إطلاق اسم الغيرة عليها عند الناس أطلق عليها هٰذا الإسم

(١) راجع الميزان : ج٤ ص١٧٥ و١٨٦ وما بعدها .

في اللغة والروايات فهي في الحقيقة أمر عارضي كالحسد- كما سيأتي في الروايات التي سنذكرها- ولهذا نجد أن المرأة نفسها تتقبل أن تصبح زوجة ثانية في كثير من الأحوال مع أنها لا تتقبل الضرة في حالة كونها زوجة أولى فلو كان ذٰلك أمراً فطرياً لما تقبلتها حتى في حالات ورودها هي على غيرها لتصبح زوجة ثانية أو ثالثة ولما اختص عدم التقبل بحالة كونها زوجة أولى.

هذا كله من حيث الفطرة والتكوين، وأما من حيث الشريعة المقدسة فقد وردت روايات متعددة تدل على أن الغيرة في الرجل أمر حسن مستحسن وفضيلة أخلاقية وكمال روحاني وأنها ناشئة من فضيلة العفة الأخلاقية فيه، وأما المرأة فالغيرة بمعناها المتعارف فيها- أي الغيرة فيما يتعلق بتعدد زوجات بعلها لا ما يرتبط بالدين والمذهب والعرض وجميع ما يجب المحافظة عليه على الجميع رجالاً ونساءً- والتي بيّنا أنها ليست غيرة حقيقية، فهي مذمومة بل مؤدية إلى الكفران والكفر العملي أحياناً والعقيدي أخرى- كما سنبينه إن شاء الله تعالى في قادم الأبحاث.

وإليكم بعض النصوص في هٰذا الباب:

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:«**غيرة الرجل إيمان وغيرة المرأة عدوان**»[١]

٢- وعنه عليه السلام أنه قال:«**غيرة الرجل على قدر أنفته**»[٢]

٣- روي عن طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:«**ما تدري الغيراء**

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ص٣٤٧، ومستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢٩٢ الحديث رقم ١٦٧٥٤ (الحديث الرابع من باب عدم جواز التغاير في غير محله وتركه عند ظهور العيب) نقلاً عن غرر الحكم: للآمدي ج٢ص٥٠٦ الحديث ٣و٤.

(٢) المصادر نفسها.

أعلى الوادي من أسفله»[1] وقد رووا هٰذا الحديث لتوجيه غيرة أم المؤمنين عائشة حيث قال النووي بعد نقل الحديث: **«ولو لا ذٰلك لكان على عائشة في ذٰلك من الحرج ما فيه، لأن الغضب على النبي صلى الله عليه(وآله) وسلم وهجره كبيرة عظيمة ولهذا قالت: لا أهجر إلا اسمك فدل على أن قلبها وحبها كما كان وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة»**[2] وقد استند مالك إلى هٰذه الرواية لسقوط الحد عن الزوجة إذا قذفت زوجها لغيرتها.

٤ـ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:**«غيرة النساء الحسد والحسد هو أصل الكفر إن النساء إذا غِرن غضبن وإذا غضبن كفرن إلا المسلمات منهن»**[3]. وقد يكون المقصود من المسلمات اللاتي بلغن درجة التسليم كما يمكن أن يكون المقصود أصل الإسلام بقرينة قوله كفرن.

٥ـ عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال:**«ليست الغيرة إلا للرجال وأما النساء فإنما ذٰلك منهن حسد، والغيرة للرجال ولذلك حرم الله على النساء إلا زوجها وأحل للرجال أربعاً وإن الله أكرم أن يبتليهن بالغيرة ويحل للرجال معها ثلاثاً»**[4]

٦ـ وعنه عليه السلام أنه قال:**«إن الله عز وجل لم يجعل الغيرة للنساء وإنما تغار المنكرات منهن، فأما المؤمنات فلا، إنما جعل الله الغيرة للرجال لأنه أحل للرجال أربعاً وما ملكت يمينه ولم يجعل للمرأة إلا زوجها فإذا أرادت معه**

---

(١) شرح مسلم : للنووي ج١٥ص٢٠٣، ومن طرقنا :الكافي :ج٥ ص٥٠٥ باب غيرة النساء الحديث ٣ .
(٢) شرح مسلم : ج١٥ ص٢٠٣ .
(٣) الكافي : ج٥ ص٥٠٥ باب غيرة النساء الحديث٣ .
(٤) المصدر الحديث١ .

غيره كانت عند الله زانية»[1].

وغيرها من الروايات، وهي تدل بوضوح على أن ما يسمى بالغيرة في المرأة بشأن تعدد زوجات بعلها ليس في الحقيقة غيرة وإنما هو حسد كما تدل على أن غيرتها كفر وذلك لأجل الاختلاف الموجود بينها وبين الرجل في الحكم الإلهي ولهذا لا تعد هٰذه الغيرة- أي الحسد- فطرية طبيعية وغريزية لها إذ لا يمكن أن يبتليها الله تعالى بأمر فطري ثم يشرّع في حقها ويكلفها بما ينافي تلك الفطرة والغريزة وهو جواز تعدد زوجات بعلها.

نتيجة البحث:

الآثار السيّئة المترتبة على غيرة النساء:

خلاصة ما يستفاد من الروايات السابقة هي أن الله ﷻ لم يجعل في المرأة وفي فطرتها وغريزتها الغيرة بمعناها الحقيقي وإن كان هناك شيء فهو الحسد لا غير، كما أن حكمها الشرعي أن لا تغير على زوجها فإذا غارت عليه فقد خرجت عن فطرتها وخالفت حكمها وتكليفها الشرعي وهذا ما تترتب عليه آثار سلبية وسيئة كثيرة نشير هنا إلى بعضها:

١- الخروج من الدين ومن طاعة الله تعالى:

المطلوب من الإنسان هو أن يطيع ربه ﷻ الذي لا يريد له إلا الخير والمصلحة والوصول إلى الكمال والسعادة ومعنى ذٰلك أن طاعة الله تعالى حاجة للعبد المطيع إذ أن نفعها عائد إليه لا إلى

(١) المصدر الحديث٢.

الله المطاع الغني عـن جميع من وما سـواه ولهذا يكـون الخروج عن الطاعـة الإلهية وعـن حدود الشـرع وأحكامه إضـراراً بالنفـس وظلماً بحقها فكما أن الطاعة لا توجب عود نفع وخير وربح إليه تعالى لأنه الغني المطلق وبالـذات: «**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**»[1] كذلك العصيان لا يُلحق به سـبحانه ضرراً تعالى عن ذٰلك علواً كبيراً: «**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**»[2].

والخـروج عـن الطاعة ـ المسـمى بالفسـق ـ قـد يكون فـي مقام العمل فقـط فهو مؤمن بـالله تعالى ورسـله واليـوم الآخر ومـا جاء به رسـوله ﷺ ولكنه في مقام العمل تـارك لوظائفه غير عامـل بتكاليفه التي يؤمـن بها، فهذا فسـق وليـس كفراً بمعنـى الإرتـداد، نعم يطلق عليه الكفر وعلـى الخارج عن الطاعـة الكافر ولكن يقصـد به الكفر العملـي وكفـران النعمة كمـا أطلـق ذٰلك على تـارك الصـلاة عصياناً لا اسـتحلالاً فلا يوجب الخروج عن أصل الدين والارتداد والنجاسـة وغيرها مـن الآثار المترتبة علـى الكفر والارتداد، فهـذا كفران للنعمة من عـدة جهات: ١ـ كفـران لنعمه حيـث أن العقـل دال على وجوب شـكر المنعم بمعرفته وطاعته فعصيانه كفران لتلك النعم. ٢ـ كفران لنعمة الطاعة نفسـها لأنها ـ وكما سـبق ـ في صالح المطيع ولا يعود نفعهـا إلـى الله المطـاع فالعصيان وتـرك طاعـة رب العالميـن تفويت لمنافع ومصالح الطاعة على النفس فهذا أيضاً كفران.

٣ـ الطاعة شـكر لله تعالى والشـكر موجب لازديـاد النعم الإلهية

---

(١) سورة فاطر :١٥، وراجع سورة ابراهيم :٨، وسورة الممتحنة :٦ و .....

(٢) سورة البقرة :٥٧، وسورة الأعلاف :١٦٠.

«**لئن شكرتم لأزيدنكم**»[1] وللنجاة من العذاب الإلهي: «**ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم**»[2] فترك طاعته تعالى تضييع لتلك الزيادة وكفران لنعمة الطاعة الموجبة لها.

٤ـ يتحقق العصيان بترك الصلاة والتقرب إليه بالعبادات وفعل المحرمات و...و لكن هناك كفران آخر وهوـ وباختصارشديد ـ أن الإنسان يحب الكمال والكمال هو الله تعالى فهو يحب الله سبحانه فإذا فتح الله المحبوب الحقيقي للعبد باب الحديث معه والتقرب إليه ولم يسلك العبد ذٰلك الطريق كان ذٰلك فراراً عن المحبوب وعن الحديث معه وهو من أكبر مصاديق الكفران والاضرار بالنفس و.

هذا كله إذا كان الخروج عن الطاعة لأجل العصيان فقط وأما إذا كان ذٰلك لأجل الاستحلال والخروج عن الدين وعن الاعتقاد بما جاء به رسول الله ﷺ وثبت أنه من الدين فهو ارتداد وكفر عقيدي وخروج عن الدين لأنه مستلزم لانكار رسالة النبي ﷺ، وانكار رسالته صلوات الله عليه وآله كفر وإن كان لأجل إنكار جزئية فرعية ثابته في الشريعة المقدسة وإن كانت غير إلزامية كغسل الجمعة فإذا ثبت لدى الإنسان استحباب غسل الجمعه في الشريعة المقدسة وأنه مما جاء به رسول الله ﷺ قطعاً ومع ذٰلك أنكره كان مرتدا خارجاً عن الدين وترتبت عليه آثار الكفر والارتداد.

وفيما نحن فيه: إذا غارت المرأة فيما لا يحل لها ولم يجعل في فطرتهاـ وقد سبق عن الإمام الصادق عليه السلام: ان الله اكرم أن يبتليهن بالغيرة ويحل للرجال معهاـ ثلاثاً ـ فإن كان ذٰلك لأجل

(١) سورة إبراهيم :٧.
(٢) سورة النساء :١٤٧.

مجرد الحسد فقط فهي غير راضية بزواج زوجها وورود ضرة عليها ومعارضة لذلك في العمل فتعمل على منع زوجها من ذٰلك أو تؤذيه إذا كان قد تزوج عليها بالفعل، فقد خرجت بذلك عن الطاعة وكان ذٰلك منها كفراً عملياً وكفراناً وعدواناً وتجاوزاً عن حدودها العملية التكليفية وذلك أن الرجل إذا تزوج ثانية أو ثالثة ولم يخرج بذلك عن العدالة المقررة عليه في الشريعة القدسية الإسلامية لم يرتكب محرماً بل فعل ما قد أحله الله تعالى له وقد ورد أنه لا غيرة في الحلال[1].

وإن كان ذٰلك لأجل إنكار أصل الحكم الشرعي واستنكاره بمعنى أن حسدها أدى بها- وعوذاً بالله الكريم- إلى إنكار الحكم الشرعي الثابت بالقرآن والإعتراض عليه، كان كفراً عقيدياً وارتداداً وعدواناً وتجاوزاً عن حدودها العقيدية.

وفي قبال ذٰلك غيرة الرجل تعتبر إيماناً وذلك أن الغيرة أمر شرعي وفطري للرجل ولهذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب**»[2]، وفي خبر آخر عنه عليه السلام إذا لم يغر الرجل ولم يغير..«**فينزع الله منه بعد ذٰلك روح الإيمان وتسمّيه الملائكة الديوث**»[3] فإذا غار الرجل للمحافظة على نواميسه وزوجته عن تعدي وتجاوز الآخرين عليهن كان إيماناً وناشئاً عن عفّته كما في الأخبار فقد ورد أن الغيرة من الإيمان[4]، وورد أن «**دليل غيرة**

(١) راجع الكافي : ج٥ ص٥٣٧ باب أنه لا غيرة في الحلال، الحديث ١.
(٢) الكافي : ج٥ ص ٥٣٦ باب الغيرة : الحديث ٢.
(٣) المصدر نفسه الحديث ٣.
(٤) وسائل الشيعة ط الإسلامية ج : ١٤ باب وجوب الغيرة على الرجل، الحديث ٨.

الرجل عفّته»[1].

ولا يخفى أن الغيرة في غير محلها مذموم حتى إذا كانت من الرجل وقد سبق أنه لا غيرة في الحلال كما روي عن الإمام أمير المؤمنين والإمام الصادق عليهما السلام، كما ورد في رسالة أمير المؤمنين إلى ولده الحسن عليهما السلام في خصوص غيرة الرجل في غير محلها أنه كتب فيها: «**إيّاك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذٰلك يدعو الصحيحة الى السقم**»[2].

فهذا أول النتائج والأثار السلبية والسيئة المترتبة على الغيرة في النساء وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله صلوات الله عليه: «**غيرة المرأة كُفر وغيرة الرجل إيمان**» وتبيّن بما قدمناه في الأثر السلبي الأول معنى كونها كُفراً في المرأة إيماناً في الرجل.

٣ـ التوسل بما هو بمنزلة الكفر:

قد تتوسل المرأة التي قد دخل عليها الضرة فثارت غيرتها، بالسحر ـ بل الواقع يشهد بأن بعض النساء وليس كلهن يقمن بذلك أو يراجعن السحرة في هٰذه الحالات ـ لأنها لا تجد لنفسها مخرجاً مما ابتليت به إلا بهذا العمل فتبتلى بذلك بأكبر الكبائر التي قد نزّلت منزلة الكفر وما يُعتبر قرين الشرك ومن الموبقات حسب مُختلف التعابير الواردة في الروايات فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ساحر المسلمين يُقتل وساحر الكفار لا يُقتل، قيل: يا رسول الله، ولم ذاك؟ قال: لأن الشرك والسحر مقرونان، والذي فيه الشرك أعظم من السحر. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولذلك

---

(١) عيون الحكم والمواعظ ص٢٤٩.

(٢) نهج البلاغة: الوصية ٣٥، ومستدرك الوسائل: ج١٤، باب عدم جواز التغاير في غير محله الحديث١.

لم يقتل رسول الله ابن أعصم (عاصم) اليهودي الذي سحره ،. قال أمير المؤمنين عليه السلام: فإذا شهد رجلان عدلان على رجل من المسلمين أنه سحر قُتِل (لأنه كفر)، والسحر كُفر، وقد ذكر الله عز وجل ذٰلك فقال:

«**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ـ الى قوله ـ الى قوله فلا تكفر**»[1] فأخبر جل ذكره أن السحر كُفر فمن سحر فقد كفر، فقتل «**فيقتل**» ساحر المسلمين لأنه كفر وساحر المشركين لا يقتل لأنه كافر بعد بما (كما) جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال:الشرك بالله، والسحر،وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» [3] فقد عدّ السحر في أمثال هٰذه الروايات كفراً أي بمنزلة الكفر أو أنه حقيقةً كفر إذا كان مع الاستحلال فإذا توسلت المرأة لأجل غيرتها بدخول ضرة عليها، بالسحر فقد خرجت بذلك عن العدالة والإيمان إلى الفسق والطغيان وأصبحت بمنزلة الكافرة إن لم تكن مستحلة وإلا فهي كافرة ومرتدة، فهذا أيضاً من وجوه كون غيرتها كفراً.

٣ـ النطق بما يستلزم الكفر:

وقد تخرج المرأة بغيرتها عن حدّ الإعتدال فتنطق بما يستوجب كفرها وخروجها عن ملة المسلمين فقد سبق في الخبر أن الغيراء لا تبصر أعلى الوادي من أسفله، قال ابن أبي الحديد في بيان أحد

---

(١) سورة البقرة:١٠٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٣، باب تحريم تعلم السحر وأجره واستعماله في العقد وحكم الحل الحديث ٦.

(٣) الخصال ص٣٦٤ الحديث ٥٧.

احتمالات هٰذه الحكمة: «.. **وقد يفضي بها الضجر والقلق أن تتسخط وتشتم وتتلفظ بألفاظ تكون كفراً لا محالة**»[1] وهذا ما يستفاد من الرواية التي نقلناها فيما سبق عن الإمام الباقر عليه السلام حيث روي أنه قال عليه السلام: «**غيرة النساء الحسد والحسد هو أصل الكفر، إن النساء إذا غرن غضبن وإذاغضبن كفرن إلا المسلمات منهن**»[2] فواضح أن الحسد وما ينتج عنه من الغضب ليس كفراً في حد ذاته ولكن الغضب موجب لخروج الإنسان عن الاعتدال فيصدر منه ما يستوجب الكفر أحياناً وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين فيما روي عنه في كتابه إلى الحارث الهمداني حيث قال عليه السلام: «.. **واكظم الغيظ وتجاوز عند المقدرة، واحلم عند الغضب... واحذر الغضب فإنه جند عظيم من جنود إبليس**»[3] وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل**»[4]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فانه سيذهب عنه رجز الشيطان وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه، فإن الرحم إذا مست سكنت**»[5] وغير ذٰلك من الأحاديث التي تشدد على أمر الغضب وأنه قد يؤدي إلى القتل والقذف و.. وبهذا أيضاً يتبين لنا وجه آخر لكون غيرة المرأة فيما لا يحل لها ولم يجعل في كيانها ولا تكاليفها الشرعية، كفراً وخروجاً عن الإيمان أحياناً وعن أصل الدين أخرى.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٨ ص٣١٢.
(٢) الكافي: ج٥ ص٥٠٥ باب غيرة النساء الحديث٤.
(٣) نهج البلاغة الكتاب رقم ٦٩.
(٤) الكافي: ج٢ ص٣٠٢ باب الغضب الحديث١.
(٥) المصدر الحديث ٢.

حقائق مرة

قلنا أن الغيرة في النساء قد تؤدي إلى الخروج عن حدّ الاعتدال فلا تبصر الغيراء أعلى الوادي من أسفله وقد ثبت ذٰلك بالتجربة في الواقع الخارجي حيث ينقل لنا التاريخ القديم والمعاصر أن الغيرة أدت إلى قيام بعض النساء غير المؤمنات بالجرائم والكبائر الموبقات، نعم المرأة المؤمنة المهذِّبة لنفسها لا تتأثر بأمثال هٰذه الأمور وبالغيرة الصورية ولا تخرج عن تكاليفها ووظائفها الشرعية وتعدّ كل ذٰلك إمتحاناً وابتلاءً إلهياً فإن الدنيا كلها امتحان وابتلاء والسعيد من يخرج عنها ناجحاً موفقاً في إمتحاناته، ومن أشد الامتحانات للمؤمنات هو هٰذه الغيرة الصورية (الحسد) فعن خالد القلانسي قال: «**ذكر رجل لأبي عبدالله** عليه السلام **امرأته فأحسن عليها الثناء فقال أبوعبدالله** عليه السلام: **أغَرْتها؟ قال: لا، قال: فأَغِرْها، فأغارها فثبتت، فقال لأبي عبدالله** عليه السلام: **إني أغرتها فثبتت، فقال: هي كما تقول**»..[1] حيث يستفاد من كلامه وسؤاله عليه السلام: «**أغرتها؟**» أن الغيرة من الامتحانات المهمة والكبيرة للنساء فاذا ثبتت بعد الإغارة تبيّن عمق ورسوخ

(١) الكافي: ج٥ ص٥٥ باب غيرة النساء الحديث ٥.

إيمانها[1] وأما إذا لم تثبت فليست مؤمنة مهذبة، بل ترتكب الغيراء ـ وكما قلنا ـ الكبائر وتمكر بزوجها وضراتها أو من تحتمل أن تكون ضرة لها في المستقبل مكراً وكيداً عظيماً ـ على حد تعبير القرآن الكريم ـ وها نحن نقدم لكم نموذجين من ذلك:

١ـ ذكر الواقدي عن أبي معشر أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم تزوج بها (أي بمليكة بنت كعب الكنانية): وكانت تذكر بجمال بارع فدخلت عليها عائشة فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك، وكان أبوها قتل يوم فتح مكة قتله خالد بن الوليد، قال فاستعاذت من النبي ﷺ (أي قالت له:«**أعوذ بالله منك**») فطلقها فجاء قومها يسألونه أن يراجعها واعتذروا عنها بالصغر وضعف الرأي وأنها خدعت فأبى..[2]

ب ـ عن أبي عبدالله عليه السلام: أُتي عمر بن الخطاب بجارية قد شهدوا عليها أنها بغت وكان من قصتها أنها كانت يتيمة عند رجل وكان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله فشبت اليتيمة فتخوفت المرأة أن يتزوجها زوجها فدعت بنسوة حتى أمسكنها فأخذت عذرتها بإصبعها فلما قدم زوجها من غيبته رمت المرأة اليتيمة بالفاحشة وأقامت البينه من جاراتها اللائي ساعدنها على ذٰلك فرفع ذٰلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضي فيها ثم قال: للرجال (للرجل) إيت علي بن أبي طالب عليه السلام واذهب بنا إليه فأتوا علياً عليه السلام وقصوا عليه

---

(١) وراجع شرح النهج للتستري رحمه ج١٤ ص ٢٩٩ حيث ينقل قصة جميلة عن غيرة المرأة التي لم تنخدع بغيرتها في عصيان ربها وخاطبت زوجها : « **وأنت أحقر من أعصي الله فيك..**»

(٢) الإصابة : لابن حجر العسقلاني ج٨ ص ٣٢٠ رقم ١٧٧٣ والمنتخب من ذيل المذيل : للطبري ص٨٩، وراجع شرح النهج : للتستري « رحمه الله » ج١٤ ص٢٩١ وفيه أن أباها قُتل بالخندق وخندق جبل بمكة كما في : أحاديث أم المؤمنين عائشة ج١ ص ٧٤ نقلاً عن معجم البلدان .

القصة، فقال لأمرأة الرجل ألك بينة أو برهان؟ قالت: لي شهود هٰؤلاء جاراتي يشهدن عليها بما أقول فأحضرتهن، فأخرج علي بن أبي طالب عليه السلام السيف من غمده فطرح بين يديه وأمر بكل واحدة منهن فأدخلت بيتاً ثم دعا بامرأة الرجل فأدارها بكل وجه فأبت أن تزول عن قولها فردها إلى البيت الذي كانت فيه ودعا إحدى الشهود وجثى على ركبتيه ثم قال: تعرفيني أنا علي بن أبي طالب وهذا سيفي وقد قالت امرأة الرجل ما قالت، ورجعت إلى الحق وأعطيتها الأمان[1] وإن لم تصدقيني لأملان السيف منك فالتفتت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين الأمان علي (الأمان على الصدق) فقال لها أمير المؤمنين: فاصدقي فقالت: لا والله إلا أنها رأت جمالاً وهيئة فخافت فساد زوجها عليها فسقتها المسكر ودعتنا فأمسكناها فافتضتها بإصبعها فقال علي عليه السلام: «**الله أكبر أنا أول من فرّق بين الشاهدين إلا دانيال النبي فألزم عليٌّ المرأة حدّ القاذف وألزمهن جميعاً العقر وجعل عقرها أربعمئة درهم...**»[2]

فانظروا كيف أدت الغيرة والحسد إلى أربع كبائر في حادثة واحدة:

١ـ سقي اليتيمة الخمر.

٢ـ إزالة بكارتها.

٣ـ رميها بالزنا.

٤ـ إشهاد النساء على الزور.

٢ـ الزهو:

---

(١) كل هذه الأمور تورية لأخذ الإقرار وإظهار الحق.

(٢) الكافي: ج٧ ص٤٢٥ باب النوادر الحديث ٩. والعقر: دية فرج المرأة إذ غصبت على نفسها.

الخصلة الثانية التي تتفاوت فيها المرأة عن الرجل وتعدّ كمالاً للمرأة نقصاً للرجل، هو الزهو وقد فسر بالكبر والفخروالعجب، وقد أشار أمير المؤمنين إلى هٰذا التفاوت مع التفاوت في خصلتين أخريين في بعض حكمه عليه السلام فقال: «**خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكّن من نفسها وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها وإذا كانت جبانة فَرِقَتْ من كل شيء يعرض لها**»[1].

فالحكمة العلوية تشيرإلى ثلاث خصال هي من خيار خصال النساء بينما تعدّ من شرارخصال الرجال، أولها الزهو وهو الكبر والفخر، قال الجوهري في صحاحه: قد زهي الرجل فهو مزهو أي تكبر، وللعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل مثل قولهم: زهي الرجل وعني بالأمر.. وقلت لأعرابي من بني سليم: ما معنى زهي الرجل؟ قال أعجب بنفسه، فقلت: أتقول: زها الرجل إذا افتخر؟ قال: أما نحن فلا نتكلم به.[2]

ولكن لماذا يعتبر الزهو والكبر من خيار خصال المرأة؟ قد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام عن ذٰلك بأنه يؤدي إلى أن تحافظ المرأة على نفسها، وورد هٰذا السبب بشكل أوضح في لفظ التحفة السنية حيث روى الجزائري هناك أنه عليه السلام قال «.. **وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تتكلم كل أحد بكلام لين مريب..**»[3]، فيلزمنا قبل كل شيء أن نعرف حقيقة الكبر والفخر والعجب إجمالاً كي يتبين لنا معنى كلامه عليه السلام

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم ٢٣٤.
(٢) صحاح الجزهري: ج٦ ص ٢٣٧٠.
(٣) التحفة السنية: ص٢٧٠.

فنقول: قلنا أن الزهـو بمعنى الكبـر ولكنه قد فسّـر بالعجب والفخر أيضاً وقد يكون ذٰلك تفسـيراً له بسـببه ومسـببه فان العجب بالنفس سـبب لحدوث حالة الكبـر في الإنسـان كمـا أن الكبر يسـبِّب الفخر على الآخرين فالكبر مسبب عن العجب وسبب للفخر.

وأما الكبر فهو أحد الرذائل الأخلاقية بل مـن أعظمها ولا يمكن تحصيـل الكمـال إلا بإزالتهـا وإحـلال الفضيلـة المقابلـة لـه- وهي التواضع- محله، فالسـير نحو الكمال يتطلب العمل والسـعي لتقوية قوتـي العلـم والعمـل وتطهيـر العقـل والقلـب مـن ظلمـات الجهل والجهالة والذنـوب والرذائل، ومن جملـة تلك الرذائـل رذيلة الكبر- وكذا العجب والفخر- الناشـئة عن الجهل بحقيقـة الذات وحقيقة ما يوجب الكمـال، فالكبر بمعنـى التعاظم وتصـور عظمـة النفس وهذا ليس من شـأن الخلق فإنه أياً كان ليس بكبيرقبال الله تعالى فلا معنى لأن يتكبر علـى الله تعالى وعـوذاً به سـبحانه كما فعل إبليـس فطُرد ورُجـم فإن الله هـو الكبيـر على الإطـلاق ولا كبير سـواه ولهـذا نجد أن بعـض الروايـات تفسـر قولنـا:«**الله اكبر**» بـ «**أكبر من أن يوصف**» إذ لا كبير قباله سـبحانه حتى يقال أنه كبير ولكن الله أكبـر منه، فتكبُّرُه تعالى منطبق على الواقع إذ أنه هو الكبير فيرى نفسه كما هو ولأجل ذٰلك يعـد التكبّر مـن صفاته سـبحانه والمتكبر من أسـمائه المختصه التـي لا يحق لأحد غيـره أن يتصف ويسـمي نفسـه به فـان الموجود إذا لـم يكن كبيـراً عظيمـاً حقيقةً فتصـور أنه كبيـر عظيـم كان ذٰلك منه وهمـاً ورذيلة أخلاقية ناشـئة عن الجهـل بحقيقة الكبـر والعظمة وحقيقة الذات الفقيرة المحتاجة في أصل الذات والوجود بتمام أبعاده وهذا ما يفسـر لنا قولهـم عليهم السلام:«**والكبر رداء الله فمن نازع الله عزّ وجلّ رداءه**

لم يزده الله إلا سفالاً..»[1] وقول الصادق عليه السلام حينما سئل عن أدنى الالحاد:**«إن الكبر أدناه»**[2]

وأما التكبر على الخلق وعباد الله تعالى- وكذا العجب بالنفس قبالهم والفخر عليهم- فهو أيضاً ناشئ عن الجهل بحقيقة ما يوجب العظمة والقرب لدى الله تعالى، فان الكبر ينشأ من أمور من جملتها:

١- كثرة الأموال.

٢- كثرة الأولاد.

٣- الحسب والنسب.

٤- الشهرة.

٥- القدرة والمناصب الدنيوية.

٧- العلم و.

وشيء من المذكورات لا يوجب في حد ذاته قرباً وكمالاً وعظمة للإنسان أما الأموال والأولاد فقد قال تعالى بشأنها «**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً**»[3]، وأما الحسب والنسب فهو كبر وفخر وعجب بكمال الآخرين- إن كانوا من الكاملين حقيقةً- يقول الشاعر:

لئن فخرت بآباء ذوي شرف

لقد صدقت ولكن بئس ما ولدا

ويقول العلامة المجلسي بعد نقل هٰذا البيت: فالمتكبر بالنسب إن كان خسيساً في صفات ذاته فمن أين يجبر خِسّتَه كمالُ غيره،

---

(١) الكافي :ج٢ ص٣٠٩ باب الكبر الحديث٢.

(٢) المصدر الحديث١.

(٣) سورة سبأ : ٣٧.

وأيضاً ينبغي أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجدّه فإن أباه نطفة قذرة وجدّه البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله نسبه فقال: «**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدء خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين**»[1].[2]

وكذا فيما يتعلق بالشهرة والقدرة والمناصب الدنيوية فان الدنيا بأجمعها متاع قليل ومتاع الغرور و.. فكيف يمكن أن يكون ما هو دنيوي سبباً للكمال والعظمة والقرب إلى مبدء كل الكمالات ومصدر العظمة ما لم يقترن بما يعطيه القيمة المعنوية كما سنشير، وكذا العلم فانه بحد ذاته وان كان ذا قيمة حقيقية إلا أنه محتاج إلى عامل آخر يؤثر في كونه ذا قيمة عند الله تعالى فلو كان ـ على حد تعبير بعض الروايات ـ للعلم من دون التقى فضل لكان أفضل خلق الله إبليس، فإذن العامل الأساسي والمعيار والميزان الحقيقي في حصول الكمال المتمثل في القرب إلى الله تعالى هو ما يحقق القيمة المعنوية للإنسان ولعمله وصفاته وملكاته وممتلكاته وهو التقوى فقد جعلها الله سبحانه ميزاناً لكرامة الإنسان ولقبول عمله فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3] وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[4].

ومن المعلوم أن المتكبر لا يصدق عليه المتقي بل قد وصف الله تعالى المجادلين في آياته بأن في صدورهم الكبر فقال سبحانه: ﴿إِن

---

(١) سورة السجدة: ٧ـ٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٠ ص ٢٢٦ـ٢٢٧.
(٣) سورة الحجرات/ ١٣.
(٤) سورة المائدة/ ٢٧.

فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾[1] وهو جاهل بحقيقته وحقيقة صفاته وأن الظاهر لا يمكن أن يكون ميزان في الحكم على الآخرين بأنهم أدنى منه أو أعلى وقد يكون من لا نعده شيئاً، عظيماً عند الله تعالى ومن أوليائه سبحانه فعن أبي بصير عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: «**إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئا من معصيته فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم، وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم، وأخفى وليَّه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم**»[2].

مضافا إلى ذٰلك كله: إن الكبر له منشأ نفسي وهو الإحساس بالذل في النفس فعن الصادق عليه السلام: «**ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه**»[3] فالكبر ليس دليلاً على العظمة بل على عقدة الحقارة.

والفخر على الآخرين أيضاً قد يؤدي إلى إهانتهم وهو أيضاً من المحرمات الكبيرة ناهيك عن كونه في حد ذاته رذيلة ناتجة عن الجهل بمعايير الفخر الحقيقية، وكذلك العجب ـ وهو كما في شرح الكافي: ابتهاج الإنسان وسروره بتصور الكمال في نفسه

---

(١) سورة غافر/٦٥.

(٢) الخصال ص٢٠٩ ـــ ٢١٠ الحديث ٣١.

(٣) الكافي ج٢ ص٣١٢ ذيل الحديث ١٧ من باب الكبر.

واستعظامه إياه لا من حيث أنه من عطاياه تعالى ونعمائه عليه مع طلب زيادته والخوف من نقصه أو زواله، بل من حيث أنه وصف له موجب لعلو قدره وسمو مرتبته وخروجه عن حد النقص والتقصير مع الغفلة عن قياس نفسه إلى الغير بكونه أكمل وأفضل منه، وبهذا القيد ينفصل عن الكبرإذ لابد فيه أن يرى لنفسه مرتبة،وللغيرمرتبة فيرى مرتبته فوق مرتبة غيره، والعجب من أعظم الذنوب المهلكة حتى روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك، العجب العجب**» وفيه دلالة على أنه تعالى قد يبلوا العبد بالذنب ليدفع عنه العجب[1] ـ فإنه ناتج عن الجهل ومنشأ وسبب لسقوط المعجب بنفسه وعمله وصفاته لدى الله ﷻ بل عن أعين الناس أيضاً كما أنه سبب لتوقفه عن السير والحركة الكمالية العلمية والعملية وذلك أن المعجب بنفسه بكلماته ـ وكذا المتكبر والفخور ـ غير مستعد لأن يتعلم شيئا من غيره أو يتأدب بأدبه وأخلاقه وإن كان أعلم منه وأزكى.

فإذا علمنا أن:

١. العظمة والكبر لله تعالى وحده.

٢. هناك من هو أكمل وأفضل منا.

٣. المعيار في الكرامة والفضل وقبول الأعمال والتقرب إلى الله تعالى هو التقوى لا المال ولا المناصب الدنيوية ولا الشهرة ولا العلم المجرد عن العمل والتقوى.

٤. الباطن غير معلوم لنا فلا علم لنا بحقيقة بواطن وكمالات الناس الروحانية فقد يكون الوضيع بحسب الظاهر عظيما مقربا لدى

(١) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٨ ص ٢٠٠.

الله تعالى باطنا وواقعا، إذا علمنا كل ذٰلك تمكنا من السيطرة على النفس الأمارة ومنعها من الكبر والفخر والعجب فـ:

ملآى السنابل تنحني بتواضع

والفارغات رؤوسهن شوامخ.

وهناك أبعاد وأبحاث أخلاقية كثيرة لهذه الرذائل فيها يتعلق بعلاقة العبد بربه تعالى وروابطه الاجتماعية وتربيته الاخلاقية وغيرها نغضّ النظر عنها لئلا نخرج كثيرًا عن طور البحث ونحيل القارئ الكريم الى الكتب الاخلاقية وشروح الجوامع الروائية ونكتفي هنا بذكر بعض الروايات المروية في ذم هٰذه الرذائل الاخلاقية:

روايات في ذم التكبر والفخر والعجب ومدح ما يقابلها:

يجدر بنا هنا وبعدما عرفنا بعض ما يتعلق بهذه الرذائل الاخلاقية وأسبابها وأثارها، ان نذكر بعض الروايات الدالة عى قبح وذم هٰذه الرذئل ومدح الصفات والخصال الاخلاقية المقابلة لها تيمناً بكلمات المعصومين عليهم السلام وبياناً لحقيقة هٰذه الرذائل وفضيلة الخصال المقابلة لها فنقول:

عن ابي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالامس نطفةً ثم هو غداً جيفة[1].

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آفة الحسب الإفتخار والعجب[2].

وعن حنان عن عقبة بن بشير الأسدي قال: قلت لأبي

(١) الكافي ج٢ ص٣٢٨ باب الفخر والكبر، الحديث١.

(٢) المصدر الحديث٢.

جعفر عليه السلام: أنا عقبة بن بشير الأسدي وأنا في الحسب الضخم من قومي، قال: فقال: ما تَمُنّ علينا بحسبك؟ إن الله رفع بالإيمان من كان الناس يسمونه وضيعاً إذا كان مؤمناً ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً إذا كان كافراً فليس لأحد فضل إلا بالتقوى[1].

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنك عاشرهم في النار[2].

وعن داود بن فرقد عن أخيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام:يقول إن المتكبرين يجعلون في صور الذر، يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب[3].

وعن سليمان بن خالد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم يعبد الله بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلا حتى يجتمع فيه عشر خصال... إلى أن قال: والعاشرة ما العاشرة لا يرى أحداً إلا قال هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان فرجل هو خير منه وأتقى، وآخر هو شر منه وأدنى فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال: عسى خير لهذا باطن وشره ظاهر، وعسى أن يختم له بخير، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل زمانه[4].

وفي ما ناجى الله موسى:... يا موسى إن إبني آدم تواضعا في منزلة لينالا بها من فضلي ورحمتي فقرّبا قرباناً ولا أقبل إلا من

---

(١) المصدر الحديث ٣.

(٢) المصدر الحديث ٥.

(٣) المصدر ص ٣١١ باب الكبر الحديث ١١.

(٤) الخصال ص٤٣٣ باب العشرة الحديث ١٧.

المتقين، فكان من شأنهما ما قد علمت فكيف تثق بالصاحب بعد الأخ والوزير، يا موسى ضع الكبر ودع الفخر واذكر أنك ساكن القبر فليمنعك ذٰلك من الشهوات[1]... وفي الحديث إشارة إلى أن ملاك قبول العمل التقوى وهذا هو السبب في عدم تقبل قربان قابيل.

وعن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بالتواضع، ولا كرم إلا بالتقوى ولا عمل إلا بالنية ولا عبادة إلا بالتفقه، ألا وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله[2].

وقوله عليه السلام «**ألا وإن أبغض الناس... إلخ**» يعني أن أبغض الناس إلى الله تعالى من يدعي أنه مقتدٍ للإمام وأنه على سنته ولكنه لا يعمل بما كان يعمل به إمامه، والله العالم.

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال: «**يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله! فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالِم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم**»، ثم قال عليه السلام: «**بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل**»[3].

وفي الحديث إشارة إلى أن الحكمة تحتاج إلى أرضية صالحة لنباتها وليست إلا التواضع حصرياً[4] وإن كان الحصر إضافياً وليس حقيقياً بمعنى أن التواضع قبال التكبر يكون أرضيته حصرية لنمو

---

(١) الكافي ج٨ ص٤٦ الحديث ٨.

(٢) الكافي ج٨ ص٢٣٤ الحديث ٣١٢.

(٣) الكافي ج١ ص٣٧ باب صفة العلماء الحديث٦.

(٤) ويُستفاد هذا الحصر من تقديم الجار والمجرور (بالتواضع) على الفعل (تعمر).

ونشوء الحكمة والتكبر لا يصلح لنباتها ونموها، وأما بالقياس إلى الأمور الأخرى فإن الحكمة قد يكون لها أرضيات أخرى أيضاً كالصمت وكثرة التفكر و..، وبيّن المسيح عليه السلام هٰذا الأمر بتشبيه قال المولى صالح المازندراني: «**بيّن عليه السلام ذٰلك الحكم بالتمثيل تشبيهاً للمعقول بالمحسوس لزيادة الإيضاح والتقرير فقال: وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل، السهل نقيض الجبل يعني أن الأرض إذا كانت سهلة ليّنة تقبل نبات الزرع ونموّه وإذا كانت صلبة حجرية جبلية لا تقبله، كذلك القلب إذا كان سهلا ليّناً بالتواضع والرقة والشفقة يقبل نبات زرع الحكمة وإذا كان صلباً غليظاً بالتكبر والتفاخر والخشونة ونحوها لا يقبله**»[1] ثم يبين أن التواضع وإن كان من نتائج العلم والحمكة إلا أن نموّ الحكمة أيضاً ناتج عن التواضع فلا تنافي بين الأمرين.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً ابنه الامام الحسن عليه السلام: «**يا بني احفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن:أغنى الغنى العقل،وأكبر الفقر الحمق أوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق..**»[2] قال محمد عبده في شرح كون العجب أوحش من كل وحشة: من أعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له أنيس فهو في وحشة دائماً.[3] أقول: ويمكن أن يفسر كلامه عليه السلام بأن المعجب بنفسه هو الذي لا يأنس بأحد لأنه يرى نفسه أعلى من غيره فيقع ويبقى في وحشة.

وقال عليه السلام: عجب المرأ بنفسه أحد حساد عقله.[4] قال محمد

---

(١) شرح الكافي ج٢ ص٧٨.
(٢) نهج البلاغة الحكمة ٣٨ وراجع الحكمة١١٣أيضاً.
(٣) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج٤ ص١١.
(٤) نهج البلاغة الحكمة ٢١٢.

عبده: العجب حجاب بين العقل وعيوب النفس فإذا لم يدركها سقط بل أوغل فيها فيعود عليه بالنقص فكأن العجب حاسد يحول بين العقل ونعمة الكمال.[1] وقال ابن أبي حديد: الحاسد لا يزال مجتهداً في إظهار معايب المحسود وإخفاء محاسنه فلما كان عجب الانسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه، وكان يقال: من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه..[2]

ومن عظيم مساوئ العجب أنه يوجب توهم الإنسان بنفسه أنه فاق جميع العابدين بعبادته وهنا يأتي دور الفضل الإلهي على المؤمن الذي يواجه خطر العجب فيُلقي عليه النعاس في الليل مثلاً لينقذه من توجه هٰذا الخطر العظيم إليه فعن رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ:... «**وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وإبقاءً عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زارئ عليها ولو أخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذٰلك فيصّيره العجب إلى الفتنة بأعماله فيأتيه من ذٰلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتى يظن أنه فاق العابدين وجاز في عبادته حدّ التقصير فيتباعد مني عند ذٰلك وهو يظن أنه يقترب إلي، فلا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في**

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج٤ ص٤٩.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد ج١٩ ص٣٣.

جناتي ورفيع درجاتي العلى في جواري ولكن فبرحمتي فليثقوا وبفضلي فليفرحوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فإن رحمتي عند ذٰلك تداركهم، ومَنِّي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت».[1]

وعن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن موسى بن عمران لما كلمه الله تكليماً وأنزل التوراة وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفضيلاً لكل شيء وجعل آيته في يده وعصاه وفي الطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وغرق الله عزّ وجلّ فرعون وجنوده وعملت البشرية فيه حتى قال في نفسه: ما أرى أن الله خلق خلقاً أعلم مني، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل يا جبرئيل أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك، وقل له: إن عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتبعه وتعلم منه فهبط جبرئيل على موسى بما أمر الله به (بما أمره به ربه عزّ وجلّ) فعلم موسى أن ذٰلك لما حدثت به نفسه**»...[2]

إذا تبين ذٰلك وعرفنا أن الزهو بأي معنى من المعاني الثلاثة فُسّر، من الرذائل الأخلاقية المنافية لتهذيب النفس والسير نحو الكمال، اتّجه السؤال بأنه كيف عدّ إذن من خيار خصال المرأة ؟

الجواب: صحيح أن الزهو ـ سواء كان بمعنى الكبرأو الفخر أو العجب ـ من الرذائل الأخلاقية المانعة من التهذيب والوصول إلى الكمال إلا أن هناك حالات استثنائية تستوجب الزهو ويعدّ الكبر والفخر والعجب فيها من الفضائل الأخلاقية المساعدة على الكمال

---

(١) الكافي ج٢ص٦٠ـ٦١باب الرضا بالقضاء، الحديث٤.

(٢) تفسير نور الثقلين ج٣ص٢٨٠الحديث١٥٤،وبحار الأنوار ج١٣ص٢٨٦باب ١٠قصة موسى عليه السلام حين لقي الخضر، الحديث٤.

ونيل السعادة، والمُعينة على تطهيروتكليم الأخرين أحياناً وعلى قطع طمع الغير أخرى، ومن جملة تلك الحالات مايلي:

١- العزة والكبر على الكفار:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾[1] والأذلة والأعزة ـ كما قال العلامة الطبطبائي قدس سره ـ جمعا الذليل والعزيز وهما كنايتان عن خفضهم الجناح للمؤمنين تعظيماً لله الذي هو وليهم وهم أولياؤه، وعن ترفّعهم من الإعتناء بما عند الكافرين من العزة الكاذبة الذي لا يعبأ بأمرها الدين..[2] فليس للمؤمن ولا من شأنه التذلل والخضوع والتواضع للكافرين ـ لقوتهم أو ثروتهم أو..ـ ولا سيما المحاربين منهم فإن ذٰلك يستلزم جرأتهم على المسلمين وعلى التعدي عليهم وعلى حقوقهم وأموالهم وبلادهم وأعراضهم فإن التواضع والتذلل لهم يوجب تصورهم أن بالمؤمنين ضعفاً أوجب تواضعهم وتذللهم فيلزم على المؤمنين إلى جانب تواضعهم وخفضهم الجناح لسائر المؤمنين، أن يحافظوا على عزتهم الموهوبة لهم من قبل الله سبحانه وتعالى قبال الكافرين لئلا يطمعوا في الإعتداء عليهم، فالحفاظ على المسلمين وبلادهم وأعراضهم و.. يستدعي التعزز والتعاظم أمام الكافرين وعدم التواضع لهم، وقد يكون من هٰذا الباب ما فعلته زينب الكبرى سلام الله عليها حينما دخلت مع الأسرى

(١) سورة المائدة/ ٥٤.

(٢) راجع تفسير الميزان ج٥ ص٣٨٤.

والسبايا على عبيد الله بن زياد لعنهما الله تعالى حيث أنها جلست متنكرة قال حميد بن مسلم: «**لما دخل رهط الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد لعنهما الله أذن للناس إذناً عاماً وجيء بالرأس فوضع بين يديه وكانت زينب بنت علي عليها السلام لبست أردأ ثيابها وهي متنكرة فسأل عبيد الله عنها ثلاث مرات وهي لا تتكلم قيل له إنها زينب بنت علي بن أبي طالب فأقبل عليها وقال الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وطهرنا تطهيراً إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا، فقال: كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: ما رأيت إلا جميلاً، هٰؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج هبلتك أمك يا بن مرجانة فغضب ابن زياد...**»[1]

٢- التكبر على المتكبر:

التكبر في حد ذاته رذيلة أخلاقية ـ كما أسلفنا ـ إلا أنه إذا أخذ دورا تربويا فليس هو خارجا عن الرذائل الإخلاقية فحسب بل يُعد حينئذ فضيلة أخلاقية، توضيح ذلك: أن المؤمن كما يجب عليه إصلاح نفسه يلزمه العمل على هداية الآخرين وإصلاحهم وإخراجهم من الظلمات وانقاذهم من الذنوب والرذائل أيضاً، ومن الواضح أن المتكبر مبتلى برذيلة عظيمة قد تخرجه من الدين وتزجه في النار كما حدث ذٰلك في قصة إبليس حيث تكبر واستكبر وتمرد وتخلف عن أمر رب العالمين بالسجود لآدم عليه السلام ـ أو لأجله عليه السلام ـ ولهذا يجب على المؤمن إن تمكن من إنقاذ المتكبر

(١) راجع مثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٧٠ـ٧١.

من رذيلته هٰـذه أن يفعل ذٰلك بمختلف الأسـاليب فإذا لـم يبق أمامه طريق لإخراج هٰـذه الرذيلة من قلبـه إلا التكبر عليه لتحسيسـه مدى قبح التكبر علـى الآخريـن، وترغيبه فـي تركها والإنقـلاع عنها، كان من الضـروري أن يتكبر عليـه لإنقاذه منهـا فإن المؤمن ولـي المؤمن يعمـل علـى هدايتـه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]، قـال المرحـوم النراقـي فـي جامـع السـعادات: «**ثم ينبغي ألا يتواضع للمتكبرين إذ الإنكسار والتذلل لمن يتكبر ويتعزز مع كونه من التخاسس والمذلة المذمومة يوجب إضلال هٰذا المتكبر وتقريره على تكبره وإذا لم يتواضع له الناس وتكبروا عليه ربما تنبّه وترك التكبر إذ المتكبر لا يرضى بتحمل المذلة والإهانة من الناس ولذا قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذٰلك لهم مذلة وصغار»**»[2] وقد اشـتهر أن التكبر علـى المتكبر عبـادة أو صدقة أو حسـنة وذلك أن هٰذا التكبر قد يؤدي إلـى هداية المتكبر وهو مـن أفضل العبادات ولا صدقة ولا إحسـان أفضـل للمتكبـر ـ وللضال عامةً ـ مـن هدايته كما لا عبادة ولا صدقة ولا إحسـان للهادي من هدايتـه الآخرين فعن أبي عبـد الله عليه السلام قال: قـال أمير المؤمنيـن صلوات الله عليـه: «**بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه وأيم الله لإن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي**»[3].

(١) سورة التوبة/٧١.

(٢) جامع السعادات ج١ ص٣١٥.

(٣) الكافي ج٥ ص٢٨ باب وصية رسول الله عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا، الحديث٤. (قوله: «ولك ولاؤه»: أي أنت ترثه بولاء الإمامة ـــ هامش الكافي عن مرآة العقول)

ج- تكبر الفقير:

ومن جملة الحالات الإستثنائية هو تكبر الفقير على الغني لإظهار أنه متوكل على الله الكريم لا على الغني المحتاج نفسه إلى الله فيربي بذلك نفسه على التعفف عما في أيدي الناس ـ إن لم يكن قد وصل إلى درجة من الكمال تجعله متوكلاً على الله تعالى فحسب ـ كما يربي الغني بإظهار غناه عنه لئلا يقع ـ ذٰلك الغني ـ في معرض التبختر والتكبر وكيْلا يتصور أنه قد أصبح عزيزاً بماله وثروته عزة حقيقةً وأن الناس أذلاء أمامه لمجرد غناه المادي وثروته المالية، ولهذا يأخذ التكبر هنا دوراً تربوياً يربي الغني والفقير كليهما، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله**»[1] والتيه: التكبر والأنفة، وقال صلوات الله عليه: «... **ومن أتى غنياً فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه**»[2]، قال محمد عبده في شرح هٰذه الحكمة: (لأن استعظام المال ضعف في اليقين بالله، والخضوع أداء عمل لغير الله فلم يبق إلا الإقرار باللسان)[3] وذلك أنه قد ورد في خيارنا أن: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، فإذا ذهبت المعرفة وزال العمل فقد ذهب الثلثان ولم يبق إلا ثلث واحد وهو الإقرار باللسان فقط.

---

(١) نهج البلاغة الحكمة ٤٠٦.

(٢) المصدر الحكمة ٢٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ج٤ ص٥٠ـ٥١

د- زهو وتكبر المرأة:

وهو أيضاً من جملة موارد حُسن الزهو والتكبر، وذلك أن المرأة ذات طبيعة جذابة باعثة على إنجذاب الرجال إليها، وتزّينها بالزينة يضيف إلى جاذبيتها الطبيعة جذبة وجذابية أخرى، فالجمال الطبيعي والمصطنع بالتزين وكذا طريقة تكلمها وأسلوبها في إبراز وإعمال عواطفها، عوامل مهمة في جذب الآخرين وانجذابهم إليها، وقد وضعت هٰذه العوامل الجذابة فيها وفقاً للحكمة تكويناً وتشريعاً وللإمتحان الإلهي.

فالوظيفة الملقاة على عاتق المرأة ـ كالرجل ـ هي العمل على الفوز والنجاح في الإمتحان الإلهي في هٰذه الدنيا، فهي ممتحنة من قبل الله تعالى بجمالها وجاذبيتها وحبها للزينة وعواطفها ونعومتها جسماً وكلاماً ووضع لها تكاليف منسجمة مع هٰذه الإمور ومن جملتها وجوب المحافظة على نفسها وعرضها عن أطماع ذوي الأهواء النفسانية من الرجال كما تحافظ بذلك على المؤمنين عن الإنحراف الأخلاقي والإنجراف نحو الأهواء، وقد جعل لها آليات متعددة لتحقيق هٰذا الهدف السامي ـ المحافظة على نفسها وعلى المجتمع من الإنحرافات ـ كالحجاب وعدم الخضوع بالقول وغض البصر وعدم إبداء الزينة لغير المحارم و... وقد ذكرت هٰذه الآليات في آيات قرآنية متعددة وهي كالتالي:

١) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾[1]

(١) سورة الأحزاب/ ٥٩

٢) وقال عز من قائل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[1]

٣) وقال سبحانة وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾[2] والخطاب وإن كان موجّهاً إلى نساء النبي ﷺ إلا أن الحكم عام لجميع النساء المؤمنات والسبب في توجيه الخطاب إلى نسائه ﷺ أمور متعددة ومن جملتها:

١) خصوصية بيت النبي ﷺ الذي يجب أن يكون قدوة وأسوة للمؤمنين والمؤمنات فيلزم على أصحابه العمل ومراعات الأحكام الشرعية أكثر من أصحاب سائر البيوت.

٢) أخذ سائر الناس من المؤمنين والمؤمنات حيطتهم وحذرهم فإن الله تعالى لا يرضى بالتخلف عن أحكامه وشريعته حتى من البيت النبوي ﷺ فكيف بغيره.. ولهذا لم يُستثن حتى النبي ﷺ نفسه عن العمل بأحكام الشريعة وقد قال الله تعالى عن هٰذا لأمر: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[3] وقال

---

(١) سورة النور/٣١.

(٢) سورة الأحزاب/٣٢.

(٣) سورة الحاقة/ ٤٤ـ٤٦.

عز من قائل: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾[1].

ومن جملة الآليات التي يمكن للمرأة أن تتوسل بها للمحافظة على نفسها هو الزهو والتكبر المذكور في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث أنها تتمكن بذلك من أن تحافظ على نفسها أخلاقياً كما أشار أمير المؤمنين عليه السلام نفسه في هٰذه الحكمة إلى حكمة كون الزهو من خيار خصال النساء حيث قال: «**فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكّن من نفسها**» وفي لفظ التحفة السنية: «**وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تتكلم كل أحد بكلام ليّن مريب**» فمع أن الكبر والزهو رذيلة أخلاقية ولكن إنما يكون كذلك فيما أوجب البعد عن الله تعالى ومنع السير نحو الكمال وحال دون إزالة العيوب والنقائص وسدّ الباب والطريق أمام تهذيب النفس و.. وأما إذا أصبح سبباً وآلية للمحافظة على النفس والعرض من شر الأشرار ولمراعاة الأحكام الإلهية سبحانه وتعالى لم يكن من ذمائم الخصال ورذائل الأخلاق بل كان فضيلة أخلاقية ولا يختص ذٰلك بالنساء فإن التكبر على المتكبر مثلاً _ وكما سبق_ له أثر تربوي فردي وإجتماعي ولهذا يعدّ فضيلة أخلاقية سواء كان من قبل الرجل أو المرأة، ولكن خصوصية المورد في المحافظة على النفس والعرض في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أوجبت أن يكون هٰذا الوصف كمالاً وفضيلة للمرأة ومن خيار خصالها لأن المرأة بزهوها:

١. تحافظ على عفافها.

٢. وتحافظ على الرجال من الإبتلاء بها وبخضوعها وجمالها.

٣. وتحافظ على المجتمع من انتشار الفاحشة التي تحمل آثاراً سيئة عظيمة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة كما سنشير إلى

(١) سورة الأنعام/ ١٥.

بعضها في الأبحاث القادمة إن شاء الله تعالى.

وإذا كان كذلك لم يكن زهوها رذيلة بل هو من الفضائل بل من خيارها ولهذا يلزم على المرأة أن تترفع وترى نفسها فوق أن تعصي الله تعالى لأمور تافهة وتعرف أن شأنها أعلى وأرقى من أن تجعل نفسها عُرضة لأنظار وأطماع الأجانب الذين يتربصون بالنساء وينتهزون الفرص للإسائة إليهن، وتقول لهم ما قالت تلك المرأة التي أغارها زوجها فقالت: (أنت أحقر من أن أعصي الله فيك).

وبذلك يتبين أن زهو النساء لا لأجل الإستعلاء ومشاهدة النفس أعلى من الآخرين وتصور العظمة لها على الغير بل لأجل الترفع عن عصيان الله وعن العصاة المتربصين بهن، أمر حسن مستحسن بل من خيار الخصال لهن.

٣- الجبن:

وهو ثالث الخصال التي تتفاوت فيها المرأة عن الرجل فيعتبر من خيار خصالها وشرار خصاله وقد أشار إليه وإلى حكمته أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمة السابقة فقال: «**خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل... وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها**».

وقبل بيان التفاوت المذكور وحكمته علينا أن نعرف معنى الجبن فنقول:

الجبن هو الخروج عن العدل وعن حدّ الإعتدال في القوة الغضبية إلى التفريط فيها قبال التهور الذي هو الخروج عنه إلى الإفراط، والعدل والإعتدال في هٰذه القوة هو الشجاعة التي تعد

فضيلة أخلاقية قبال جانبي الإفراط ـ التهور ـ والتفريط ـ الجبن ـ فالتهور على ما في جامع السعادات هو: الإقدام على ما لا ينبغي والخوض في ما يمنعه العقل والشرع من المهالك والمخاوف، ولا ريب في أنه من المهلكات في الدنيا والآخرة ويدل على ذٰلك كل ما ورد في وجوب محافظة النفس والمنع من إلقائها في المهالك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1].[2] ثم يتطرق المولى محمد مهدي النراقي قدس سره إلى بيان كون المتهور غير خال من شائبة الجنون وأنه لا يستحق العقل وأحياناً يقتل نفسه لتهوره فيكون قاتل نفسه بحكم الشريعة وهو موجب للهلاكة الأبدية والشقاوة السرمدية.. ثم يقول عن الجبن: وهو سكون النفس عن الحركة إلى الإنتقام أو غيره مع كونها أولى، والغضب افراط في تلك الحركة، فله (اي الجبن) ضدية للغضب باعتبار وللتهور باعتبار آخر، وعلى الإعتبارين هو في طرف التفريط من المهلكات العظيمة ويلزمه من الأعراض الذميمة: مهانة النفس والذلة وسوء العيش وطمع الناس في ما يملكه وقلة ثباته في الأمور والكسل وحب الراحة وهو يوجب الحرمان عن السعادات بأسرها، وتمكين الظالمين من الظلم عليه وتحمله للفضائح في نفسه وأهله واستماع القبائح من الشتم والقذف، وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار وتعطيل مقاصدة ومهماته ولذلك ورد في ذمه من الشريعة ما ورد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لالا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا ولا جباناً**» وقال صلى الله عليه وآله: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل**

(١) سورة البقرة/ ١٩٥.

(٢) جامع السعادات ج١ ص١٩٢

وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر»[1] ثم يتطرق إلى الشجاعة وأنها هي طاعة قوة الغضب للعاقلة في الإقدام على الأمور الهائلة وعدم اضطراب تلك القوة فيما يقتضيه رأي العاقلة، ولا ريب في أنها أشرف الملكات النفسية وأفضل الصفات الكمالية، والفاقد لها بريء عن الفحلية والرجولة وهو بالحقيقة من النسوان دون الرجال وقد وصف الله خيار الصحابة بها في قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾[2] وأمر نبيه بها بقوله: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[3] إذ الشدة والغلظة من لوازمها وآثارها، والأخبار مصرحة باتصاف المؤمن بها، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المؤمن: «**نفسه أصلب من الصلد**» وقال الصادق عليه السلام: «**المؤمن أصلب من الجبل، إذ الجبل يستقل منه والمؤمن لا يستقل من دينه**»[4]

وفي كلامه قدس سره ما يُشير إلى أن الجبن ليس من الرذائل الأخلاقية للنساء حيث قال: (هو بالحقيقة من النسوان) فبين أن الشجاعة ليست من خصال النساء كما سنبين ذٰلك بعون المعبود تعالى.

فتبين أن الجبن من الرذائل الأخلاقية المخرجة للإنسان عن الوسطية والإعتدال في القوة الغضبية فقد ورد في ذمة الكثير كما شدد علماء الأخلاق على ضرورة إزالته واجتثاث جذوره من القلب بتكرار الورود في الشدائد والمهاول التي تزلزل القلوب وتقلقل الأحشاء حيث أنه كلما ورد في مورد منها وشاهد أنه كان يمكنه الورود فيه وأدرك لذة الإقدام وشناعة الفرار والتحذر، انتقشت نفسه

---

(١) المصدر

(٢) سورة الفتح/ ٢٩.

(٣) سورة التوبة/٧٣.

(٤) المصدر

بذلك انتقاشاً بعد انتقاش حتى تثبت فيها ملكة الشجاعة[1].. فالسؤال هو: لماذا لا يُعد الجبن رذيلةً للنساء بل هو فضيلة ومن خيار الخصال لهن مع أنه رذيلة أخلاقية للرجل؟ وبعبارة أخرى إذا كان الرجال والنساء سواسية في الإنسانية والفطرة وحقيقة الروح فكيف يكون وصف واحد فضيلة لأحد القبيلين ورذيلة للآخر؟

قد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام على هٰذا السؤال في الحكمة نفسها حيث قال سلام الله عليه: «**وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها**» فقد ثبت في الشرع المقدس ـ كما سبقت الإشارة إليه في بيان صفة الزهو وسيأتي في مبحث الحجاب أيضا إن شاء الله تعالى ـ أن المطلوب في المرأة العفاف والتستر عن الأجانب لا لأجل التضييق عليها بل لأجل المحافظة عليها حيث أن القوة الجاذبة فيها قوية جدا إذ أن صوتها وجسمها وطريقة تكلمها واسلوبها في الكلام و.. كل ذٰلك مثير ومؤثر في إنجذاب الرجال إليها، وشجاعتها موجبة لتعرضها لما ينافي عفافها وسترها فتخرج إلى المخاطر والمهاول ولمجابهة الرجال وهذا ما يعرضها للخطر العظيم جسما وعرضا... ففي شجاعتها وعدم خوفها من المهاول والمخاطر مفاسد متعددة:

١) تعريضها لنفسها للمخاطر الجسمانية حيث أنها ـ في الأعم الأغلب ـ لم تخلق قوية الجسم قادرة على العراك بل هي «**ريحانة وليست بقهرمانة**».

٢) خروجها عن الستر والحجاب والعفاف المطلوب منها شرعا.

٣) تعرضها للمفاسد الأخلاقية و.

نعم المطلوب من المرأة ـ كالرجل ـ الصلابة والشجاعة في

(١) راجع الميزان في تفسير القران ج١ ص٣٥٥.

المحافظة على دينها ومعتقداتها وعفافها وأما الشجاعة الموجبة للخروج إلى المهاول ولمبارزة الرجال فهي خارجة عن مقتضى طبيعتها وجسمها وظرافة روحها وموضوعه عنها تكليفاً، ولهذا تختلف المرأة عن الرجل حتى في الجهاد مع أنها تشاركه في الجهاد الأكبر وهو مبارزة النفس الأمارة وتهذيبها بترك الذنوب والتمرين على طاعة رب العالمين وتصفية القلب من الرذائل والظلمات القلبية، ففي هٰذا الجهاد لا فرق بين الرجل والمرأة فإن النفس الأمارة الموجودة في الرجل موجودة في المرأة أيضا وكما أن الرجل محتاج إلى تهذيب النفس والوصول إلى القرب المعنوي إلى الله تعالى «**إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنه يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق**»[1]، كذلك المرأة أيضًا محتاجة إلى كل ذٰلك فهي تحتاج إلى ترويض وتهذيب النفس لأن مخاوف وأهوال القيامة ومزالق الصراط لا تختص بالرجال كما أن الكمال والقرب إلى الله تعالى ليس مختصًا به، وآليات تهذيب النفس والتكاليف الشرعية الموجبة لذلك القرب أيضًا لا يختلف الرجل فيها عن المرأة و.. على الرغم من كل ذٰلك إلا أن المرأة تختلف عن الرجل في مصداق الجهاد الأصغر فإذا كان جهاده الأصغر هو قتال الكفار والمنافقين والبروز لهم بالأسلحة والأعتدة و.. فإن جهادها هو حسن التبعل إلا إذا اقتضت الضرورة خروجها إلى ميادين القتال كالرجال فعليها أن تخرج للدفاع عن الدين وبلاد المسلمين وأعراضهم وأموالهم و.. وأما إذا لم تكن ضرورة لخروجها ـ وإن كانت هناك حرب قائمة بين المسلمين والكفار والمنافقين ـ فالجهاد الأصغر

(١) نهج البلاغة الكتاب رقم ٤٥ ـــ كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.

بالمقاتلة يكون موضوعًا عنها وتستبدل بجهاد آخر هو حسن التبعل وقد ورد عن النبي ﷺ أنه جاءه رجل فقال: «**إن لي زوجة إذا دخلت عليها تلقتني وإذا رأتني مهمومًا قالت: ما يهمك؟! إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل لك به غيرك وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همًا، فقال رسول الله ﷺ: إن لله عمالاً وهذه من عماله، لها نصف أجر الشهيد**»[1] وعن الصادق عليه السلام عن النبي ﷺ: «**خير نساءكم الطيبة الريح الطيبة الطعام التي إن أنفقت أنفقت بمعروف وإن أمسكت أمسكت بمعروف فتلك من عمال الله وعامل الله لا يخيب**»[2] فهذا العمل البسيط يعطيها نصف أجر الشهيد الذي قاتل ودخل المخاطر والمهاول وفدى بأنفس ما لديه وهو حياته، وتصبح بذلك من عمال الله تعالى فلا تخيب، فهذا جهادها وهو متناسب ومنسجم مع طبيعتها التكوينية وتكاليفها التشريعية، فالعمل وفق ذٰلك طاعة لله تعالى وطاعة الله سبحانه مقرب إليه وجل وهو الهدف الأساس والأصيل للبشرية وكافة المكلفين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ فيحصل لهم بذلك القرب العبودي إليه سبحانه.

فجبن المرأة يحافظ عليها من شر الأشرار لأنها بجبنها لا تخرج إلى ساحات القتال والمواضع التي تعرضها للخطر فتحفظ بذلك شرفها وكرامتها وعفافها وحياتها وهذا هو المطلوب منها شرعًا والموافق لطبيعتها خلافًا للرجل المطلوب منه شرعًا والموافق لطبيعته هو أن يكون في ميادين العمل وإذا اقتضى الأمر أن يجاهد

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٣٨٩ باب ما يستحب ويحمد من أخلاق النساء وصفاتهن، الحديث رقم ٤٣٦٩.

(٢) المصدر الحديث ٤٣٦٥ والكافي ج٥ ص٣٢٥ باب خير النساء.

في سبيل الله بماله ونفسه وأن يدافع عن شرفه ونواميسه ويحافظ عليها عن الأجانب الأشرار وهذا ما يتطلب منه أن يكون شجاعًا مقدامًا ولهذا يكون جبنه رذيلة أخلاقية ومنافيًا لطبيعته ووظائفه بل قد يؤدي إلى استسلامه لأعداء الدين وتسليم المؤمنين وبلادهم إليهم وعدم نصرة إمام المسلمين والفرار من الجهاد والزحف المحرم كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1] كما يؤدي به جبنه إلى معونة الظالمين المذموم في الروايات والمعدود من كبائر المحرمات المتفق على حرمتها عند الفقهاء لورود روايات كثيرة وصريحة بذلك كقول النبي الله ﷺ: «**من مشى إلى ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام**» وعنه صلوات الله وسلامه عليه وآله: «**إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة حتى من برى لهم قلمًا ولاق لهم دواة، قال فيجتمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في جهنم**» وقصة صفوان الجمال غنية عن الذكر والبيان بل قد ورد في بعض الروايات النهي عن معونتهم في بناء المسجد و..[2] فكل ذٰلك يتطلب شجاعة الرجل حين الحاجة إلى المحافظة على الدين والنواميس والأحكام الشرعية.. ولكن المرأة لكون المطلوب منها شيئًا آخر وأسلوبًا وطريقة أخرى للمحافظة على نفسها ووظائفها وعفافها، ولا تبتلى ولا تتعرض لأجل جبنها لمعونة الظالمين و.. في الأغلب لهذا يكون الجبن لها حسنًا

(١) سورة الأنفال/ ١٥ـ١٦.

(٢) راجع الوسائل طبعة الاسلامية ج١٢ ص١٢٧ باب تحريم معونة الظالمين.

مستحسـنًا ومن خيار خصالها لأنه مـن آليات المحافظة على نفسـها كما سبق.

٤- البخل:

ومن جملـة الصفـات التـي تفتـرق المـرأة فيهـا عـن الرجل هي خصلة البخل فهـي فضيلة للمرأة ومـن خيار خصالهـا خلافاً للرجل حيث أن الكرم والجود والسخاء له فضيلة ومن خيار خصاله.

ولكي نعرف السـبب في هٰذا الفرق والتفاوت يلـزم الالتفات إلى عدة نقاط هي:

١. مفهـوم البخـل أخلاقيًا هـو الخروج عـن العـدل والاعتدال في الانفاقات إلى جانب التفريط، كما أن الإسـراف والتبذير في الإنفاقات أيضًا خروج عن العدل والاعتـدال ولكن إلى جانب الإفـراط، والعدل هو السخاء والجود.

٢. السبب في البخل هو حب الدنيا كما أن الجود والسخاء ناشئ عن عدم التعلق القلبـي بها وممارسـة الإنفقات يزيل حـب الدنيا من القلـب ويوجب حصـول ملكة السـخاء فيـه تدريجًـا والعكـس أيضًا صحيـح بمعنـى أن الامتنـاع مـن الانفاق فـي سـبيل الله مـن بداية ما يحصل الانسـان على أموال بعمله وتجارته و.. يرسـخ حب الدنيا في القلب وهو موجب للبخل والامتناع عـن أداء الواجبات المالية فكيف بالمسـتحبات مـن الإنفاقـات وقـد ينجـرّ ذٰلـك إلـى الإعتـراض على أحكام الله تعالى في الواجبـات الماليةكالخمس والزكاة وغيرها ويرتد بذلك عن الدين و.

ومن جانب آخر: السـخاء والجود من صفـات الله تعالى وأخلاقه

سبحانه وقد أمرنا بالتخلق بأخلاقه ﷻ حيث قيل: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[1] ومن المعلوم أن التخلق بأخلاقه ﷻ محبوب له فيوجب القرب والتقرب إليه، وأما البخل فهو سبحانه منزه عنه وقد ذمه في كلامه كما ستأتي الإشارة إلى نصوصه فلا محالة يكون مبغوضًا له تعالى فيوجب البعد عنه ﷻ.

وبذلك يتبين لنا معنى ما ورد من أن السخي قريب من الله ومن الجنة وبعيد من النار وأن البخيل بعيد عن الله وعن الجنة وقريب من النار وغير ذٰلك على ما سيأتي قريبًا، وإليكم بعض النصوص الشرعية في مدح الجود والسخاء وذم البخل:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾[4].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾[5].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**البخيل لا يدخل الجنة**» وقال: «**البخيل**

---

(١) راجع شرح أصول الكافي للمولى صالح المازندراني ج٩ ص٣٧٢

(٢) سورة الإسراء/٢٩

(٣) سورة الفرقان/٦٧

(٤) سورة النساء/٣٧

(٥) سورة آل عمران/١٨٠

بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل وأدوى الداء البخل»[1].

بيان: البخل نقض لغرض المولى سبحانه في الخلق لأنه ناتج عن التعلق القلبي بالدنيا والمولى ﷻ قد خلقنا للتقرب إليه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾..كما أن للبخل آثارا سلبية اجتماعية أيضاً، ولهذا يعد رذيلة وسببًا للبعد عن الله تعالى وعن الجنة وكذا عن الناس كما هو واضح.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في بعض حكمه: «**البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء**»[2].

بيان: قوله عليه السلام: «**وهو زمام يقاد به إلى كل سوء**» لأن سبب البخل ـ وكما سبق ـ حب الدنيا وحب الدنيا ـ على ما ورد في الأخبار ويؤيده الاعتبار ـ رأس كل خطيئة ومن جملتها الخطايا والذنوب في مجال الواجبات المالية، كما أن حبها يوجب تحصيل المال والثروات بأي شكل حلالاً كان أم حرامًا فيقع البخيل المحب للدنيا في كبيرة أكل أموال الناس بالباطل ويقسو قلبه لأن المحب للدنيا يمتنع من الانفاق على المحتاجين ولا يتأثر بالحالات العاطفية الحقيقية المستدعية للانفاق وإنقاذ ذوي الحاجات و.. وإذا تأثر قلبيًا يجد أمامه مانعًا قويًا عن الانفاق وهو البخل ويقسو قلبه شيئًا فشيئًا وأي سوء أسوأ من قسوة القلب وقد قيل أن النظر إلى البخيل يوجب تصور البخل وإذا كثر تصوره وازداد انتقاش صورته في الذهن تحولت الصورة شيئًا فشيئًا إلى صفة وملكة نفسانية فيبخل لأجل

(١) راجع جامع السعادات ج٢ ص٨٥
(٢) نهج البلاغة الحكمة ٣٧٨

ذٰلك فيقسو القلب.. مضافًا إلى أن البخل الناتج عن حب الدنيا يتبدل إلى عذاب بعد الخروج من الدنيا حيث أنه يموت ويفارق محبوبه مع بقاء الحب وهو من أشد ما يعذب به المحب ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[1] وبهذا يتبين لنا جانب من معنى قوله عليه السلام: «**وهو زمام يقاد به إلى كل سوء**» وعنه عليه السلام: «... **وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح**»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: «**ما محق الاسلام محق الشح شيء، ثم قال: إن لهذا الشح دبيبًا كدبيب النمل وشعبًا كشعب الشرك ـ وفي نسخة كشعب الشوك ـ**»[3].

بيان: قوله صلى الله عليه وآله: «**ما محق الاسلام محق الشح شيء**»: قد يكون ذٰلك في البعد الفردي وقد يكون في البعد الفردي والاجتماعي معاً وذلك أن البخيل الشحيح لحبه المفرط للدنيا لا يتمكن من تقبل الأحكام المالية في الدين الإلهي عملاً وذلك سبب لزوال الإيمان من قلبه، فإذا أنكرها واعترض عليها أيضًا خرج ربقة الإسلام وأصبح مرتدًا وجرى عليه أحكام الارتداد والكفر فيصبح البخل والشح سبباً لزوال الإيمان أحياناً وأصل الإسلام أخرى، فهذا محق لدين البخيل وسببه بخله وشحه.

هذا في البعد الفردي، وأما في البعد الفردي والاجتماعي فقد قيل في تفسير الحديث أن الشحيح والبخيل في الأموال شحيح في نفسه بطريق أولى فإذا اقتضى الأمر الدفاع عن الدين بالأنفس (أو بالأنفس والأموال) امتنع عن ذٰلك وإذا ساد هٰذا الأمر في المجتمع

---

(١) سورة سبأ/ ٥٤

(٢) الكافي ج٤ ص٤٤ باب البخل والشح، الحديث١

(٣) الكافي ج٤ ص٤٥ باب البخل والشح، الحديث٥، والشرك محركة: حبائل الصيد

زال الإسلام.

هذا كله في ذم البخل، وأما الجود والسخاء فهناك روايات كثيرة تمدحه وتعده من أخلاق الأنبياء وإليكم بعضها:

عن النبي ﷺ: «**السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها إلى الأرض فمن أخذ منها غصنًا قاده ذٰلك الغصن إلى الجنة**» وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة**» وقال ﷺ: «**إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار**» وقال ﷺ: «**الجنة دار الأسخياء**»[1].

وهناك آيات وروايات تدل على أن الإنفاق في سبيل الله تعالى لا ينقص الأموال بل يزيدها كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[3] وكقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**استنزلوا الرزق بالصدق**»[4] وقوله ﷺ: «**من أيقن بالخلف جاد بالعطية**»[5] وقول الصادق عليه السلام لمحمد ابنه: «**يا بني كم فضل معك من تلك النفقة؟ قال: أربعون دينارًا، قال: اخرج فتصدق بها، قال: إنه لم يبق معي غيرها، قال: تصدق بها لإن الله ﷻ يخلفها، أما علمت أن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الرزق الصدقة فتصدق بها، ففعل فما لبث أبو عبد الله عليه السلام عشرة أيام حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار**

---

(١) راجع جامع السعادات ج٢ ص٨٧ وما بعدها

(٢) سورة سبأ/٣٩

(٣) سورة البقرة/٢٧٦

(٤) نهج البلاغة الحكمة ١٣٧

(٥) المصدر: الحكمة ١٣٨

فقال: يا بني أعطينا لله أربعين ديناراً فأعطانا الله أربعة آلاف دينار»[1].

وغير ذٰلك من الروايات المادحة للجود والإنفاق في سبيل الله تعالى والمبينة لبركاته، وجاء في بعضها أن الصدقة تزيد في العمر و.

فالجود والكرم والإحسان إلى الآخرين من جملة أفضل الفضائل الأخلاقية ولها آثار إيجابية عظيمة كإزالة حب الدنيا ـ الذي هو رأس كل خطيئة ـ وترفـّع الإنسان عن حطام الدنيا الفانية وتوجهه إلى حقيقة سعادته وشرفه وكرامته المرتبطة بالبعد الأشرف بل الإساسي من وجوده وهو الروح و.. إلا أن هٰذه الخصلة أمر حسن شرعاً وعقلاً مع رعاية معيار الحسن والقبح في السخاء والبخل وهذا ما نريد الإشارة إليه في النقطة التالية وهي:

٣. الملاك والمعيار في حسن السخاء هو:

١ـ أن يراعى فيه الإعتدال والوسطية فإن الإنفاقات مثلاً قد جعلت لسد الخلات وملأ الثغرات ورفع الفقر والحاجات المادية والمعنوية والثقافية، فيلزم أن لا يكون هٰذا الإنفاق سبباً لتحول المنفق نفسه إلى فقير، والسخي الجواد إلى محتاج يحتاج إلى جود وسخاء الآخرين وإنفاقهم عليه فيمد يد الإستعانة إلى غيره بعدما كان يمد يد العون لهم، فالعدل في الإنفاق (الجود) هو القاعدة الأولية نعم قد تستدعي الضرورة أحياناً إنفاق كل ما يملكه الإنسان من أموال أو أكثره كما يروي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنه كان يقسم أمواله بينه وبين الفقراء أحيانا وينفق جميع أمواله عليهم أخرى، ولكن هٰذا إستثناء وفي حالات إضطرارية ـ وإن كان من الممكن أن يكون لعمل المعصوم عليه السلام حِكم أخرى لا نعرفها ـ

(١) الكافي ج٤ ص ٩ـ١٠ باب في أن الصدقة تزيد المال الحديث ٣.

وأما في الحالات الطبيعية العادية فالقاعدة هي الوسطية والعدل كما دلت عليه الأدلة الشرعية ولا ينافي ذٰلك ما ذكرناه سابقاً على لسان الروايات أن الإنفاق والصدقة يوجب كثرة المال وذلك لآن الإعتدال فيه أمر شرعي وإيجابه كثرة المال أيضاً قد دل عليه الدليل الشرعي فالآيات والرويات التي تدل على أن الصدقة تكثر المال لا تقول اخرج عن حد الإعتدال والوسطية بل تقول أن أصل التصدق على الفقراء والمحتاجين موجب لذلك ثم تأتي آيات وروايات وتقول: ليكن تصدقك في حد العدل غير خارج عن ذٰلك لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط، ولهذا يمكن أن نقول أن الإنفاق الزائد والخارج عن حد الإعتدال والموجب لفقر المنفق نفسه ناقض لغرض وحكمة تشريع الإنفاقات فلا يعد ذٰلك جوداً وكرماً وسخاءاً ممدوحاً وإنفاقاً مرغّباً إليه شرعاً وعقلاً وفضيلةً أخلاقية يستحسنها الشرع والعقل، ولهذ نجد أن الخمس مع أنه يتعلق بالأرباح بمجرد ظهورها ولكن الشارع المقدس قد أجّل تسديده إلى نهاية الحول كي يأخذ المكلف جميع ما يحتاجه لمؤونته نفسه وعياله لتلك السنة ثم يخرج خمس الباقي من تلك الأرباح لئلا يقصر الباقي عن حاجاته نفسه وعياله فيحتاج إلى معونة الآخرين والأخذ من الأموال العامة ومن بيت المال.. فالإنفاق يلزم أن لا يكون سبباً لحدوث فقر جديد ولهذا نجد أن الذي يرغّب فيه الشرع ويستحسنه العقل والعقلاء هو الإنفاق الوسط والعدل وهو الذي يترتب عليه الآثار المعنوية والمادية المشار إليها فيما سبق.

٢ـ أن يكون الإنفاق والسخاء متعلقين بأموال المنفق السخي نفسه فالإنفاق والجود الذي يعد فضلاً وفضيلة أخلاقية وأمراً

راجحاً ـ وجوباً أو إستحباباً ـ شرعاً وعقلاً هو الإنفاق مما يملكه المكلف نفسه لا الإنفاق من أموال الغير والجود في ممتلكات الآخرين حيث أن الشرع والعقل لا يستحسنان بل يستقبحان تصرف الإنسان في أموال غيره بغير رضاه فكيف بإنفاقها وإتلافها وقد ورد عن النبي ﷺ: «**من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من إئتمنه عليها فإنه لا يحل دم إمرء مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفس منه**»[1] فالإنفاق والجود بأموال الآخرين من غير رضاهم ليس مما لم يمدح ولم يرغَّب فيه شرعاً وعقلاً فحسب بل هو مذموم أخلاقاً ومحرم شرعاً وقبيح عقلاً وممنوع في جميع الأعراف والقوانين، وقد روي عن الإمام الحسن العسكري عن آبائه عن الصادق عليه السلام في حديث طويل أنه قال: «**إن من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظّمه وتصفه فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني، فرأيته قد أحدق به خلق كثير من غثاء العامة فما زال يراوغهم حتى فارقهم ولم يقر فتبعته فلم يلبث أن مرّ بخباز فتغفّله وأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم مرّ بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفّله وأخذ من عنده رمانتين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم أقول: ما حاجته إذاً إلى المسارقة؟ ثم لم أزل أتبعه حتى مرّ بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه، ثم ذكر أنه عليه السلام سأله عن فعله، فقال: لعلك جعفر بن محمد؟ قلت: بلى، فقال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك فقلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ وإني لما**

(١) وسائل الشيعة طبعة الإسلامية ج٣ ص٤٢٤ باب حكم ما لو طابت نفس المالك بالصلاة في ثوبه أو على فراشه أو في أرضه الحديث١.

سرقت الرغيفين كانت سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه أربع سيئات فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي أربعون حسنة، فانتقص من أربعين حسنة اربع سيئات وبقي ست وثلاثون حسنة، فقلت له: ثكلتك أمك أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين ولما سرقت رمانتين كانت أيضاً سيئتين ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت قد أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم (تضف) أربعين حسنة إلى أربع سيئات، فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته، قال الصادق عليه السلام: بمثل هٰذا التأويل القبيح المستكره يَضِلّون ويُضِلّون»[1].

٤. تطبيق النقاط المذكورة على ما نحن فيه:

بما ذكرناه من النقاط الثلاث السابقة يمكن الإجابة على السؤال التالي: لماذا افترقت النساء عن الرجال في خصله الجود والسخاء الذي هو من خيار الخصال الأخلاقية فأصبح من شرار خصال النساء مع وجود هٰذا الكم الهائل من الآيات والروايات في فضل ومدح الجود والسخاء والإنفاق في سبيل الله وذم البخل والبخيل؟

فالجواب هو أن الأموال التي بحيازة المرأة إما أنها ملك لها أو لغيرها كزوجها، فإن كانت ملكا لها جاز لها أن تنفق منها بل كان ذٰلك منها جودا وكرما وسخاءً ممدوحاً وفضيلة أخلاقية ولا تختلف في ذٰلك عن الرجل قيد أنملة، ولكن يلزم أن يكون الإنفاق في حد الإعتدال ـ كما سبق ـ فيلزم أن لا يُحدث الإنفاق فقراً جديداً وهنا يتحقق الفارق بين الرجل والمرأة، فالمرأة ـ وكما مر وتكرر منا

(١) وسائل الشيعة طبعة الإسلامية ج٦ باب استحباب الصدقة بأطيب المال وأهله.. الحديث٦، والحديث بتمامه موجود في معاني الأخبار ص٣٣ باب معاني الصراط الحديث٤.

ذلـك- عاطفية يتغلـب عليهـا عواطفها واحساسـاتها فـإذا وقعت في ظروف عاطفيـة شـديدة أو تلاعب بعواطفهـا أحد المحتاليـن احتمل في حقها أن تبذل جميع أموالها ولا تبقي لنفسـها شـيئاً فتقعد ملومة محسـورة، أو تسـرف في بذلها وإنفاقها وهو منهي عنه في النصوص الشرعية وقد ذكرنا في النقاط السـابقة أن المطلوب هو الجود والكرم وهـو العـدل والوسـط بيـن طرفـي الإسـراف والإقتـار فـي الإنفاقـات فالإسـراف غير مطلوب حتى في الإنفاق وقد ذكرنـا أنه نقض لغرض وحكمة وضع وجعل الإنفاقات الواجبة والمستحبة، فيلزم التحكم في هٰـذه العواطف وإيجاد مانـع أمامها كـي لا تخرج المـرأة بها عن حد الإعتدال وهـذا ما يتأتـى من البخـل بمعنـى أن البخل وقـوة العاطفة يتزاحمان ويتجاذبان فتحـدث حالة التعادل فيهـا وبتعبير آخر: بخلها يحافظ علـى تعادلهـا في الإنفاقـات وتجعـل عواطفها تحت سـيطرة عقلانية ولهذا السـبب يكون البخل فيها من خيار خصالها مع أنه من شرار خصال الرجال.

وأمـا إذا لم تكـن الأمـوال التـي بحوزتها مـن أموالها الشـخصية بل كانت لغيرهـا كزوجها مثلاً كمـا هو الغالب لا سـيما في العصور المتقدمـة التي لـم تكن المـرأة فيها شـاغلة خـارج البيـت، فالجواب واضـح فإنهـا حينئـذ أمينـة علـى أموالـه والأمـوال أمانـة فـي يدهـا فلا يجـوز لهـا التصرف فيهـا بغير إذنـه ورضاه فـلا يعـد جودها في أمواله وإنفاقها لها بلا طيبة من نفسـه كرماً وفضـلاً وفضيلة أخلاقية لها لا شـرعا ولا عند العقلاء بل هـو تصرف في مال الغيـر بغير إذنه وقد سـبق في قصـة الإمـام الصـادق عليه السلام مع ذٰلـك الرجل الـذي كان يمدحه غثاء العامة أن هٰذا التصرف محرم مأثوم صاحبه لا أنه فضيلة

وحسنة توجب تقرب صاحبها إلى الله تعالى... فبخلها منقذها من هٰذا التصرف غير المشروع الذي قد يكون ناتجاً عن عواطفها.

الحجاب:

من جملة الإفتراقات والإختلافات بين الرجال والنساء.. ـ مضافاً إلى بعض الإختلافات الموجودة في الخصال الأخلاقية والصفات الروحانية ـ هو الإختلاف في بعض الأحكام الفقهية فهناك أحكام فقهية مختصة بالمرأة لا يشاركها الرجل لأجل خصوصياتها الجسمانية وحالاتها الطبيعية كأحكام الحيض والنفاس والإستحاضة والإرضاع والعدة وغيرها ـ وقد سبق أن بعضها قد يوجب نقص الإيمان بمعنى مقدار وكمية العمل الصالح ـ ومن جملة تلك الأحكام المختصة بالنساء هو وجوب الحجاب في حدود خاصة فالمرأة تشارك الرجل في أصل الحجاب ووجوب الستر إلا أنها تزيد عليه وتختص بستر وحجاب زائد على ما يجب على الرجل ستره، فعنصر الإثارة والجذب الموجود في المرأة هو الذي أوجب أن تختص بذلك الحجاب الزائد جسماً وصوتاً وزينةً كما سيأتي توضيح ذٰلك مختصراً عند استعراض آيات الحجاب والعفاف.

إن العفاف والمنع من انتشار الفواحش من لوازم المجتمع السعيد الذي يتمتع بالأمان في الأموال والأعراض والأنفس وذلك لأجل أن زوال الرحمة والعطف بين أفراد المجتمع وبين الآباء والأبناء وحدوث كثير من الجرائم ناتج من انتشار الزنا وولادة أولاد الزنا ـ كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع على علوم الإجتماع وعلى واقع المجتمعات البشرية وما يقع فيها من جرائم ـ ولهذا نجد أن

الديـن الإلهي الذي جاء لإسـعاد البشـرية وجميـع المكلفيـن قد حرّم الزنا وكل ما يسـهّل ارتكابه، وأوجب العفاف وكل ما يبعد المكلفين عن الفاحشـة، وهنـاك آيات وروايـات كثيـرة ناظرة إلى أحـد جوانب هذين الأمريـن والفتـاوى الفقهية أيضاً قـد جاءت وفقـاً لتلك الآيات والروايات لتصون المجتمع من الفسـاد وانتشار الفواحش فزوال الأمن والرحمة والعطـف واختلاط والميـاه واشـتباه الأولاد والمواريث وغير ذٰلك مما له دخل في تحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

وقبـل أن نتطرق إلـى النصوص الشـرعية فـي هٰذا المجـال علينا أن نشـير إلى أن وجوب الحجاب وسـائر الأحـكام المرتبطة بالعفاف صيانـةٌ وحراسـة للمـرأة والمجتمـع وليـس تحديـداً منافيـا للفطـرة الإنسـانية، فصحيـح أن الإنسـان بفطرتـه يحـب الحريـة فـي جميـع جوانـب حياتـه ولكنـه بفطرتـه أيضـاً يحـب الأمـان وينفر ويفـرّ من كل مـا يعرّضـه للخطـر فـي نفسـه أو عرضـه أو مالـه ولهـذا يتقبل بفطرته وبـكل رحابة صـدر جميـع القيـود والتحديدات التـي تضمن له أمنه وأمانـه، ولذا يمكـن القول: أن قبـول بعض القيود فـي الحياة أمـر فطري للإنسـان فيمـا إذا كان لتلـك القيـود مدخلية في سـعادته المتوقفة على عـدة عناصر ومن جملتهـا وأهمها الأمـان والحفظ من شـر الأشـرار في النفس والعرض والمـال، نعم من الممكـن أن يخطأ الإنسـان في تشـخيص الموضوع ومصداق القيود الدخيلة في سعادته فلا يتقبلهـا بحسـب فهمـه ولكنـه إذا أدرك خطـأه وعلـم وجداناً أو تعبداً[1] أن حكماً ما وتحديداً شـرعياً لبعض حرياتـه موجب لوصوله

(١) وجداناً : إذا وجد بنفسه في الواقع الخارجي آثار وبركات ذٰلك التحديد ، وتعبداً : إذا أخبر الله تعالى أو رسوله وأولياؤه صلوات الله عليهم أجمعين قبله المؤمن حيث يعلم أن الله تعالى ـــ وكذا

إلى سعادته وكماله فإنه سيقبله بفطرته ورحابة صدره، والدين أمر فطري ومنسجم مع الفطرة تماماً ـ بل يمكن أن نقول: أن الدين تفصيل للفطرة والأحكام الفطرية كما أن الفطر تشتمل على إجمال وعصارة أحكام الدين ـ فقد قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] حيث أشار إلى أن الدين أمر فطري والدين يعني قبول بعض التحديدات ولكنها لأجل كونها في سبيل السعادة لا تنافي الفطرة بل هي فطرية، والنتيجة أن قبول بعض القيود أمر فطري للإنسان، وبعبارة أخرى: صحيح أن الإنسان بفطرته يحب ويطلب الحرية ولكنه يحب ويطلب بفطرته الحرية المقيدة لا الطليقة عن جميع القيود فإن ذٰلك نقض للغرض لأن الحرية مطلوبة له لأنها دخيلة في سعادته ويجد أن سعادته يكمن في أمور كثيرة من جملتها الحرية فإذا كان إطلاقها عن جميع القيود منافيا لسعادته لم يكن ـ ذٰلك الإطلاق في الحرية ـ مطلوباً له قطعاً.

ومن جملة تلك التحديدات المقبولة فطرياً هو ما يحافظ على عفاف الإنسان وكرامته وعرضه ومن جملته الحجاب الجسمي والصوتي للمرأة وقد أشارت الآيات القرآنية والروايات ـ مضافاً إلى تشريع الحجاب وحكمه ـ إلى هٰذه الحكمة وأن الحجاب وكل ما هو دخيل في المحافظة عى العفاف إنما شرّع لأجل حراسة المرأة من شر الأشرار وصيانتها وصيانة المجتمع من الآثار السلبية

الأنبياء والأولياء عليهم السلام لأنهم يخبرون عنه تعالى ـ عالم بكل شيء وأنه خلق كل شيء ومنه الإنسان للرحمة والسعادة وشرع الشرائع أيضاً لأجل ذهلك فيعلم بذلك أن كل حكم وتحديد شرعي فله مصلحة ومدخلية في السعادة فيتقبله.. والتفصيل يتطلب مجالاً آخر أوسع.

(١) سورة الروم/ ٣٠.

والسيئة العظيمة المترتبة على الفواحش وزوال العفاف، وإذا نظرنا إلى الحجاب بهذا المنظار قبلناه وارتضيناه ولم نعده تحديداً وتقييداً للحريات الفردية.

نصوص العفاف:

هناك آيات عديدة وروايات كثيرة تتحدث عن الحجاب في مختلف الأبعاد نتطرق هنا إلى بعضها مع شيء من البيان والتوضيح لبعضها:

قال الله العظيم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

يستفاد من هاتين الآيتين نقاط كثيرة نشير إليها إجمالا:

١. إن وجوب غض النظر والبصر عن غير المحارم حكم مشترك بين الرجال والنساء ولا يخص بالرجال كما يتصوره بعض عوام الناس، فكما لا يجوز للرجل أن ينظر إلى الأجنبية بشهوة كذلك لايجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجنبي بشهوة وهذا ما يستفاد من

(١) سورة النور/ ٣٠ـ٣١.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ وقد ورد النهي عن النظر إلى الأجنبي والأجنبية في كثير من الروايات وشُدّد عليه ببيان أنه سهم من سهام إبليس مسموم، وإليكم بعض الأخبار:

١ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال: احتجبا، فقلنا: يارسول الله أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعمياوان أنتما؟ ألسمتا تبصرانه[1].

وذيل الحديث يدل على أن مقصوده ﷺ هو أن يغضا أبصارهما إلى جانب الاحتجاب.

٢ عن الامام الصادق عليه السلام عن أبيه سلام الله عليه: أن فاطمة بنت رسول ﷺ استأذن عليها أعمى فحجبته فقال لها النبي ﷺ: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله إن لم (يكن) يراني فأنا أراه وهو يشمّ الريح، فقال النبي ﷺ أشهد أنك بضعة مني[2].

٣ عن النبي ﷺ أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي أول نظرة لك والثانية عليك لا لك.[3]

٤ وفي ما علّم أمير المؤمنين عليه السلام اصحابه: ليس في البدن شي أقل شكرا من العين، فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله، اذا تعرى الرجل نظر (إليه) الشيطان وطمع (فطمع) فيه فاستتروا، ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذيه ويجلس بين قوم، لكم أول نظرة

---

(١) تفسير نور الثقلين ج٣ ص ٥٨٨، الحديث ٩٢.

(٢) مستدرك الوسائل ج١٤ ص ٢٨٩ باب تحريم رؤية المرأة الرجل الأجنبي وإن كان أعمى، الحديث ١٦٧٤٠، ومن طرق السنة: دعائم الاسلامي للقاضي نعمان المغربي ج٢ ص١٢١٤، الحديث ٧٩٢ و..

(٣) تفسير الثقلين ج٣ ص، الحديث ٩٦.

الى المرأة فلا تتبعوها بنظره اخرى واحذروا الفتنة، إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأتي أهله فإن عند أهله مثل ما رأى، ولا يجعلن للشياطين على قلبه سبيلا، ليصرف بصره عنها فإذا لم تكن له زوجة فليصلِّ ركعتين ويحمد الله كثيرا ويصلي على النبي وآله ثم يسأل الله من فضله فانه يبيح له برحمته ما يغنيه[1].

ذ ـ عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة (ثلاث) أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله.[2] إلى غير ذٰلك من الأحاديث الكثيرة.

٢. الأمر الثاني المستفاد من الآيتين السابقتين هو أن المقصود من حفظ الفروج في الآية ـ حسب الروايات ـ هو حفظها من النظر فعن الامام الصادق عليه السلام انه قال في حديث طويل: «... **كل شي في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هٰذه الآيه فإنها من النظر**»[3] وقد استفاد بعض المفسرين ـ على ما يَنقل عن العلامة الطبطبائي قدس سره ـ من قرينة المقابلة بين قوله تعالى: ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ أن المراد من حفظ الفروج سترها عن النظر لا حفظها عن الزنا واللواط.[4]

٣. يستثنى من وجوب ستر الزينة، الظاهرةُ منها لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال المرحوم العلامة

---

(١) المصدر الحديث ٩٧.

(٢) المصدر الحديث ٩٨.

(٣) الكافي ج٢ ص ٣٦ باب في ان الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها الحديث أو تفسير نور الثقلين: ج٣ ص ٥٨٨ الحديث ٩١.

(٤) راجع تفسير الميزان ج ١٥ ص ١١١.

الطباطبائي ﷺ: (والمراد بزينتهن مواضع الزينة لأن نفس ما يتزين به كالقرط والسوار لا يحرم ابداؤها فلمراد بإبداء الزينة ابداء مواضعها من البدن وقد استثني الله سبحانه منها ماظهر وقد وردت الرواية أن المراد بما ظهر منها الوجه والكفان والقدمان)[1]

٤. إن وجوب التستر بالخمار _ أي الحجاب الذي يستر الرأس_ حكم مفروغ عنه في الآية فقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ يبيّن لنا حكماً تكميلياً للحجاب وليس حكماً تأسيسياً إذ أنها تدل على أن الخمار الموضوع على الرأس يجب ضربه على الجيوب وهذا يدل على أن وضع الخمار على الرأس كان من عادة العرب الجاهليين أيضاً وهو دليل على اعتقادهم بضرورة أصل ستر الرأس والشعر للمرأة عن الأجانب إما لأجل أن الأديان السابقة كانت تحكم بذلك فبقي العمل به بين الناس وإما لأجل أن طبيعة الإنسان وفطرته تقتضي أن تكون المرأة مستورة عن الأجانب _ أي غير المحارم_.

وكيف كان فالآية تدل على ضرورة ووجوب الحجاب الكامل خلافاً لمن يدعي عدم ذكر الحجاب ووجوبه في القرآن الكريم، فقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يدل على مفروغية وضع الخمار على الرأس وأنه يجب أن يكتمل ذٰلك بضربها على الجيوب كي لا يظهر شيء من الرقبة والصدر أمام الأجانب فأكملت الآية ببيان بعض الخصوصيات حكم الحجاب وما يجب ستره مضافاً إلى ما كانت تستره المرأة قبل ذلك، هٰذا وقد دل بعض الروايات على أن أصل الحجاب ووضع الخمار على الرأس كان موجوداً بين العرب

(١) المصدر : وقد ذكر الفقهاء أن المستثنى الوجه والكفان فقط وفي الزينة نفسها أيضا رأي بحرمة إظهاربعض أنواعها والتوفصيل موكول للفقه.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن فنظر إليها وهي مقبلة فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سماه ببني فلان، فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه فقال: والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وآله ولأخبرنه، قال: فأتاه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾**»[1].

٥. لا يجوز إظهار مواضع الزينة غير الظاهرة وقد سبق في النقطة الثالثة أن الظاهر هو الوجه والكفان (وأضاف العلامة الطبطبائي قدس سره القدمين وفقاً لبعض الروايات)، فما سوى ذٰلك يجب ستره.

٦. يستثنى ممن يجب إخفاء الزينة ـ أي مواضعها ـ غير الظاهرة عنه، يستثنى المحارم وبعض من لا يعد محرماً للمرأة وقد ذكرت الآية بعضهم دون بعض حيث قال عز قائل: ﴿..وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ فيلاحظ أنه سبحانه وتعالى لم يذكر الأعمام والأخوال في جملة من استثنى من وجوب الأحتجاب عنه والتحجب أمامه مع أنهم من المحارم، وقد قيل أنه يحتمل أن يكون السبب في ذٰلك إمكان أن يذكروا زينتهن وجمالهن لأولادهم وهم ليسوا من المحارم،

(١) الكافي ج٥ ص٥١٢ باب ما يحل النظر إليه من المرأة، الحديث٥، ونور الثقلين ج٣ ص٥٨٨، الحديث٩٣.

ولكن هٰذا السبب غير مطرد فإنه جارٍ في آباء بعولتهن أيضاً وقد ذكرتهم الآية.

وأما النساء المستثنيات ممن يجب التحجب أمامهم فليس المقصود عامة النساء وجميعهن ولهذا قيّد تعالى النساء بأن يكنّ ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾ ومن الممكن أن يكون المقصود النساء المرافقات للمؤمنات من المؤمنات أو المأمونات فإن غير المؤمنات واللاتي لا يوثق بهن قد يتحدثن ويذكرن زينة المؤمنات وجمالهن لغير المحارم ولهذا ورد النهي عن التكشف أمام نساء أهل الكتاب مثل ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **لا ينبغي للمرأة أن تتكشف بين يدي اليهودية والنصرانية فإنهن يصفن ذٰلك لأزواجهن**»[1] وبهذا الحديث يتبين أن الملاك هو أن تكون المؤمنة مستورة عن غير المحارم كي لا يعرفوا زينتها وجمالها حفاظاً عليها من شرور الأشرار منهم ووساوسهم النفسانية ولهذا يفضّل لها أن لا تتكشف حتى للنساء اللاتي لا يوثق بهن وإن كن مسلمات فإن الملاك الذي ذكره الإمام عليه السلام هو ذكر اليهوديات والنصرانيات محاسن وجمال ومواصفات المؤمنة لأزواجهن فلا مدخلية لكونهن يهوديات أو نصرانيات إلا أن الغالب في نساء أهل الكتاب هو أنهن يذكرن ذٰلك لأزواجهن والغالب في المؤمنات خلاف ذٰلك ولأجل ذٰلك خصّهن الإمام عليه السلام بالذكر.

ومن جملة المستثنيات أيضاً.. ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ والمقصود الإماء لا عبيدهن للأدلة الأخرى الدالة على أن عبد المرأة ليس محرماً لها فالآية تستثني إماء النساء فإنه يجوز لهن إبداء زينتهن

(١) الكافي ج٥ ص٥١٩ باب التستر، الحديث٥.

لهن، ولا ينافي ذٰلك ما أسلفنا من أنه يفضّل للمؤمنات أن لا يبدين زينتهن لنساء أهل الكتاب للحكمة المذكورة لأن إماء المؤمنات ومملوكاتهن لسن من المتزوجات عادةً وفي الأغلب بل غالباً تكون الأمة مع مولاتها ومالكتها وفي بيتها وتحت إشرافها فلا تخرج إلى مجالس الرجال ولا زوج لها حتى يخاف من وصفها لزينة مولاتها لغير محارمها.

وكذلك الرجال غير أولي الإربةِ والشهوةِ والأطفال مستثنون من الحكم فلا يجب عليهن التستر الكامل أمامهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن حكم الحجاب ووجوب التستر على النساء أمام الأجانب إنما جاء وشُرِّع لإجل حراستهن والمحافظة عليهن من شر الأشرار ووساوس ذوي الأهواء ومن الأخطار المتوجهة إليهن في عرضهن وعفافهن والتي قد تؤدي إلى أخطار في النفس أيضاً... ولهذا نجد أن الآية تستثني الرجال غير أولي الإربة والأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء بمعنى أنه إذا لم يتوجه إلى المرأة خطر بشكل قطعي من حيث الخلقة _ كما إذا كان الرجل قد بلغ سن الشيخوخة وزالت شهوته تماماً فلا يحتمل فيه القدرة على إتيان النساء أبداً أو كان طفلاً لا يعرف معنى الشهوة فكيف بالقدرة على إتيان النساء_ لم يكن للحكم بوجوب الحجاب والتستر حكمة معتدّ بها ولهذا استثنى الله تعالى هٰؤلاء فقال: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقد ذكر للتابعين غير أولي الإربة معانٍ مختلفة نحو:

١) التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله المولى عليه _ وهو مروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢) العنّين الذي لا إرب له في النساء لعجزه.
٣) الخصي المجبوب الذي لا رغبة له في النساء.
٤) الشيخ اله ـ مّ لذهاب إربه.
٥) العبد الصغير و...[1]

٧. لزوم إخفاء الزينة أو أولويته لا يختص بالإخفاء عن الأعين والإبصار بل يلزم الإخفاء عن الأسماع والعلم وإدراك الرجال أيضاً فيلزم أو يفضّل العمل على أن لا يعلم ولا يدرك الأجنبي أن المرأة متزينة بزينة تخفيها ولهذا نهاهن عن ضرب الأرجل الموجب لعلم الرجال الأجانب بما يخفين من زينتهن وقال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

فهذه نقاط سبع في الآيتين الكريمتين يستفاد منها أن المطلوب في الإسلام هو أن يكون العفاف والجوّ الإيماني هو السائد في المجتمع الإسلامي وأن تزول الذنوب والفواحش ومنافيات العفاف عنه ولهذا شرّع وقنّن الدين الإسلامي أحكاماً وقوانين تتعلق بجميع الجوانب التي لها مدخلية في المحافظة على الأجواء الإيمانية والعفاف كالأحكام السابقة حول الحجاب ـ من وجوب التستر وغض الأبصار وعدم إظهار الزينة أو مواضعها ـ وكالترغيب في الزواج وجعل تزويج الأولاد بعد البلوغ من حقوقهم على الآباء وأوجد لذلك الدافع الباطني بوعدهم الغنى ورفع الفقر فقال عز من قائل: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾[2] وعن الإمام الصادق عليه السلام

(١) راجع مجمع البيان لأمين الإسلام الطبرسي قدس سره ج٧ ص ٢٤٢.
(٢) سورة النور/ ٣٢.

عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بالله عز وجل إن الله عز وجل يقول: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾**».[1] وعنه عليه السلام قال: «**جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الحاجة فقال: تزوج، فتزوج فوسّع عليه**»[2]. وقد سبق بعض الروايات التشويقية لغضّ النظر عمّا حرّم الله تعالى وأن العين التي تغض عن النظر سوف لا تكون من العيون الباكية يوم القيامة.

هذا كله فيما يتعلق بهاتين الآيتين، ومن جملة آيات العفاف قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[3]

ذُكر للجلباب معنيان الأول الثوب المشتمل على جميع البدن فيكون الأمر الوارد في الأية أمراً بتغطية البدن بالجلباب والثوب الساتر لجميعه، والثاني الخمار والمقنعة فيكون أمراً بتغطية الشعر والجباه والرؤوس بالخمار والمقنعة عند الخروج من البيت ـ أو ورود غير المحرم في البيت ـ وقد جمع البعض بين المعينين فقال: إن الله تعالى أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة[4]، وعلى أية حال الآية بصدد بيان وجوب ستر المرأة نفسها عن الأجانب وعلّلت ذٰلك بقولة تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فهذا التقييد في الحرية اللبس وكيفيته منطبق على الفطرة التي يحبّ الانسان بها أن يكون سعيدًا ـ كما سبق ـ والإنسان السعيد انما يحب الحرية لكونها من عناصر سعادته فإذا اقتضت السعادة تقييد بعض

(١) الكافي ج٥ ص٣٣١ باب أن التزويج يزيد في الرزق، الحديث٥
(٢) المصدر، الحديث٢.
(٣) سورة الأحزاب/ ٥٩.
(٤) راجع مجمع البيان ج٨ ص ١٨١.

الحريات كان قبولة أمراً فطرياً لديه كما سبق فهذه الأية أيضاً تشير إلى أن أمان المرأة عن إيذاء الفسقة أوالمنافقين ـ على ما سيأتي قريباً ـ يكمن في المحافظة على الحجاب المذكور.. فإذا أحب الإنسان الأمان بفطرته لزمه قبولُ الحجاب والإيمانُ به وبعبارة أخرى: اذا كان حب الأمان الذي هو من عناصر السعادة أمراً فطرياً فقبول الحجاب أيضاً يكون أمراً فطرياً.

وأما المقصود من قوله تعالى: ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ فقد قيل أن ذٰلك الحجاب أقرب إلى أن يعرفن بزيّهن أنهن حرائر ولسن إماءً فلا يؤذين من قبل أهل الريبة فانهم كانوا يمازحون الإماء، وربما يتجاوز المنافقون إلى ممازحة الحرائر، فإذا قيل لهم في ذٰلك قالوا: حسبناهن إماءً، فقطع الله عذرهم.

والقول الآخر في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ هو: أن ذٰلك أدنى وأقرب أن يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لان الفاسق إذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها، وقد رجح العلامة الطباطبائي قدس سره هٰذا المعنى[1].

فحكمة الحجاب ومصلحته تعود إلى المرأة نفسها ومن ثم إلى المجتمع بأجمعه ومما يؤيد ذٰلك ما ورد في سبب نزول الآية من أن النساء كنّ يخرجن الى المسجد ويصلين خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا كان بالليل خرجن الى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة، يقعد الشباب لهن في طريقهن ويتعرضون لهن فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن

(١) راجع تفسير مجمع البيان ج٨ ص ١٨١ والميزان ج ١٦ ص٣٣٩ـ٤٤٠ و..

يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

ومن آيات العفاف قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]

والآية تصرح بأن القواعد من النساء ـ وهن كبيرات السن اللاتي لا يرغبن في الزواج لكبرهن، أو اليائسات اللاتي لا يرين الحيض فلا يطمعن في النكاح ـ يجوز لهن وضع الثياب وعدم الاحتجاب عن غير المحارم بشرط عدم التبرج بزينة بمعنى أن لا يقصدن من وضع الثياب إظهار الزينة بل يكون مقصودهن من ذٰلك التخفيف على أنفسهن وإلا فإظهار الزينة المخفية محظور على القواعد وغيرهن وأما الشابات فيمنعن من وضع الجلباب والخمار ويؤمرن بلبس أكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن فعن النبي ﷺ أنه قال: «**للزوج ما تحت الدرع وللإبن والأخ ما فوق الدرع ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار**»[3]، ولكن قد رخّص للقواعد من النساء وضع الثياب بالشرط المذكور ومع ذٰلك الأفضل لهن الاستعفاف والاحتجاب ولبس الجلابيب: «**وأن يستعففن خير لهن**».

وهذه الآية أيضاً تشير إلى أن حكمة تشريع الحجاب هي المحافظة على المرأة من السوء وشر الأشرار ولهذا نجد أن المرأة التي لا ترغب في النكاح ولا يُرغب في نكاحها ولا مطمع لأحد في التعدي عليها يجوز لها أن تضع الجلباب وأن لا يكون احتجابها

---

(١) راجع تفسير القمي ج٢ ص١٩٦ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص ٣٠٧ وغيرها .

(٢) سورة النور/٦٠ .

(٣) مجمع البيان : ج٧ ص٢٧١ .

كاحتجاب الشاباب، ومع ذٰلك يشترط عليها أن لا تبرز زينتها وأن لا تتبرج بها فإن ذٰلك قد يوجب وقوع الشباب في الفتنة وإن كانت المتبرجة من القواعد، أو وقوعهم في المحرمات والمفاسد الأخلاقية وإن لم يكن بالتعدي على القواعد أنفسهن.

ومن جملة الآيات التي تتحدث عن ضرورة العفاف هي الآية التي تتحدث عن احتجاب وحجاب نساء النبي ﷺ وضرورة كون الحديث معهن من وراء الحجاب، وتبيِّن لنا

هذه الآية حكمة ذٰلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾[1]

أمر الله تعالى المؤمنين في هٰذه الآية أنهم إذا احتاجوا إلى شيء من نساء النبي ﷺ، أمرهم أن يسألوهن من وراء حجاب وستار وعلل ذٰلك بأنه: ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي من الريبة وخواطر الشيطان التي تدعو إلى ميل الرجال إلى النساء وبالعكس[2]، والتعليل يعمم الحكم فليس هٰذا الأمر مختصا بنساء النبي ﷺ إذ أن الكل ـ رجالا ونساءً ـ محتاجون إلى الطهارة وتطهير القلب من الرذائل والوساوس والأهواء فإن التخلية وتهذيب النفس وتطهيرها مقدمة أساسية للكمال وهو الذي يمهّد الطريق نحو الدخول في نور الإيمان

(١) سورة الأحزاب/ ٥٣ـ٥٥.

(٢) راجع مجمع البيان ج٨ ص ١٧٧.

والفضائل الأخلاقية والتحلي والتزين بها[1].

وبذلك يتبين أن الحجاب والتستر من ممهِّدات الطريق نحو الكمال والوصول إلى السعادة المادية والمعنوية وهذا هو المطلوب الحقيقي للإنسان الذي يتحمل ويتقبل ويستقبل جميع المصاعب والمصائب لأجل تحقيقه والوصول إليه.

وآخر آية نتطرق لها في هٰذا الباب قبل أن نطرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام هو قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾[2]

والآيتان مشتملتان على نوعين من الحجاب: الحجاب الجسمي والحجاب الصوتي، والخطاب وإن كان متوجها إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن الحكم والحكمة عامان شاملان لجميع النساء، فلا عدم جواز الخضوع بالقول مختص بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عدم التبرج حكم خاص بهن، ولا الحكمة في عدم الخضوع بالقول وعدم التبرج منحصرة التحقق فيهن، نعم كون نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدوة لسائر النساء مضافا إلى ضرورة المحافظة على قداسة بيت النبوة ـ كما سبق ـ أوجبا توجه الخطاب إليهن ليعرف سائر النساء تكاليفهن وأنه لا مجاملة في الأحكام الشرعية وتطبيقها حتى مع نساء خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله الطاهرين.

ومن جملة القرائن على التعميم المشار إليه هو ما ذكره العلامة الطباطبائي في قوله قدس سره: «....**فلا تخضعن بالقول وقرن في بيوتكن**

(١) وتفصيل ذلك موكول للكتب الأخلاقية كجامع السعادات و...

(٢) سورة الأحزاب/٣٢ـ٣٣.

ولا تبرجن: وهي فضائل مشتركة بين نساء النبي ﷺ وسائر النساء، فتصدير الكلام بقوله: لستن كأحد من النساء إن اتقيتن، ثم تفريع هٰذه التكاليف المشتركة عليه، يفيد تأكّد هٰذه التكاليف عليهن كأنه قيل: لستن كغيركن فيجب عليكن أن تبالغن في أمثال هٰذه التكاليف وتحتطن في دين الله أكثر من سائر النساء، وتؤيد بل تدل على تأكّد تكاليفهن مضاعفة جزائهن خيرا وشرا كما دلت عليه الآية السابقة، فإن مضاعفة الجزاء لا تنفك عن تأكد التكليف»[1] والقرينة هي ما ذكره في نهاية كلامه قدس سره مشيرا إلى الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ فلولا أن سائر النساء أيضا مكلفات بهذه التكاليف المذكورة في الآيات لما كان وجه لمضاعفة العذاب والثواب لنسائه ﷺ بل لزم أن يقول: من فعل منكن كذا فلها عذاب أليم أو أجر عظيم.

وأما ما يستفاد من هاتين الآيتين فهو كالتالي:

(١) الملاك في الفضل والكرامة عند الله تعالى التقوى وهذا ما يستفاد من كثيرمن الآيات والروايات وآية نساء النبي ﷺ أيضا تشير إلى ذٰلك حيث علقت عدم مساواة نساء النبي لسائر النساء على التقوى:﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ـ وإن احتمل أن يكون جزاء هٰذا الشرط الجمل التالية ـ فالانتساب إلى بيت النبي ﷺ له أهميته الخاصة إلا أنها مشروطة بالتقوى فصحيح أن هٰذا الانتساب بالقوة شرف للإنسان إلا أن فعليته متوقفة على التقوى.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ج ١٦ ص ٣٠٨.

(٢) حرمة الخضوع بالقول للنساء: بمعنى أنه لا يجوز للنساء ـ ولا سيما نساء النبي ﷺ ـ ترقيق وتليين الكلام عند التحدث مع الرجال غير المحارم.

(٣) حكمة هٰذا التحريم هي أن الترقيق والتليين في الكلام يستلزم طمع من في قلبه مرض فيهن، والمرض ـ كما في مختلف التفاسير ـ هو النفاق والفجور أو شهوة الزنا أو ضعف الإيمان وفقدان قوته التي تردعه عن الميل إلى الفحشاء، فيلزم أن لا يكون الكلام بطريقة أو بدرجة من الترقيق توهم إلى الرجال أنها تميل إليهم فيطمع الذي في قلبه مرض فيها وفي التعدي عليها.

(٤) لزوم كون الكلام مع غير المحارم من المعروف أي منطبقا على الشرع ودالاً على التشرّع والإيمان فلا يخرج عن مدلوله المطابقي إلى الميل والرغبة فيمن تكلمه وتتحدث معه فيؤدي إلى الفتنة والريبة والفساد.

(٥) لزوم القرار والاستقرار في البيوت وعدم التبرج والخروج منها بلا حاجة وضرورة تقتضيه.

(٦) لزوم الاجتناب عن التبرج وهو كما يقول العلامة الطباطبائي قدس سره الظهور للناس كظهور البرج لناظريه، وقد قيّد التبرج بالجاهلية الأولى أي قبل مبعث النبي ﷺ ـ وهناك احتمالات أخرى في تفسير الجاهلية الأولى مذكورة في التفاسير ـ والمقصود هو أن لا تخرج النساء المؤمنات من بيوتهن على عادة نساء الجاهلية ولا يُظهرن زينتهن بذلك كما كانت تفعل نساء الجاهلية، ويحتمل أن يكون المقصود أن لا يتركن خمارهن على رؤوسهن من دون ضرب على الجيوب والرقاب فإن نساء الجاهلية كن يضعن الخمار

على رؤوسهن ولكنهن لا يسترن جيوبهن ورقابهن به ـ كما سبق ـ، وهناك احتمال ثالث؛ نقله أمين الإسلام الطبرسي رحمه الله حيث قال: وقيل: التبرج التبختر والتكبر في المشي[1]. فيكون المعنى: عليها أن تتواضع في مشيها وسائر أعمالها وتصرفاتها فتطبق هٰذا الخلق الإسلامي المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[2] أو أن عليها أن لا تتبختر فتلفت أنظار الرجال إلى نفسها و.

فهذه الآية أيضا ـ كالآيات السابقة ـ تتحدث عن لزوم رعاية المرأة لشؤونها ومحافظتها على نفسها وعرضها وكرامتها وشرفها بالحجاب الجسمي والصوتي، فالله الذي خلقنا للسعادة قد بيّن لنا عناصرها أيضا فإن البشرية لا تتمكن من معرفة جميع ما هو دخيل في سعادتهم ولكن خالقهم العالم بجميع خصوصياتهم عالم بجميع ذٰلك فيلزم أن يكون قد بيّنها لهم وقد فعل ذٰلك فشرحها لهم في آياته وعلى لسان أنبيائه وأوليائه كما وضع فيهم جميع آليات الهداية الى كمالهم فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى[3]، فجميع آليات الوصول إلى الكمال موضوعة في الإنسان تكوينا ومبيّنة في الكتاب تشريعا ومن جملتها مسألة الحجاب حيث أنها وكما تكرر منا صيانة للمرأة والجتمع عن الفساد ومن ثم عن الشقاء، فجملة الآيات المذكورة هدفها من بيان حكم الحجاب ـ بجميع أبعاده ـ هو هٰذا الذي ذكرناه وبيّناه في التعاليق المختصرة على

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ١٨٨.

(٢) سورة الفرقان/ ٦٣.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ سورة طه/٥٠

الآيات والروايات.

وعلى ضوء ذٰلك يجب أن ننظر إلى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وغيره حول مختلف جوانب الحجاب والاحتجاب والستر وإليكم بعض نصوص النهج الشريف في هٰذا الموضوع:

مما ورد في وصيته عليه السلام التي كتبها للإمام الحسن بن علي عليه السلام بحاضرين[1] عند انصرافه من صفين قوله صلوات الله عليه «**وأكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب أبقى عليهن وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل، ولا تملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تَعدُ بكرامتها نفسها، ولا تُطمعها في أن تشفع لغيرها، وإياك والتغاير في غير موضع غيرة فإن ذٰلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب.**»[2].

والمستفاد من هٰذه الكلمات موافق ومنسجم تماماً مع ما استفدناه من الآيات والروايا السابقة حول الحجاب والستر وحكمته، كما أن من جملة ما يستفاد منها هو أن الرجل مسؤول قبال المرأة وإن قواميته عليها ليست بمعنى سيطرته عليها بل حراسته لها ومحافظته عليها وعلى عفافها وشرفها وبقاء أسرتها والعلاقات الحميمة بين أفراد العائلة ومكوّناتها، فهذا الكتاب يشتمل على أمور كثيرة ومن جملتها الحجاب ويشتمل موضوعه حول الحجاب أيضاً على أمور متعددة وهي:

١ـ الوظائف الشرعية قد تكون فردية وقد تكون اجتماعية

(١) حاضرين اسم منطقة في نواحي صفين

(٢) نهج البلاغة الكتاب ٣١

والفردية أيضا ليست فردية بحتة بل تتضمن أبعادا اجتماعية أيضا بمعنى أنه كما يجب على الفرد القيام بوظائفه وتكاليفه الشرعية يجب على الآخرين أيضا العمل على قيام الفرد بوظائفه، وبعبارة أخرى لا ينحصر وظيفة الإنسان في أعمال نفسه بل عليه تكليف آخر قبال الآخرين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الآخرين إلى الخير والصلاح فالولاية الإيمانية التي تتحدث عنها آية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1] ـ هي ولاية المحبة والنصرة بين المؤمنين وهي تقتضي دعوة بعضهم البعض إلى الخير والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن المؤمن مرآة المؤمن ودعوته الى الخير وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر تطبيق واقعي وعملي لهذه المرآتية وأخذ بيده للسير به إلى الكمال والسعادة، ومن أهم وأول من يجب دعوته إلى الخير والمحافظة عليه من الشرور والاشرار هو أفراد الأسرة التي يعيش الإنسان فيها ومعها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[2].

ومن هٰذا المنطلق ـ والله العالم ـ يأمر أمير المؤمنين عليه السلام الرجل أن يعمل على كف أبصارهن فعليه ـ باعتباره أقرب المحارم للزوجة ـ أن يحافظ على تطبيق الموازين الشرعية من قبل الأسرة والمرأة، وبطبيعة الحال لا ينحصر الأمر بالرجل بل المرأة أيضا

(١) سورة التوبة/ ٧١

(٢) سورة التحريم/ ٦

مسؤولة عن الرجل فيما إذا رأت منه ما يخالف شرع الله فعليها أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر كما أن عليها أن تحافظ على زوجها وسائر أفراد أسرتها من الوقوع في مخالفة الشريعة والموازين الشرعية ـ أي أن عليها الدفع والرفع ـ فالخطابات الشرعية كتاباً وسنةً عامةٌ وشاملةٌ للجميع رجالاً ونساءً ومن جملتها الخطابات المتعلقة بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نعم المعنيّ الأساسي بالمحافظة على الأسرة والمرأة من تعرضها للسوء والشر ووساوس أصحاب الأهواء هو الرجل ولا يبعد أن يكون هٰذا هو السبب في توجيه أمير المؤمنين عليه السلام خطابه وأمره إلى الرجل بان يعمل على المحافظة على أبصارهن أو بأن يأمر المرأة بالكف وغض البصر عما حرّم الله تعالى كما أمر الله سبحانه رسوله بأن يأمر المؤمنات بذلك في قوله عز وعلا: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾.

٢ـ أمره عليه السلام الرجل بالمحافظة على المرأة وحراستها والعمل على كفّ بصرها، أمر وقائي وللحراسة على المرأة وشرفها وكرامتها وكرامة أسرتها وليس لأجل السيطرة عليها ـ كما سبق ـ فالمطلوب هوالوصول إلى الكمال والسعادة ـ ولا يتحقق ذٰلك إلا في أسرة سعيدة عادة ـ فإن سعادة الفرد يتحقق في ظل مجتمع سعيد ولا أقل من سعادة المجتمع الصغير أي الأسرة ـ والأسرة السعيدة هي العاملة بوظائفها الشرعية ـ إلى جانب أمور أخرى قد تكون دخيلة في السعادة الدنيوية مضافا إلى الأخروية فلو لم تكفّ المرأة بصرها ولم يعمل الزوج على ذٰلك لأمكن تعلق قلبها بغير

زوجها وتعلق قلوب الأجانب بها وهذا ما يؤدي إلى شرور كثيرة

كالارتباط والعلاقات غير المشروعة وتفكك الأسرة والطلاق وما يترتب عليه من سلبيات من سوء تربية الأولاد وسراية المشاكل وسوء الأعمال والآداب إلى المجتمع و.. مضافا إلى الأضرار المتوجهة إلى المرأة نفسها وافتقادها لسعادتها في الدنيا بل والآخرة أحياناً ـ إن لم ترجع إلى الصواب والعمل بالتكاليف ـ قال المرحوم الميرزا حبيب الله الخوئي قدس سره: «**ووكفّ أبصارهن عن الأجانب وزهرة الدنيا بواسطة الحجاب عليهن فإنه موجب لبقائهن ووفائهن لأزواجهن**»[1].

ومن الملاحظ أن أمير المؤمنين عليه السلام علّل ذٰلك بقوله «**فإن ذٰلك أبقى عليهن**» وذٰلك يدل على أن المقصود المحافظة عليهن وإن النفع أولاً وبالذات عائد إلى المرأة نفسها ومن ثم إلى الرجل والأسرة التي تعيش فيها ومعها وبعد ذٰلك إلى المجتمع.

٣ـ إذا كان المطلوب من المرأة الستر والعفاف لكون كمالها متوقفا عليه وسعادتها معلقة على أمانها من الشرور ووساوس ذوي الأهواء كما سبق، فاللازم المحافظة عليها من تلك الشرور والوساوس وهذا كما يتحقق بالحجاب والستر حالة الخروج من البيت يتحقق بحراستها عند دخول الأجانب غير الموثوق بهم عليها في بيتها فان الخروج من البيت في غيرموارد الحاجة والضرورة إذا لم يكن مطلوباً وممدوحاً لها فإنما هو لأجل المحافظة عليها مما ذكرناه لا لأجل أن نفس الخروج من البيت أمر مذموم لها، فإدخال غير الموثوق به عليها في البيت نقض لهذا الغرض بل هو أشد من خروجها حيث أن دخول الأجانب موجب لتعرفهم عليها وتعرّفها عليهم داخل البيت وفي مأمنها وذلك يسّهل الخلوة وما ينشأ عنها..

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤٢

ولهذا يشدد أمير المؤمنين عليه السلام على ذٰلك في نهاية هٰذا المقطع من كلامه ويقول سلام الله عليه «**وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل**» فكل هٰذا التشديد حكمته وهدفه ما ذكرناه من المحافظة عليها وعلى سعادتها.

٤ـ طبيعة المرأة روحاً وجسماً طبيعة لطيفة وعاطفية تصلح لما له علاقة بالعاطفة كتربية الأولاد وتدبير المنزل ولم تخلق للأعمال الخارجية ـ ولا سيما في العصور القديمة التي كانت الأعمال الخارجية شاقة على الرجال الأقوياء فكيف بالنساء ـ ولهذا دعانا أمير المؤمنين عليه السلام وأمرنا أن لا نوكل إليها الأعمال التي لا تتناسب ولا تنسجم مع هٰذه الطبيعة فإنها ريحانة وليست قهرمانة، وقد سبق ما يفيد هٰذا المقام.

٥ـ عدم قبول شفاعتها في غيرها فيما إذا أوجب فساداً لها ولأسرتها: «**ولا تُطْمِعْها في أن تشفع لغيرها**» قال المرحوم الميرزا حبيب الله الخوئي قدس سره في بيان سبب ذٰلك وحكمته:«**فإنه يوجب توجههم إليهن ويؤدي إلى فسادهن يوماً ما**»[1] فعدم قول شفاعتها أيضاً يرجع إلى المحافظة عليها فهو في صالحها لا لأجل تسليط الزوج عليها وعدم وجود حرمة لها، وذلك لأن الزوجة إذا شفعت لغيرها عند زوجها ـ وإن كانت الشفاعة للنساء ـ فقبل الزوج ذٰلك منها طمع الناس في الوصول إليها لتشفع لهم عنده فتخرج بذلك عن الستر والعفاف أو يجعلها في معرض ذلك.

٦ـ بعد كل ذٰلك وبعد بيان ما على الرجل من تكاليف للمحافظة على المرأة فيما يتعلق بأمور وأعمال المرأة يتطرق عليه

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤٢

الإسلام لبيان الوظيفة الشخصية للرجل وما يجب عليه أن يقوم به هو للمحافظة على المرأة من الفساد فيقول عليه السلام أن عليه الاجتناب عن التغاير في غير موضع الغيرة فإن الغيرة هي التي تدفع الرجل من باطنه نحو المحافظة على نواميسه فيلزم أن لا تكون ناقضة لغرضها، وبعبارة أخرى ما يقوم به الرجل لأجل المحافظة على نواميسه ناتج عن غيرته الفطرية مضافاً إلى وظيفته الشرعية، فالغيرة سبب للمحافظة عليها فيلزم أن لا تكون هي سبباً لتعريضها للخطر والفساد وانزلاقها في مهاوي الأهواء فتصبح ـ أي الغيرة إن صح تسمية هٰذه الحالة بها ـ ناقضة لغرضها نفسها فبدلاً من أن نحافظ عليها بالغيرة من شر الأشرار نوقعها بها في فخهم وذلك بالخروج عن الاعتدال في إعمالها وبتعبير أفضل: بالخروج عن الغيرة الفطرية والحقيقية إلى الوسوسة فإن الغيرة ـ وكما سبق ـ أمر فطري في الرجل ولكنها مع الخروج عن حدودها تخرج عن كونها غيرة بل هي والحال هٰذه وسوسة ومخالفة للفطرة والشريعة ومسببة لمشاكل كثيرة ولنتائج عكسية وهذا ما دعا أمير المؤمنين عليه السلام أن ينهي عن ذٰلك ويحذِّر

منه بقوله صلوات الله عليه: «**وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة**»وفي العبارة إشارة إلى أن التغاير في غير موضع الغيرة ليس من الغيرة الفطرية الطبيعية في الرجل، ثم بيّن عليه السلام حكمته وقال: «**فإن ذٰلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب**» وهذا واضح ومجرّب، قال الشيخ محمد جواد مغنية تعليقا على كلامه عليه السلام هذا: «**لك أن تغاير على المرأة بصيانتها من التبرج ومخالطة المشبوهين، وأما الغيرة برجم الظنون فإنها تشجع المرأة السقيمة على الخيانة وتغير البريئة**

بها وتقول في نفسها: كنت أحرض على ثقته بأمانته وعفافه، أما وقد أصبحت عنده في مكان الريب، فلم يبق ما أحرص عليه»[1].

ومن المحتمل أن يكون المقصود من قوله عليه السلام: «**والبريئة إلى الريب**» أن الوسوسة وسوء الظن في غير موضع الغيرة يوجب أن تقع البريئة في موضع التهمة فتُتَّهم بغير حق بما لا يليق فتكون أنت الرجل المتغاير والموسوس السبب في ذٰلك كما يستفاد ذٰلكُ من إشارات بعض مفسري نهج البلاغة[2].

حكمة أخرى:

ومن جملة الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام في مسألة العفاف هي الحكمة التي رواها عنه ابن أبي الحديد في شرحه على النهج الشريف وهي قوله صلوات الله وسلامه عليه: «**إن الله خلق النساء من عيّ وعورة، فداووا عيّهن بالسكوت واستروا العورة بالبيوت**»[3]

والحكمة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تبدؤوا النساء بالسلام ولا تدعوهن إلى الطعام فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: النساء عيّ وعورة فاستروا عيّهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت[4].

وهذه الحكمة تبيّن لنا أمرين أحدهما أن النساء عيّ وأن دواءه السكوت والآخر أنهن عورة فيلزم سترها بالبيوت، أما الأول فالمقصود من العيّ كما في مجمع البحرين هو العجز، قال: «**عي**

(١) في ظلال نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٣٢
(٢) راجع شرح نهج البلاغة للدخيل ج ٣ ص ٨٢
(٣)
(٤) راجع شرح نهج البلاغة للدخيل ج ٣ ص ٨٢

من باب تعب: **عجز عنه ولم يهتد لوجه مراده»** ثم ينقل حديثا في معنى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ عن الإمام الباقر عليه السلام قال لجابر بن يزيد: «**يا جابر تأويل ذلك إن الله عزّ وجلّ إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدّد الله عالماً غير هذا العالم وجدد خلقا من غير فحولة ولا إناث يعبدون ويوحدون وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض وتحملهم سماء غير هذه السماء تظلهم، لعلك ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنتم في أواخر (آخر) تلك العوالم وأولئك الآدميين**»[1] وفي الحديث: دواء العيّ السؤال، هو بكسر العين وتشديد الياء: التحير في الكلام والمراد به هنا الجهل، ولما كان الجهل أحد أسباب العيّ عبّر عنه به، والمعنى أن الذي عيّ فيما يُسئل عنه ولم يدر بماذا يجيب فدواؤه السؤال ممن يعلم:[2]

فالعيّ يعني العجز ويستعمل في الجهل أيضاً مجازاً بعلاقة السببية والمسببة فإن الجهل سبب في العجز عن الكلام.

وعلى أية حال فهذه الجملة غير مرتبطة بما نحن فيه من الحجاب والعفاف بل هي مرتبطة _ والله العالم _ بما تقدم من كلامه عليه السلام حول نقص العقل في المرأة بالمعنى الذي سبق منا ذكره مع أدلة وأن العاطفة القوية فيها مانعة من القدرة على البيان العقلاني وإقامة البراهين العقلية الدقيقة من قبلها كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾.. نعم

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٣١٠ رقم ٥٥٧

(٣) البرهان ج ٤ ص ٢١٩.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٥٣٥ باب التسليم على النساء الحديث ١ أو راجع الحديث ٤.

قد يُستفاد غير ذٰلك من الحديث الذي رواه الكليني رضوان الله تعالى عليه عن الصادق عن أمير المؤمنين عليهما السلام واستشهاده عليه السلام بكلام النبي صلى الله عليه وآله حيث نهى عليه السلام عن ابتداء النساء بالسلام فقال: «**ولا تبدؤوا النساء بالسلام ولا تدعوهن إلى الطعام**» فاستشهد لذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله: «**والنساء عيّ وعورة فاستروا عيّهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت**» قال المرحوم السيد الخوئي قدس سره تعليقا على الرواية: «**لم تُعرف المناسبة بين قوله عليه السلام: النساء عي أي عاجزة عن التكلم وبين النهي عن ابتدائهن بالسلام، فان هذاالتعليل إنمايتناسب مع النهي عن التحدث معهن لاالنهي عن ابتدائهن بالسلام**»[1] ولكن يمكن أن يقال: أنه عليه السلام لا يريد تعليل قوله صلوات الله عليه: «**لاتبدؤوا النساء بالسلام**» بقول النبي صلى الله عليه وآله: «**النساء عي..**» فإن كلامه صلى الله عليه وآله مستقل عن كلامه عليه السلام وإنما أتى به دليلا وشاهدا للشق الثاني من كلامه وهو قوله عليه السلام: «**ولا تدعوهن إلى الطعام**» فاستشهد بكلام النبي صلى الله عليه وآله أن النساء عي وعورة فأراد عليه السلام أن يقول: إن النساء عورة فلا يليق دعوتهن على طعام يكون على مائدته رجال أجانب، أو دعوتهن على طعام خارج البيت فيخرجن من بيوتهن بلا ضرورة داعية إليه كما سيأتي بيانه في الشق الثاني من الحكمة.

والمتحصل من هٰذا الشق من كلامه عليه السلام هو أن الرجل ـ الذي يتغلب فيه جانب التعقل على العاطفة ـ عليه أن لا يتمادى في البحث والمناقشة مع النساء ـ اللاتي يتغلب فيهن جانب العاطفة على التعقل ـ فإذا عرف ضمن المناقشة العلمية ضعفهن في

---

(١) راجع مجمع البحرين للمرحوم الطريحي ج ٣ ص ٢٨٩
(٢) كتاب النكاح ج ١ ص ١٠٥.

الاستدلال وبيان المقاصد الدقيقة فالأدب والأخلاق يقتضي عدم الغور في الحديث والمناقشة إلى أن يظهر عجزهن بجلاء، وهذا ما طبّقه بعض علمائنا العرفاء حينما التقوا ببعض النساء العالمات الفاضلات وجرى البحث والمناقشة بينهما حول بعض الأبحاث التوحيدية الدقيقة ورأى أنها لا تتمكن من بيان بعض الدقائق المعرفية التوحيدية أشار إلى تلميذه ـ الذي كان يقوم بدور المناقشة والمناظرة معها في محضره ـ أن يقطع الحديث ولا يستمر في المناقشة والمناظرة معها وأنه يكفي هٰذا المقدار.

والأمر الثاني الذي تشتمل عليه هٰذه الحكمة هو قوله عليه السلام: «**و عورة.. واستروا العورات بالبيوت**».

العورة بمعنى سوءة الإنسان وكل ما يُستحى منه...وكذا كل خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب، وعورات الجبال شقوقها[1].

وورد في القرآن الكريم التعبير بالعورات في آية الحجاب في قوله تعالى: ﴿.. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ...أَوْ أَبْنَائِهِنَّ .. أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[2] وكذا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾[3]، كما ورد فيه التعبير بالعورة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾[4].

---

(١) راجع صحاح الجوهري ج ٢ ص ٦٧٠.
(٢) سورة النور/ ٣١.
(٣) سورة النور/ ٥٨.
(٤) سورة الأحزاب/ ١٣.

فالعورات جمع العورة وهي في الآية الأولى بمعنى سوءة الإنسان التي يسوء التصريح بها، وفي الثانية بمعنى الوقت الذي لا ينبغي أن يطلع عليكم فيها غيركم، والعورة في الآية الثالثة بمعنى الخلل ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أن فيها خللاً لا يأمن صاحبها دخول السارق وزحف العدو[1].

فإطلاق العورة على المرأة يكون باعتبار أن جسدها المثير للشهوة يسوء التصريح به والتحدث عنه وأنه مما يستحيى منه بطبيعة الحال وبالفطرة، ومما يتخوف منه وعليه، ولهذا أجمع علماء الإسلام ـ كما في المعتبر للمحقق الحلي قدس سره وكذا في سائر المصادر الفقهية ـ: أن جسد الحرة عورة لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**جسد المرأة عورة**»[2]

وكيف كان فالمستفاد من هٰذا الشق من كلامه عليه السلام أن المطلوب من المرأة هو العفاف، وأن كل ما يحافظ عليها وعلى عفافها فهو مطلوب لها مقدمةً لتحصيل ذٰلك العفاف، فكما أن الحجاب والتستر وضرب الخمر على الجيوب أمر مطلوب لها لأنها تحافظ بذلك على عفافها ومن ثم على سعادتها، كذلك عدم الخروج من البيت بلا ضرورة وحاجة داعية إليه أيضاً سبب للمحافظة على عفافها وسعادتها وذلك أن عنصر الجمال والجذب فيها قوي، فكلما كانت مستورة أكثر كانت مأمونة من شر الأشرار أكثر مضافاً إلى أنها تحافظ بذلك على حرمة وشأن أسرتها بالمحافظة على نفسها وبعدم تعريض نفسها لكلام الناس والمرأة المستورة بالبيت قلّما يتفق

(١) راجع تفسير الميزان ج١٥ ص ١١٢ و١٦٣ وج ١٦ ص ٢٨٦.
(٢) راجع المعتبر ج٢ ص ١٠١.

أن تتهم بسوء وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى الحارث الهمداني: «**ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القول**»[1] وهو تعبير آخر عما في بعض الروايات من النهي عن الذهاب إلى مواضع التهمة والأمر باتقاء تلك المواضع، فإكثار المرأة الخروج من البيت يجعلها غرضاً لنبال القول وإذا لازمت بيتها ـ إلا للضرورات والحاجات ـ أمّنت نفسها وعرضها وحافظت على نفسها من التهم وصانت حرمة بيتها وأسرتها.

ووزان هٰذه الكلمة وزان الآية التي تأمر نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقرار والاستقرار في البيوت: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[2] ويتبين بها ـ أي بهذه الحكمة ـ أن الخطاب في الآية وإن كان متوجها إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنها عامة لجميع نساءالمؤمنات،فعدم الخروج من البيت من الوسائل التي تتمكن المرأة بها من الاحتجاب عن غير المحارم والذي عدته فاطمة الزهراء عليها السلام خيراً للنساء فقد روي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل أصحابه: أخبروني أيّ شيء خير للنساء؟ فعيينا بذلك كلنا حتى تفرقنا، فرجعت على فاطمة عليها السلام فأخبرتها بالذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد منا علمه ولا عرفه، فقالت ولكني أعرفه: خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله سألتنا أي شيء خير للنساء، خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال، فقال: من أخبرك فلم تعلمه وأنت عندي؟ فقلت: فاطمة، فأعجب ذٰلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) نهج البلاغة الكتاب رقم ٦٩.
(٢) سورة الأحزاب/ ٣٣.

وقال: إن فاطمة بضعة مني.[1]

الحجاب في كلماته عليها السلام الأخرى:

هناك كلمات أخرى منقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام حول الحجاب والستر لم ينقلها السيد الرضي قدس سره فارتأينا أن ننقل بعضها مع بعض التعليقات تتميماً للفائدة فنقول:

١ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الصبي يُحجم المرأة، قال: إن كان يحسن يصف فلا[2].

يحُجم: من الحجامة بمعنى أخذ الدم الفاسد وإخراجه بالطريقة المعروفة.. فهذه الرواية تدل على أن المرأة ينبغي لها أن تستر نفسها عمن يتمكن من توصيفها عند غير محارمها ولم تكن مأمونة من وصفه إياها، وقد سبق نظير ذٰلك في الاحتجاب عن نساء أهل الذمة ويمكن استفادة ذٰلك من قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾

٢ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسلم على النساء ويرددن عليه السلام وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسلم على النساء وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن ويقول: أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل عليّ أكثر مما أطلب من الأجر[3].

وقد حمله الفقهاء على كراهة السلام على الشابات لا حرمته بقرائن مذكورة في محلها، وكيف كان فالمستفاد من هٰذا الحديث

(١) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٣ الباب ٢٤ من أبواب مقدمات النكاح الحديث ٧.
(٢) الكافي ج ٥ ص ٥٣٤ الحديث ١.
(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٤٨ باب التسليم على النساء الحديث ١، وج ٥ ص ٥٣٥ باب التسليم على النساء الحديث ٣

عدة أمور وهي:

ألف- ينبغي للرجل أن يجتنب كل ما يحتمل أن يوقعه في الحرام وما يخالف الحدود الإلهية فيما يتعلق بمسائل العفاف، فكما يجب على المرأة أن تحافظ على نفسها وينبغي لها أن تجتنب كل ما ينافي عفافها أو يحتمل أن يعرّضها لذلك، كذلك الرجل، فينبغي له أن لا يسلّم على الشابات.

ب- لا بأس بالسلام على كبيرات السن من النساء

ج ـ الملاك في كراهة السلام على الشابات هو خوف الوقوع في الحرام والميل إليهن لحسن صوتهن ورقته ولينه، وقد سبق من الآيات ما يدل على نهي النساء من الخضوع بالقول لأنه يوجب الميل القلبي إليهن من قبل الأجانب: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾[1]

د- إذا دار الأمر بين الثواب والعقاب أو الثواب الأقل والعقاب الأكثر لزم تقديم جانب العقاب واجتناب ما يوجبه وإن كان في حد ذاته ـ لولا ما يطرا عليه فيوجب استحقاق العقاب- عملاً مندوباً ومرغوباً فيه، وهذا ما يستفاد من قوله عليه السلام: «**أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل عليّ أكثر مما أطلب من الأجر**» ويمكن استفادة ذٰلك من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[2] فكون إثمهما أكبر من نفعهما دليل كافٍ في لزوم الاجتناب عنهما.

ذ ـ حكمة رجحان ترك الابتداء بالسلام على الشابة ـ وهي

(١) سورة الأحزاب/٣٢.

(٢) سورة البقرة/ ٢١٩.

العجب من صوتها ـ من الآثار الطبيعية لسماع صوت الشابة، فأميرالمؤمنين عليه السلام لا يريد أن يقول أن هٰذا الإعجاب قد يتحقق فيه حقيقةً لأنه سلام الله عليه معصوم والمعصوم مصون عن ذلك، بل يريد القول بأن سماع صوتها بطبيعة الحال يؤثرسلباً في الإنسان فينبغي للرجال أن لا يسلّموا عليها كي لا يبتلوا بذلك، قال الشيخ الصدوق قدس سره: «**إنما قال عليه السلام ذٰلك لغيره وإن عبّر عن نفسه، وأراد بذلك أيضاً التخوف من أن يظن ظان أنه يعجبه صوتها فيكفر، ولكلام الأئمة صلوات الله عليهم مخارج ووجوه لا يعقلها إلا العالمون**»[1] وقال صاحب الحدائق قدس سره بعد نقل كلام الصدوق رحمه الله: (أقول: ونظيره في القرآن من باب «**إياك أعني واسمعي يا جارة**» كثير)[2].

أقول: ويمكن أن يقال في تفسير كلامه عليه السلام أيضاً: أن العصمة العملية والأخلاقية أمر اختياري فالمعصوم يجتنب جميع المحرمات والرذائل وما يوجب الوقوع فيها باختياره ومن جملة ما يوجب الوقوع فيها هو أن يعجب الإنسان بصوت الجنس المخالف، فإذا خاف من تحقق هٰذا العجب لأجل السلام اجتنبه كي لا يتحقق ذلك، لأن تحققه أمر طبيعي وليس أمرا اختيارياً ـ كما أن ثوران الشهوة عند مشاهدة مثيراتها أمر طبيعي ـ والله تعالى لم يخلق المعصومين على خلاف الطبيعة البشرية، ولكن مقدماته اختيارية فلا يخرج حدوثه ـ أي الاعجاب من صوتها ـ عند الاختيار، فالمعصوم يصون نفسه عن المقدمات الاختيارية لذلك الاعجاب، فمقصوده عليه السلام ـ والله العالم ـ أن صوت الشابة يؤثر في القلب

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ من ٤٦٩ ذيل الحديث ٤٦٣٤.
(٢) الحدائق الناضرة ج٩ ص ٨٤.

ويوجب الإعجاب بها أو بصوتها وأنا أجتنب السلام عليها كي لا يحدث ذٰلك العجب الطبيعي وبتعبير آخر: أجتنب العجب باجتناب مقدماته كالسلام عليها.. فلا ينافي عصمته عليه السلام.

النظر إلى غير المحارم وآثاره السيئة في كلامه عليه السلام:

تحدثنا فيما سبق عن الآيات والروايات التي تطرقت لمسألة النظر إلى الأجنبية والأجنبي وأنه سهم من سهام إبليس مسموم كما عن الإمام الصادق عليه السلام فقد روي عنه أنه قال: «**النظر سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة**»وعن عيسى بن مريم عليه السلام: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب وكفى بها لصاحبها فتنة[1]. والسبب في كون النظر من سهام إبليس المسمومة هو تأثيرها في ظلمة القلب وانكداره لأنها من المعصاي والذنوب والذنب يحدث نكتة سوداء في القلب ـ كما في الأحاديث ـ كما أنها ـ أي النظرة ـ تجرّ صاحبها نحو المعاصي الأخرى والتي هي أكبر من النظرة نفسها كما سيأتي في شرح كلامه عليه السلام في هٰذا المجال إن شاء الله تعالى.. وينبغي لنا هنا أن ننظر في كلامه عليه السلام أيضاً حول النظر فنقول:

ورد في الحكمة ٤٢٠ أنه عليه السلام كان جالسا في أصحابه فمرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: «**إن أبصار هٰذه الفحول طوامح وإن ذٰلك سبب هَبابها فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله فإنما هي امرأة كامرأة**»

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم

(١) المحاسن للبرقي رحمه الله ج١ ص١٠٩ و١١٠.

ليقتلوه فقال: رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب.

فرمقها القوم: رمقته أرمقة رمقاً: نظرت إليه. ورمّق ترميقاً: أدام النظر[1].

طوامح: جمع طامح أو طامحة، طمح البصر إذا ارتفع، وطمح أبعد في الطلب.

وان ذٰلك سبب هبابها: أي أن طموح الأبصار سبب هبابها بالفتح أي هيجان هٰذه الفحول لملامسة

الأنثى (٣)، وفي البحار نقلاً عن النهاية: هبّ التيس أي هاج للسفاد، يقال: هبّ يهبّ هبيباً وهباباً .

مضامين الحكمة ومغازيها:

تشتمل الحكمة على عدة أمور منها أن النظر إلى غير المحارم سبب لثوران الشهوة أحياناً، وهو أمر خطير على الإنسان والمؤمن لأنه يجرّه نحو المعاصي والوقوع في المحرمات كما يستفاد من الروايات الناهية عن النظر والتي تقول أنه سهم من سهام إبليس مسموم وقد ورد في حكمة منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**ليس يزني فرجك إن غضضت طرفك**»[2] وعن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: **لاتكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لن يزني فرجك ما حفظت عينك فإن قدرت أن لا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل**»[3] وقد سبقت الإشارة إلى هٰذا الأمر في قوله تعالى: ﴿قُل

(١) صحاح الجوهري ج٤ ص١٤٨٤ مادة (رمق)

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج٤ ص ٩٨.

(٣) المصدر.

لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾

ثم يتطرق أمير المؤمنين في هٰذه الحكمة إلى علاج ذٰلك ولكن قبل ذكر العلاج يجدر بنا أن نشير إلى بعض الآثار السلبية السيئة الأخرى المترتبة على محادثة النساء والنظر إليهن والتي قد ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الديباج المروية في تحف العقول ولم ينقلها الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه، حيث قال عليه السلام فيها: «**ومحادثة النساء تدعو إلى البلاء وتزيغ القلوب، والرمق لهن يخطف نور أبصار القلوب، ولمح العيون مصائد الشيطان..**»[1]

أشار عليه السلام في هٰذه الخطبة إلى الأثر الطبيعي للذنوب والرذائل، فإن الله عزّ وجلّ قد جعل للذنوب والرذائل آثاراً طبيعية وتكوينية في هٰذه الدنيا ـ مضافاً إلى تأثيراتها التشريعية والتقنينية في الجزاء والعقاب ـ وذلك أن النظام الكوني نظام الأسباب والمسببات وأبى الله أن يجري الأمور بأسبابها[2]، ولكن الأسباب لا تنحصر في الماديات بل للأعمال والأخلاق والعقائد والمعنويات أيضاً تأثيرات في الكون وأحداثه سلباً وإيجاباً وهذا ما أشارت إليه النصوص الشرعية كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[3] وقوله عز من قائل: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟

(١) تحف العقول ص ١٥١.
(٢) راجع الكافي ج ١ ص ١٨٣ باب معرفة الإمام والرد إليه الحديث ٧.
(٣) سورة الشورى/ ٣٠.

﴿يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾[1] فأشار سبحانه وتعالى إلى أن سبب تكذيبهم هو رين قلوبهم الناشئ عن ذنوبهم وآثامهم فالذنوب والآثام سبب لرين قلوبهم ورين قلوبهم سبب لتكذيبهم وموجب لحجبهم عن ربهم يوم القيامة مضافاً إلى استحقاقهم الجحيم..، وكقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب»**[2] قال المولى صالح المازندراني قدس سره في بيان ذلك: **«إذ كل وجع يفرض لا يوجب بُعد القلب من الله المطلوب لكل سالك إلا الذنوب في العقائد والأعمال، وأيضاً كل وجع لا يوجب هلاك القلب أبداً وسواده إلا الذنوب»**[3].

وفي مقابل ذٰلك هناك آيات وروايات تدل على التأثيرات الإيجابية للتقوى والإيمان والعمل الصالح في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية في الروح والجسم مضافاً إلى التأثيرات الجزائية المترتبة على امتثال الأحكام الشرعية.

فأمير المؤمنين عليه السلام يشير في هٰذه الخطبة ـ خطبة الديباج ـ إلى بعض الآثار السيئة لبعض الأعمال المخالفة للشريعة المقدسة سواء كانت من المحرمات أو من الأمور المؤدية إليها، فيقول أن محادثة النساء تدعو إلى البلاء وزيغ القلوب، فإنها وإن لم تكن في حدّ ذاتها محرمة إلا أنها تؤدي أحياناً إلى انجذاب الجنسين إلى بعضهما البعض الموجب للإنزلاق إلى الحرام ووالمعصية.

وكذا فيما يتعلق بالنظر وقد قسّمه عليه السلام إلى قسمين:

(١) بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٣٥

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢٠ ص ٣٢٤ رقم ٧١٥

(٣) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١١٦٢.

الرمق وهـو النظر الطويـل المسـتمر، واللمح وهو النظـر القصير الخاطف، وكلاهما مؤثران في حياة الإنسان المعنوية.. فالرمق يخطف نور أبصـار القلـوب وذلـك أن القلـب _ أي القـوة الادراكيـة الأقوى للـروح _ إنما يتمكن مـن الوصول إلـى كمالاته بخـرق حجب النور بعد الظلمة والوصـول إلى القـرب المعنوي والمعرفي إلـى الله تعالى كما ورد فـي المناجـاة الشـعبانية: «**وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك**..»[1] ولا يمكـن ذٰلـك إلا بالعمـل بالوظائـف والتكاليـف الإلهية وتهذيب النفس عـن الرذائل وتحليتهـا بالفضائل، نعم بذلـك فقط يمكـن الوصـول إلى الكمـال وهـو القـرب العبودي والمعرفي إلـى الله تعالى، فخـرق حجب النـور بعد الظلمـة إنما يتم عن طريق العمل بالتكاليف وتهذيب النفـس، وبخرق الحجب يمكن الوصول إلى ذٰلك القرب وإلى معدن العظمة والتعلق بعز قدس الرب تعالى فـإن قداسـته ﷻ ونزاهته عن كل عيـبٍ ونقصٍ وفقـرٍ وحاجةٍ تعنـي إطلاق علمـه وقدرتـه وغنـاه وهو يعنـي العـزّ المطلـق الذاتي ونتيجتـه حاجـة الكل فـي ذواتهـم وصفاتهـم وأفعالهـم إليـه تعالى، وعجزهم عن خرق عظمته وغنـاه ﷻ الذاتي وهذا معنـى العزة، فإذا هذَّبنـا أنفسـنا ونزهناها عـن الرذائل والقبائـح والظلمـات وصلنا إلى معدن العظمة معرفيا واكتسبنا عزّاً من عزه المقدس وكان عزه معتمدا وسنداً لنا ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وفي قبال ذٰلك الذنـوب والرذائـل الأخلاقية فإن لها أثرا معاكسـاً

(١) بحار الأنوار ج٩١ ص٩٩ باب أدعية المناجاة الحديث ١٣.
(٢) سورة المنافقون/٨.

لذلك فإنها مضافاً إلى مانعيتها من حصول نور القلب الموجب لتحقق معرفة ما ـ حسب درجة ذٰلك النور ـ بالرب تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، مضافاً إلى ذٰلك تزيل النور الفطري للقلب حيث خلقه الله تعالى منيرا بفطرته وطبعه وإن كان محتاجاً إلى التكميل والترقية والتنوير الأكثر بالعمل الاختياري وتهذيب النفس، فالذنوب والرذائل الأخلاقية تطفئ ذٰلك النور فتحلّ الظلمة والسواد والرين محله كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] وقال الصادق عليه السلام: «**إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكته سوداء، فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً**»[2] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[3].

والرمق والنظر الطويل إلى الأجنبية (والأجنبي) من الأسباب والموجبات لزوال ذٰلك النور وحلول الظلمة محله وبالنتيجة عدم لوصول إلى الكمال الذي خُلق الإنسان لأجل الوصول إليه

وهو القرب العبودي والمعرفي إليه تعالى بخرق تلك الحجب والتعلق بعز القدس الألوهي سبحانه وتعالى.

والنظرة القصيرة (اللمح) أيضا من مصائد الشيطان وحبائله لإيقاع المؤمنين في فخّ مكره ومكائده وإبعادهم عن القرب إليه سبحانه وإدخالهم في النار نار ظلمات القلب فنار جهنم التي تطلع على الأفئدة، والاستهزاء بهم في نهاية المطاف والضحك

---

(١) سورة المنافقون/١٤

(٢) الكافي ج٢ ص٢٧١ باب الذنوب الحديث ١٣.

(٣) سورة البقرة/ ٢٥٧.

عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[1]

هذا كله في الأمر الأول الذي تطرق إليه أمير المؤمنين عليه السلام في هٰذه الحكمة وهو الأثر السيء المترتب على النظر، وأما الأمر الثاني فهو علاج ذٰلك المرض والأثر السيّء المترتب على النظر المحرم، وبيان ذلك:

إن الله سبحانه وتعالى قد جعلنا وخلقنا في دار الدنيا ليمتحننا بالمصائب والمصاعب والتكاليف فهدانا النجدين وفتح لنا باب الخير والشر وبيّن لنا طريق الخير والشر وجعل فينا ما يميل إلى ما يسوق إلى الشر لولا التهذيب فركّب فينا الفطرة والعقل من جانب والشهوة والغضب من جانب آخر، وأعطانا وسائل التغلّب على النفس الأمارة أيضاً فإنه وإن جعلت فينا رغبات وميولات نفسانية تسوقنا نحو المعاصي وارتكاب الذنوب والاتصاف بالرذائل إلا أنه جل اسمه أعطانا في قبالها قابليات المواجهة ووهب لنا القدرة على ترك الذنوب والتطهّرمن الرذائل وبيّن لنا طرق التحرر من النفس الأمارة.

هذا كله من جانب، ومن جانب آخر نجد أنه سبحانه وتعالى لم يحرّم علينا شيئا إلا وقد أحل قباله شيئاً أو أشياء أخرى كي لا يبقى لأحد عذر وليتم الحجة على جميع الناس والمكلفين فإنه عزّ وجلّ إن حرم علينا شيئاً فقد أحل لنا قباله شيئاً آخر كي لا نُبتَلى بالحرام ولنعالج الحرام بما جعل لنا من الحلال، فإذا كان الربا حراماً وذلك لاشتماله

(١) سورة إبراهيم/٢٢.

على مفاسد عظيمة على المجتمع والأفراد فقد أحلّ لنا المضاربة ـ مثلا ـ التي تشتمل على فوائد ومصالح الربما من دون ترتب آثاره السيئة عليها، وإذا حرّم علينا الزنا والسفاح الذي يترتب عليه مفاسد كثيرة وعظيمة فقد أحلّ لنا الزواج والنكاح المشتمل على جميع لذائذ الزنا وزيادة من دون ترتب أية مفسدة من مفاسد السفاح عليه، بل قد جعله مستحباً يثيب عليه وأوجبه على من يخاف الوقوع في الحرام.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في هٰذه الحكمة إلى أن النظر الشهواني قد يوقع الإنسان في الحرام والسفاح فيجب معالجته وإزالة خوف الوقوع فيه وذلك باتيان الأهل فإن المشكلة هي هيجان الشهوة ولا يسكن إلا بقضاء الحاجة وقد جعل الله تعالى طريقاً لذلك فجعل الأزواج لقضاء تلك الحاجة الغريزية من دون الحاجة إلى الالتجاء إلى الحرام والفاحشة الموجبة للبعد عن الله تعالى، بل قد جعله ـ أي نكاح الأزواج والمقاربة ـ أمراً مستحباً في نفسه فيوجب القرب إليه سبحانه وتعالى.

وهذا الأمر صادق على النساء أيضاً فإن الخطاب وإن كان موجهاً للرجال لخصوصية المورد حيث أنه كان عليه السلام عند رجال صدر منهم ذٰلك الأمر فأمرهم بما أمرهم بعد بيان خطورة النظر الشهواني إلا أنه شامل للنساء أيضاً لأن ذٰلك الخطر وهذا العلاج لا ينحصران بالرجال كما هو واضح.. وهذا ما يوجّه رسالة مهمة إلى العائلات وهي لزوم تسهيل أمر الزواج للشبان والشابات لإزالة موضوع الحرام وأرضيته إن شاء الله تعالى.

وفي الحكمة أمر ثالث خارج عن نطاق بحثنا نشير إليه تتميماً

للفائدة وهو تكفير أمير المؤمنين عليه السلام من قبل ذٰلك الخارجي وقيام الأصحاب لقتله وأمر أمير المؤمنين سلام الله عليه بالتمهل وأنه لم يصدر منه إلا السبّ فلا يكافأ إلا بالسبّ أو العفو عن الذنب، فنقول: قد ثبت في الفقه أن من يسب الإمام المعصوم عليه السلام كافر مهدور الدم، قال الشيخ الطوسي رحمه الله: «**من سب الإمام العادل وجب قتله وقال الشافعي: يجب تعزيره، دليلنا إجماع الفرقة وأخبارهم وأيضاً قول النبي عليه السلام: من سبّ علياً فقد سبني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله وسبّ نبيه فقد كفر ويجب قتله**»[1] وقال المحقق الحلي قدس سره: «**ومن سبّ الإمام العادل وجب قتله**»[2] وعلق عليه صاحب الجواهر رحمه الله بقوله: «**بلا خلاف أجده فيه بل في ظاهر المنتهى ومحكي التذكرة الاجماع عليه كما عن صريح جماعة، وهو الحجة بعد قول النبي صلى الله عليه وآله: من سمع أحداً يذكرني فالواجب عليه أن يقتل من شتمني، ولا يرفع إلى السلطان، وإذا رفع إليه كان عليه أن يقتل من نال مني، المتمم بعدم القول بالفصل بينه وبين غيره من الأئمة عليهم السلام الذين سبُّهم سبُّه أيضاً مع ما في آخر عمن سمع يشتم علياً عليه السلام فقال والله حلال الدم، بل لعل إطلاق الفتاوى كصريح بعض النصوص عدم التوقف على إذن الإمام عليه السلام كما عن الغنية الإجماع عليه، بل لا ريب في اندراج السابّ من المسلمين في الناصب الذي ورد فيه أنه حلال الدم والمال... بل الظاهر إلحاق سب فاطمة عليها السلام بهم وكذا باقي الأنبياء عليهم السلام بل والملائكة، إذ الجميع من شعائر الله تعالى شأنه، فهتكها هتك حرمة الله تعالى شأنه، بل لا يبعد القول بقتل السابّ**

(١) الخلاف للشيخ الطوسي ج٥ ص٣٤٠.
(٢) شرائع الإسلام ج١ ص٢٥٧.

حدّاً وإن تاب وقلنا بقبول توبته كالمرتد الفطري وإن لم يكن منه»[1]

وبذلك يتبين أن السابّ للإمام المعصوم عليه السلام محكوم عليه بالكفر معدود من النواصب وحكمه القتل ولا يسقط بالعفو، والخارجي الذي تكلم بذلك قد تفوه بما هو أعظم من السب حيث أنه كفّر الإمام عليه السلام، نعم من الممكن أن يكون الإمام عليه السلام قد وجد في كلامه أو علم من معتقده قرينةً تدل على إرادة السب دون التكفير الذي هو ظاهر كلامه، وكيف كان فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا عفى أمير المؤمنين عليه السلام عنه ولم يأذن لأصحابه أن يقتلوه مع أنه سبه على أقل تقدير وهو سبب كافٍ في الحكم عليه بالقتل؟

والجواب أنه عليه السلام يعلم جميع المصالح والمفاسد المبتنية عليها أحكام الشرع فمن الممكن أنه قد رأى المصلحة في العفو، كما أن له الولاية المطلقة في تطبيق الأحكام، مضافاً إلى أن الحدود تدرء بالشبهات فالخوارج قد اشتبه عليهم أمر الإمامة فإنهم كانوا يعتقدون كفر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال المرحوم الميرزاحبيب الله الخوئي:«**٤ ـ سماعه تكفير الخارجي إياه على محضر أصحابه ونهيهم عن قتله مع أنه إمام وسبّ الإمام كفر وارتداد موجب للقتل، وهو حدّ لا يقبل العفو، ويمكن الجواب عنه بأن الخوارج اعتقدوا كفره وخروجه عن الإمامة فلا يتوجه إليهم الحد من جهة الشبهة والحدود تدرأ بالشبهات فيبقى حقه الخصوصي فقال عليه السلام: إنه سب ويقاصّ بالسب لا بالقتل، أو يعفا عن ذنبه رأساً فحاله كحال من اعتقد الإمام عدوه جهلاً فسبّه فإنه**

(١) جواهر الكلام ج٢١ ص٣٤٤ـ ٣٤٥.

لا يتوجه إليه الحدَ»[1].

والأمر الرابع المستفاد من هٰذه الحكمة هو ما أشار إليه الميرزا حبيب الله الخوئي قدس سره أيضاً وهو إعطاء الحرية للناس في حكومته في أعلى درجاتها سواء كانوا من الأصحاب أو الأعداء بحيث يُواجَه عليه السلام بهذا الكلام من قبل أعدى أعداءه وأمام أصحابه فلم يعاقبه ولم يأذن لأصحابه بملاحقته وإلحاق الأذى به.

(١) منهاج البراعة في سرح نهج البلاغة ج٢١ ص

خاتمة في كلامه عليه السلام عند دفن الزهراء عليها السلام:

يجدر بنا في نهاية المطاف أن ننقل كلامه عليه السلام عند دفن سيدة نساء العالمين لاشتماله على بعض صفاتها وكمالاتها:

«السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في الجوارك والسريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورقّ عنها تجلّدي، إلا أن لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزٍ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، إنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة، أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتظافرأمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، هٰذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم، فإن انصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين»[1].

يشتمل هٰذا الكلام على أمور كثيرة ومهمة عن سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام منها:نزولها سلام الله عليها بجوار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو دليل عظيم منزلتها عند الله تعالى فليس كل إنسان بل ولا كل مؤمن

(١) نهج البلاغة الكتاب ٢٠٢.

له قابلية مجاورة الرسول ﷺ في عالمي البرزخ والقيامة وفي الجنة حيث أن قوله عليه السلام: «**النازلة في جوارك**» لا يعني الجوارالجسماني لإمكان كون قبرها عليها السلام بجوار قبره ﷺ فإن هٰذا وإن كان فضيلة لها إن كان قبرها بجواره إلا أن الفضل هو أن تكون في جواره في النشئة الأخرى نشئة البرزخ والقيامة وهذا هو المقصود الأساسي لأمير المؤمنين عليه السلام بقرينة قوله عليه السلام:«**السريعة اللحاق بك**» وقوله عليه السلام: «**وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هعضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال**».

ومنها: عظيم منزلة الزهراء عند أمير المؤمنين عليهما السلام بدليل قوله عليه السلام: «**قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي..**» وهذا قول من صبر في الله على عظيم المصائب والشدائد وخاض في سبيل الله عزّ وجلّ كبرى الغزوات والحروب ولم تأخذه في الله لومة لائم وصبر على الأذى في جنب الله في حياة رسول الله ﷺ وبعد ارتحاله قبل توليه الخلافة الظاهرية وبعده، فهذا الصبور على جميع تلك الشدائد قد قلّ صبره ورقّ تجلده عن الزهراء البتول عليها صلوات الله وسلامه.

ومنها التعبير عنها عليها السلام بصفية الرسول ﷺ «**صفيتك**» فهي صفية النبي كاملة الإيمان صافية القلب فاضلة الأخلاق خالصة الأعمال.. ولولا ذٰلك لما كانت صفية الرسول الذي يرى صفاء قلبها وخلوص باطنها عما سوى الله تعالى ما بلغ بها إلى درجة تنير بعبادتها لأهل السماء والملائكة المقربين، وهذا وأمثاله سبب تسميتها بالصفية إلى جانب سائر أسمائها فإن أسماء أهل البيت عليهم السلام ليست جزافية وبلا مصداق خارجي بل هي حاكية عن صفاتهم وكمالاتهم

الروحانية وفضائلهم الأخلاقية وإلا فالإسم الذي يراد به تمييز المسمى عن غيره واحدٌ..، ولهذا خوطبت الزهراء البتول وصفية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الملائكة «**إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**»[1] قال المولى صالح المازندراني قدس سره: «**وقوله: عن صفيتك، إشارة إلى ما كان له صلى الله عليه وآله وسلم في حقها من التعظيم والإكرام والتبجيل ما لم يكن في حق غيرها حتى قال القرطبي على ما نقل عنه الآبي في كتاب إكمال الكمال: إن فاطمة عليها السلام أحب بناته صلى الله عليه وآله وسلم وأكرمهن عنده وسيدة نساء الجنة وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيصلي ركعتين ثم أتى بيت فاطمة عليها السلام فيسأل عنها ثم يدور على نسائه إكراماً لفاطمة واعتناءاً بها**»[2].

والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها بعدد ما أحاط به علمه وأحصاه كتابه.

تم الفراغ من تبييض هٰذا المكتوب ليلة السبت ١٦
شوال ١٤٣١ هـ ق الموافق ٢٥ ـ ٩ ـ ٢٠١٠م.

أيوب الجعفري

---

(١) أمالي الصدوق رحمه الله ص ١٧٦.
(٢) شرح أصول الكافي ج ٧ ص ٢١٤.

المحتوى

كلمة الناشر ٣
مقدمة الكتاب ٦
نماذج من كلماته عليه السلام حول المرأة ١٣
١- نواقص العقول: ١٣
تحليل هٰذا الرأي: ١٥
تحليل الرأي الثاني: ١٩
تحليل الرأي الثالث: ٢١
تحليل الرأي الرابع: ٢٣
النتيجة: ٣٠
عود على بدء: ٣٠
٢- نواقص الإيمان: ٣٢
٣- نواقص الحظوظ: ٤٦
وظائف الرجال: ٥٣
استثناءات في الإرث: ٥٥
بعض أسرار الاختلاف في حصة الإرث على ضوء الروايات: ٥٦
رأي العلامة الطباطبائي قدس سره: ٥٨
حصيلة البحث: ٦٢

نساء كاملات:..... ٦٢
٢- رضاها رضى الله وغضبها غضبه تعالى:..... ٦٧
٣- الكوثر: ٦٨
٤- نور للملأ الأعلى والملائكة المقربين: ٦٩
٥- محدثة:..... ٧١
د- فداها أبوها: ٧٢
ذ- الكفؤ الحصري لعلي عليه السلام: ٧٣
٢- امرأة فرعون ورسوخ إيمانها:..... ٧٦
٣- مريم بنت عمران وعلو شأنها: ٧٨
٤- زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام: ٨١
٥- خديجة الكبرى سلام الله عليها:..... ٨٣
٦- فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليه السلام:..... ٨٥
٧- فضة الخادمة:..... ٨٦
٨- رابعة الشامية:..... ٨٨
٩- رابعة العدوية: ٩١
تتميم: ٩٩
حكمة الخطبة:..... ١٠١
شواهد علوية: ١٠٨
المرأة شرٌ كلها ١١٠
مؤيدات:..... ١١٥
خصال متفاوتة: ١١٩
غيرة المرأة في الحياة الزوجية صوريةٌ:..... ١٢١
نتيجة البحث:..... ١٢٦
حقائق مرة ١٣٣

روايات في ذم التكبر والفخر والعجب ومدح ما يقابلها:..... ١٤٢
د- زهو وتكبر المرأة: ١٥٢
٣- الجبن: ١٥٥
٤- البخل:..... ١٦٢
الحجاب:..... ١٧٢
حكمة أخرى:..... ١٩٧
الحجاب في كلماته عليه السلام الأخرى: ٢٠٣
النظر إلى غير المحارم وآثاره السيئة في كلامه عليه السلام:..... ٢٠٦
مضامين الحكمة ومغازيها:..... ٢٠٧
خاتمة في كلامه عليه السلام عند دفن الزهراء عليها السلام:..... ٢١٧
المحتوى..... ٢٢٠